مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية

المشرف العام
أ. د. يونس مرشد عمرو
رئيس الجامعة

الهيئة الاستشارية:

رئيس الهيئة الإستشارية
أ. د. سمير داود النجدي

أعضاء الهيئة الإستشارية

أ.د. إسماعيل محمد شندي	أ.د. نعمان عاطف عبد ربه
أ.د. بشرى علي خير بك	أ.د. حمدي محمد منصور
أ.د. هناء فايز مبارك	أ.د. محمد السيدي
أ.د. إبراهيم محمد الكوفحي	أ.د. نادر جمعة القاسم
أ.د. سعيد محمد الفيومي	أ.د. حسن "عبد الرحمن" السلوادي
أ.د. سالم خضر ساري	أ.د. مهند عزمي أبو مغلي
د. رشدي يوسف القواسمة	د. أحمد محمد براك

هيئة تحرير المجلة:

رئيس هيئة التحرير
أ. د. جمال محمد إبراهيم

مشرف التحرير
أ. د. حسني محمد عوض

أعضاء هيئة التحرير

أ. د. محمد محمد مسالمة	أ.د. عبد الرحمن محمد مغربي
أ.د. عودة جميل الفليت	أ.د. عبد الرؤوف خريوش
أ.د. محمد محمد التاقي	أ.د. حلمي خضر ساري
أ.د. إبراهيم "عبد القادر" القاعود	د. إياد فايز أبو بكر
د. حسن "عبد الرحمن" البرميل	د. معتصم توفيق خضر
د. عبد الرحيم الهبيل	د. عبد الخالق "عبد الله" عيسى
د. محمد أبو الرب	د. شادي رضوان أبو عياش

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة العربية
د. أحمد بشارات

المدقق اللغوي لأبحاث اللغة الإنجليزية
مركز عادل زعيتر للترجمة واللغات

رؤية الجامعة

الريادة والتميز والإبداع في مجالات التعليم الجامعيّ المفتوح، وخدمة المجتمع، والبحث العلميّ، وترسيخ مكانتها القيادية في بناء مجتمع فلسطيني قائم على العلم والمعرفة.

رسالة الجامعة

إعداد خريجين مؤهلين لتلبية حاجات المجتمع، قادرين على المنافسة في سوق العمل المحلي والإقليمي، والإسهام الفاعل والمتميز في مجال البحث العلميّ، وبناء القدرات التقنية والبشرية، من خلال تقديم برامج تعليمية وتدريبية على وفق أفضل ممارسات التعليم المفتوح وأساليب التعليم المدمج، وتعزيز بيئة البحث العلميّ في إطار من التفاعل المجتمعي والتعاون والشراكة وتبادل الخبرات مع الأطراف المعنية كافة، مع مراعاة أحدث معايير الجودة والتميز.

القيم التي تؤمن بها الجامعة

لتحقيق رؤية الجامعة ورسالتها وأهدافها، تعمل الجامعة على تطبيق وترسيخ الإيمان بالقيم الآتية:

- الريادة والتميز.
- الانتماء الوطنيّ والقوميّ.
- ديمقراطية التعليم وتكافؤ الفرص.
- الحرية الأكاديمية والفكرية.
- احترام الأنظمة والقوانين.
- الشراكة المجتمعية.
- الإدارة بالمشاركة.
- الإيمان بدور المرأة الريادي.
- النزاهة والشفافية.
- التنافسية.

المجلة

مجلة علمية محكمة فصلية تصدر عن عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي، وقد صدر العدد الأول منها في تشرين أول/ عام 2002 م. وتنشر المجلة البحوث والدراسات الأصلية المرتبطة بالتخصصات العلمية لأعضاء الهيئة التدريسية والباحثين في جامعة القدس المفتوحة وغيرها من الجامعات المحلية والعربية والدولية، والمراجعات والتقارير العلمية وترجمات البحوث شريطة أن لا تكون الورقة منشورة في مجلد المؤتمر أو أية مجلة أخرى.

وقد حصلت على معامل التأثير العربي، وتحمل الرقم المعياري الدولي للنسخة الإلكترونية *(E-ISSN: 2616-9843)*، وللنسخة المطبوعة *(P-ISSN: 2616-9835)*.

قواعد النشر والتوثيق

أولاً ـ متطلبات إعداد البحث:

يجب أن تتضمن مسودة البحث الآتي:

1. صفحة منفصلة عليها : اسم الباحث/ الباحثين وعنوانه/ هم بعد عنوان البحث مباشرة باللغتين العربية والإنجليزية، ويذكر بريده/ هم الإلكتروني.
2. ملخصين أحدهما باللغة العربية والآخر بالإنجليزية في حدود (*150 - 200*) كلمة لكل منهما ، يتضمنان كلمات مفتاحية لا يزيد عددها عن ست كلمات.
3. تدرج الرسوم البيانية والأشكال التوضيحية في النص، وترقم ترقيما متسلسلاً، وتكتب أسماؤها وعناوينها والملحوظات التوضيحية تحتها .
4. تدرج الجداول في النص وترقم ترقيماً متسلسلاً وتكتب عناوينها فوقها . أما الملحوظات التوضيحية فتكتب تحت الجداول.

ثانياً ـ شروط تسليم البحث:

1. رسالة موجهة من الباحث إلى رئيس هيئة التحرير تتضمن رغبته في نشر بحثه في المجلة ويحدّد فيها التخصص الدقيق للبحث.
2. تعهد خطي من الباحث بأن بحثه لم ينشر، أو لم يقدم للنشر في دورية أخرى، وأنه ليس فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.
3. سيرة ذاتية مقتضبة للباحث تتضمن: اسمه الرباعي، ومكان عمله، والدرجة العلمية، ورتبته الأكاديمية، وتخصصه الدقيق، إضافة إلى بريده الإلكتروني ورقميّ هاتفه الثابت والنقال.
4. نسخة كاملة من أداة جمع البيانات (الاستبانة أو غيرها) ، إذا لم تكن قد وردت في صلب البحث أو في ملاحقه.
5. أن يتجنب الباحث أية إشارة قد تدل على شخصيته في أي موقع من صفحات البحث، وذلك لضمان السرية التامة في عملية التحكيم.

ثالثاً ـ شروط النشر:

تؤكد هيئة التحرير على ضرورة الالتزام بشروط النشر بشكل كامل، إذ إن البحوث التي لا تلتزم بشروط النشر سوف لن ينظر فيها، وتعاد الملحوظات بشأنها لأصحابها مباشرة حتى يتم التقيد بشروط النشر.

1. تقبل الأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية على أن تكون مكتوبة بلغة سليمة خالية من الأخطاء النحوية واللغوية.

2. تقدم طلبات نشر الأبحاث من خلال الموقع الإلكتروني للمجلة على الرابط الآتي: ***https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy*** بصيغة (*Word*)، مع مراعاة الآتي:

- الأبحاث المكتوبة باللغة العربية يستخدم الخط *Simplified Arabic* بحجم (*16*) غامق للعنوان الرئيس، و (*14*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- الأبحاث المكتوبة باللغة الإنجليزية يستخدم الخط *Times New Roman* بحجم (*14*) غامق للعنوان الرئيس، و (*13*) غامق للعناوين الفرعية، و (*12*) عادي لباقي النصوص، و (*11*) عادي للجداول والأشكال.

- المسافة بين الأسطر: مفردة.

- الهوامش للأبحاث باللغتين العربية والإنجليزية:

- *(2)* سم للأعلى و *(2.5)* للأسفل، و *(1.5)* سم للجانبين الأيمن والأيسر.

3. ألا يزيد عدد كلمات البحث عن (*7000*) كلمة، وبما لا يزيد عن (*25*) صفحة حجم (*A4*)، بما في ذلك الأشكال والرسوم والجداول والهوامش والمراجع. علماً بأن الملاحق لا تنشر، إنما توضع لغايات التحكيم فحسب.

4. أن يتسم البحث بالجدة والأصالة والموضوعية، ويمثل إضافة جديدة إلى المعرفة في ميدانه.

5. أن لا يكون منشوراً أو قدم للنشر في مجلة أخرى، وأن يتعهد الباحث خطياً، وبعدم تقديم بحثه للنشر إلى أية جهة أخرى إلى حين الانتهاء من إجراءات التحكيم واتخاذ القرار المناسب بهذا الشأن، ويتعهد الباحث الرئيس بأنه أطلع على شروط النشر في المجلة والتزم بها.

6. أن لا يكون البحث فصلاً أو جزءاً من كتاب منشور.

7. لا يجوز نشر البحث أو أجزاء منه في مكان آخر، بعد إقرار نشره في المجلة، إلا بعد الحصول على كتاب خطي من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

8. تحتفظ المجلة بحقها في أن تطلب من الباحث أن يعيد صياغة بحثه، أو أي جزء منه بما يتناسب وسياستها في النشر، وللمجلة إجراء أية تعديلات شكلية تتناسب وطبيعة المجلة.

9. الأبحاث المكتوبة باللغة العربية، على الباحث أن يرفق قائمة المصادر والمراجع مترجمة إلى اللغة الانجليزية، إضافة إلى قائمة المصادر والمراجع المكتوبة باللغة العربية.

10. يجب أن يرفق مع البحث ملخصان أحدهما باللغة العربية وآخر باللغة الإنجليزية، في حدود (*150 - 200*) كلمة لكل منهما، ويراعى أن يتضمن الملخص أهداف البحث ومشكلته ومنهجه وأبرز النتائج التي توصل إليها، ويثبت الباحث في نهاية الملخص ست كلمات مفتاحية (*Key Words*) كحد أقصى ليتمكن الآخرون من الوصول إلى البحث من قواعد البيانات.

11. أن يشير الباحث إلى أنه استل بحثه من رسالة ماجستير أو أطروحة دكتوراه إذا فعل ذلك، في هامش صفحة العنوان.

12. لا تعاد البحوث التي ترد إلى المجلة إلى أصحابها سواءً قبلت للنشر أم لم تقبل.

13. تعتذر المجلة عن عدم النظر في البحوث المخالفة للتعليمات وقواعد النشر.

14. يلتزم الباحث بدفع النفقات المترتبة على إجراءات التحكيم حال طلبه سحب البحث ورغبته في عدم المضي في إجراءات التقويم.

15. يبلغ الباحث بالقرار النهائي لهيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث.

رابعاً ـ التوثيق:

1. تدون الإحالات المرجعية في نهاية البحث وفق النمط الآتي: إذا كان المصدر أو المرجع كتاباً فيثبت: اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، اسم المترجم أو المحقق (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، رقم الصفحة، أما إذا كان المرجع مجلة، فيثبت: المؤلف، عنوان البحث، اسم المجلة، المجلد، عدد المجلة وتاريخها، رقم الصفحة. وفي حال تكرار المصدر أو المرجع مرة ثانية يشار إليه كالآتي: اسم المؤلف، عنوان الكتاب/ البحث، رقم الصفحة.

2. ترتب قائمة المصادر والمراجع في نهاية البحث وفق الترتيب الألف بائي (الأبتثي) لكنية/ لقب المؤلف، ثم يليها اسم المؤلف، عنوان الكتاب أو البحث، (مكان النشر، الناشر، الطبعة، سنة النشر)، الجزء أو المجلد، ويجب أن لا تحتوي القائمة على أي مصدر أو مرجع لم يذكر في متن البحث.

   - في حالة عدم وجود طبعة يضع الباحث (د. ط).
   - في حالة عدم وجود دار النشر يضع الباحث (د. د).
   - في حالة عدم وجود مؤلف يضع الباحث (د. م).
   - في حالة عدم وجود سنة أو تاريخ نشر يضع الباحث (د. ت).

3. في حال استخدام نمط "*APA Style*" في توثيق الأبحاث العلمية والتطبيقية، يشار إلى المرجع في المتن بعد فقرة الاقتباس مباشرة وفق الترتيب الآتي: "اسم عائلة المؤلف، سنة النشر، رقم الصفحة".

4. يستطيع الباحث تفسير ما يراه غامضاً من كلمات أو مصطلحات باستخدام طريقة الحواشي في المتن، حيث يشار إلى المصطلح المراد توضيحه برقم في أعلى المصطلح، ثم يشار لهذه الهوامش في قائمة منفصلة قبل قائمة المصادر والمراجع.

ملاحظة: لمزيد من المعلومات حول آلية التوثيق بنظام *APA*، يمكنك الاطلاع على المعلومات المتوافرة على الصفحة الإلكترونية لعمادة الدراسات العليا والبحث العلمي:

https://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

خامساً ـ إجراءات التحكيم والنشر:

ترسل البحوث المقدمة للنشر إلى متخصصين لتحكيمها حسب الأصول العلمية، ويلقى البحث القبول النهائي بعد أن يجري الباحث التعديلات التي يطلبها المحكمون، والباحثون مسؤولون عن محتويات أبحاثهم، فالبحوث المنشورة تعبر عن وجهة نظر معديها وليس عن وجهة نظر المجلة. كما أن البحوث المرسلة إلى المجلة تخضع لفحص أولي تقوم به هيئة التحرير، لتقرير أهليتها للتحكيم والتزامها بقواعد النشر، ويحق لهيئة التحرير أن تعتذر عن قبول البحث دون إبداء الأسباب.

وتتم إجراءات التحكيم والنشر وفق الآتي:

1. تقوم هيئة التحرير بمراجعة البحوث المرسلة إلى المجلة للتأكد من استيفائها لمعايير النشر في المجلة، ولتقرير أهليتها للتحكيم.

2. ترسل البحوث المستوفية لمعايير النشر إلى اثنين من المحكمين من ذوي الاختصاص، تختارهم هيئة التحرير بسرية تامة، من بين أساتذة متخصصين في الجامعات ومراكز البحوث داخل فلسطين وخارجها، على ألا تقل رتبة المحكم عن رتبة صاحب البحث.

3. يقدم كل محكم تقريراً عن مدى صلاحية البحث للنشر.

4. إذا اختلفت نتيجة المحكمين (أحدهما مقبول والآخر مرفوض)، يرسل البحث لمحكم ثالث لترجيح الحكم، ويعد حكمه نهائياً.

5. يبلغ الباحثون بقرار هيئة التحرير بقبول بحثه أو رفضه في غضون ثلاثة إلى ستة أشهر من تاريخ استلام البحث، وبعد إجراء التعديلات عليه إن وجدت.

6. يزود الباحث بنسخة من العدد الذي نشر فيه بحثه، ويتم إرسال نسخة من العدد إلى مكتب الجامعة في الأردن للباحثين من خارج فلسطين، ويتحمل الباحث تكلفة النقل من الأردن إلى مكان إقامته.

سادساً ـ أخلاقيات البحث العلمي:

1. الالتزام بمستوى أكاديمي ومهني عالٍ في جميع مراحل البحث، ابتداءً من مرحلة تقديم مقترح البحث، ومروراً بإجراء البحث، وجمع البيانات، وحفظها، وتحليلها، ومناقشة النتائج، وانتهاءً بنشرها بكل أمانة ودون تحريف أو انتقائية أو إغفال للمنهج العلمي الصحيح.

2. الالتزام بالاعتراف الكامل بجهود كل الذين شاركوا في البحث من زملاء وطلبة بإدراجهم ضمن قائمة المؤلفين، وكذلك الاعتراف بمصادر الدعم المادي والمعنوي الذي استخدم لإجراءات البحث.

3. الالتزام بإسناد أية معلومات مستعملة في البحث لمصدرها الأصلي، وكذلك الالتزام بعدم النقل الحرفي لأية نصوص من مصادر أخرى دون إسنادها للمصدر أو المرجع الذي أخذت منه.

4. الالتزام بعدم إجراء أية أبحاث قد تضر بالإنسان أو بالبيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة (أو من لجنة أخلاقيات البحث إن وجدت) حين إجراء أية أبحاث على الإنسان أو البيئة، والالتزام بأخذ موافقة مسبقة من الجامعة أو المركز البحثي أو المؤسسة التي يعمل فيها الباحث أو من لجنة أخلاقيات البحث العلمي إن وجدت.

5. الالتزام بأخذ موافقة خطية من كل فرد من الأفراد الذين يستخدمون كموضوع للبحث بعد إعلامهم بكل ما يترتب على اشتراكهم من عواقب، وكذلك الالتزام بعدم نشر نتائج البحث في مثل هذه الحالات إلا بشكل تحليل إحصائي يضمن سرية المعلومات الفردية التي جمعت حول هؤلاء الأفراد.

سابعاً ـ حقوق الملكية الفكرية:

1. تلتزم المجلة باحترام حقوق الملكية الفكرية.

2. على الباحثين احترام حقوق الملكية الفكرية.

3. تؤول حقوق طبع البحث ونشره إلى المجلة عند إخطار صاحب البحث بقبول بحثه للنشر، وإذا رغب الباحث/ الباحثين في إعادة نشر البحث فإنه يتوجب الحصول على موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي في الجامعة.

4. لا يجوز نشر أو إعادة نشر البحوث إلا بعد أخذ موافقة خطية من عمادة الدراسات العليا والبحث العلمي.

5. حق المؤلف في أن ينسب البحث إليه، وذكر اسمه على كل النسخ التي تنتج للجمهور بأي شكل كانت، وفي كل نسخة أو طبعة من المصنف.

6. حق المؤلف في طلب أن تنسب مؤلفاته إليه باسمه الشخصي.

مجلة جامعة القدس المفتوحة
للبحوث الإنسانية والاجتماعية
العدد (53)

المحتويات

الأبحـــــاث:

الترقيم	الباحث/ الباحثون	عنوان البحث	الصفحة
1	د. أحمد سليمان بشارات	ظاهرة الاتّساع اللغويّ وتفسيراتها النحوية عند ابن خالويه ت370هـ من خلال كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن	9
2	د. أمجد محمد المفتي	برنامج مهني مقترح للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين (دراسة مطبقة على جمعية رعاية كبار السن بغزة)	22
3	د. نجية فايز الحمود	صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي ديوان جبل النار نموذجا	40
4	د. عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين	أَثَرُ الاتِّجَاهِ النَّفْسِيِّ فِي انْحِرَافِ التَّنَاصِّ الدِّيْنِيِّ عِنْدَ الشَّاعِرِ أَحْمَدَ مَطَر..(رُؤيَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)	57
5	د. وائل يوسف خليل نصار	أثر أحكام الطعن على الحقوق القضائية للمكلفين بضريبة الدخل في فلسطين	71
6	د. مؤيد توفيق حيدر	سياسة حسن نوايا العرب تجاه بريطانيا وفرنسا لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة في بلاد الشام بين الأعوام (1914-1922م)	81
7	د. فؤاد رمضان محمد حمادة	التحولات التركيبية المصاحبة لـــ (ما) الكافة المهيئة دراسة في الوظيفة التركيبية للأداة	92

ظاهرة الاتّساع اللغويّ وتفسيراتها النحوية عند ابن خالويه ت370هـ من خلال كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن

The phenomenon of linguistic breadth for Ibn Khaldawy through his book (Parsing Thirty Surahs from the holy Qur'an)

أحمد سليمان بشارات
أستاذ مساعد/ جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Ahmad Suliman Bsharat
assitant professor/ Al-quds Open University/palestine
absharat@qou.edu

تاريخ الاستلام: 1/ 10/ 2019م، **تاريخ القبول:** 5/ 5/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 1/ 10/ 2019, **Accepted:** 5/ 5/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-001
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

ظاهرة الاتّساع اللغويّ وتفسيراتها النحوية عند ابن خالويه ت370هـ من خلال كتابه إعراب ثلاثين سورة من القرآن.

تهدف الدراسة إلى إلقاء الضوء على ظاهرة الاتّساع اللغوي عند ابن خالويه من خلال كتابه (إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم).

واعتمد الباحث المنهج التاريخي والمنهج الوصفي، حيث تتبع التطور التاريخي لمدلول الكلمة من خلال النص. وكشفت الدراسة عن تباين الآراء حول مفهوم الاتّساع عند العلماء، حيث تناولت الظاهرة مباحث التقديم والتأخير، والحذف، والنيابة، والترادف، والتضمين. وأثرها على تعدد أوجه القراءات القرآنية، وتوسّع في السمات التركيبيّة التي تتصل بالجوانب النحويّة، فتعددت الأوجه الإعرابيّة، وتأثرت المعاني بالأثر الاعرابي الذي أوقعته القراءات القرآنيّة المختلفة.

الكلمات المفتاحية: الاتّساع اللغوي، التوسع، ابن خالويه، التقديم والتأخير، الحذف، النيابة، التضمين، المترادفات، تعدد الأوجه الإعرابيّة.

Abstract:

The phenomenon of linguistic breadth for Ibn Khaldawy through his book (Parsing Thirty Surahs from the holy Qur'an).

The study aims to shed some light on the phenomenon of linguistic breadth for Ibn Khaldawy through his book (Parsing Thirty Surahs from the holy Qur'an). The researcher adopted the historical approach and the descriptive approach in his research. The researcher traced the historical development of the word's meaning through the text. The study revealed that there are different opinions concerning the concept of linguistic breadth among linguists.

The above mentioned phenomenon dealt with different topics including: submission, delay, ellipses, prosecution, synonymy, inclusion and their impact on the multiplicity of Quranic readings aspects, the expansion of the structural features that relate to grammatical aspects. Therefore, there are multiple Arabic aspects, and the meanings are affected by the Arabic effect of the different Qur'anic readings.

Keywords: *Expansion in Language, Expansion, Ibn Khalawayh, Phrase Reordering, Omission, Substitution, Inclusion, Synonyms, Syntactic Versatility.*

1 ـ مقدمة:

وظفّ ابن خالويه التوسع اللغوي من خلال السّمات التركيبيّة كالتقديم والتأخير، وحذف المضاف، ونجد فيه الملامح ذات السّمات الإفرازية كالتضمين والمترادفات، ووظف الاتّساع بأن يذكر المصطلح، ومنح نفسه حرية الحركة ضمن مُناخ دلالي تركيبيّ، وأظهر منهجه لغة تكثيفيّة، قادرة على التعبير بصور متعددة بألفاظ مختلفة ومعانٍ متنوعة، وإضاءات نحوية متعددة الصور الإعرابيّة.

ونختزل الصعوبات بأن الإشارات التوسعيّة عند ابن خالويه متناثرة، وقام الباحث باستجلائها واستنباطها من كتابه موضوع الدراسة، وترتبط نماذج التوسع اللغوي عنده بقرائن: دلالية وبلاغيّة وصرفيّة

ولم يختلف المعنى اللغوي عن المعنى الاصطلاحي فقد استمد المصطلح معناه من جذره اللغوي، فالسعة ضد الضيق، والسّعة أصلها وسْعَةٌ فحذفت الواو، اللهم سَعْ عليه أي وسِّعْ عليه، والواسع المحيط بكل شيء من قولهم. (الازهري، 1964م). ويقول ابن فارس: الواو والسين والعين، كلمة تدل على خلاف الضيق. وجاء في الحديث: «إنكم لن تسعوا الناس بأموالكم فسعوهم بأخلاقكم» (البخاري (د. ت): صحيح البخاري، حديث رقم 5711).

وهي اصطلاحا توسيع معنى اللفظ ومفهومه، والاتّساع اللغوي بمعنى التوسع في الأخذ دون أن يخل بنظامها اللغوي، مع مراعاة ومقتضيات السياق والعلاقات النحوية، ونقل اللفظ من المعنى الخاص الدال عليه إلى معنى أعم وأشمل (الغول،2018م). ووضع السبكي حداً في كتابه عروس الأفراح، فقال: هو كلّ كلام تتسع تأويلاته (العسكري، 2009م). وقد استخدم النحاة اكثر من مصطلح لهذا الباب ومنها: التجوز، التصرف، المسامحة، التفسُّح (شبانه،2011م). والتوسع اكثرها اتصالا بالظاهرة، وما كان أكثر دقة في التعبير عن المعاني، وأكثر اتّساعا وشمولا في الدلالة عليها كان أمثل وأحسن (السامرّيّ، 2000م).

2 ـ ظاهرة الاتّساع عند القدماء

اهتم العلماء من لغويين وبلاغيين وفقهاء بظاهرة الاتّساع فسيبويه (ت. 18هـ) أفرد للاتساع أبواباً، وأقامه على الحذف، كأن نحذف المضاف ونقيم المضاف إليه مقامه، وتوزع فكره في صور كثيرة للاتساع كالحمل على الجوار، واستخدام الفعل في اللفظ لا في المعنى، والتوسع في ظرفي المكان والزمان (الغول، 2008).

وعقد ابن السراج (ت 316هـ) باباً في الأصول قال فيه: اعلم أن الاتّساع ضرب من الحذف، إلاّ أن الفرق بينهما أنك لا تقيم المتوسع مقام المحذوف وتعربه بإعرابه، وفي الحذف تحذف العامل فيه وتدع ما عمل فيه على حاله في الإعراب. والاتساع العامل فيه بحاله، وانّما تقيم فيه المضاف إليه مقام المضاف، أو الظرف مقام الاسم (السيوطي، 1999م)، فالأول، نحو: «واسأل القرية» (يوسف: 82) وأراد أهل القرية، والثاني، نحو: صيد عليه يومان، والمعنى صيد عليه الوحش في يومين.

والاتساع يكون في المصدر المتصرف فينصب مفعولاً على التوسع والمجاز، والمصادر يتوسع فيها فتكون مفعولاً، ويجوز التوسع في ظرفي الزمان والمكان بشرط كونهما متصرفين فلا

يجوز التوسع. فيما لزم الظرفية. والاتساع في الظرف فيه مسائل (السيوطي، 1999م).

أمّا الاتّساع اللغوي عند أبي علي الفارسيّ (ت 337هـ). فيعني الخروج عن الأصل، أو التحول من أصل إلى فرع. نجد ذلك في قوله: «إن الاتّساع خروج عن الأصل، والمألوف في اللغة، وتحول من أصل إلى فرع، فمسوّغ لا بّد منه في الكلام أو في نفس المتكلم، وما كل خروج ينبغي أن يكون اتّساعاً»

(الفارسيّ، 1983م، 1/17). ويتضح من قوله إن الخروج عن الأصل يعدّ اتساعاً، ويرتبط الاتّساع عنده بمعرفة المخاطب وقصد المتكلم (الحسيني. د. ت).

وذهب ابن جنيّ (ت392هـ) إلى أن الاتّساع ناجم عن اختلاف اللغات. نجد ذلك في قوله: «اعلم أن سعة القياس تتيح لهم ذلك، ولا تحظُره عليهم، ألا ترى أن لغة التميميين في ترك إعمال (ما) يقبلها القياس، ولغة الحجازيين في إعمالها كذلك، لأنّ لكل واحد من القومين ضرباً من القياس يؤخذ به» (ابن جني،1/298). ويضيف ألا ترى قول النبي صلى الله عليه وسلم: «نزل القرآن بسبع لغات كلها كافٍ وشاف». (البخاري (د. ت): صحيح البخاري.

وبيّن ابن الأثير الجُزري (ت637هـ) أن التوسع في الكلام يكون العدول فيه عن الحقيقة إلى المجاز لغير مشاركة بين المنقول والمنقول عليه، وهذا لا يكون إلاّ لطلب التوسع في الكلام، وهو نوعان: أحدهما يرد على وجه بالإضافة واستعماله قبيح، لبعد ما بين المضاف والمضاف إليه، ومن الأمثلة عليه قول أبي نواس (ابن الجّزريّ، د. ت):

بح صوت المال مما منك يشكو ويصيح (الرمل)

فقوله: (بح صوت المال) معناه: المال ينتظم من إهانتك إياه بالتمزيق.

أمّا الضرب الثاني من التوسع، فإنه يرد على غير وجه الإضافة وهو حسن. ومثاله قوله عليه السلام: «هذا جبل يحبنا ونحبه» (العسقلاني (1986م): فإضافة المحبة إلى الجبل من باب التوسع، إذ لا مشاركه بينه وبين الجمادات في الحب.

وأشار ابن خلدون (ت 808هـ) إلى سعة العربية في البيان عن المعاني. قال: «كانت الملكة الحاصلة للعرب من أحسن الملكات، وأوضحها إبانة عن كثير من المعاني مثل الحركات التي تعين الفاعل من المفعول من المجرور، وليس يوجد ذلك إلاّ في لغة العرب (ابن خلدون، د. ت). والحجج والبراهين والألفاظ والمعاني تشير إلى أن لغة العرب أفضل اللغات وأوسعها. (السيوطي، د. ت).

ونسب السيوطي (ت 911هـ) السعة في اللغة العربية إلى تصرف العرب في لغتهم «من استعارة وتمثيل، وقلب، وتقديم وتأخير وغيرها من سنن العربية في القرآن، لا يقدر أحد من الألسنة على الإتيان بمثله؛ لأن غير العرب لم يَتسع في المجاز اتّساع العربية (السيوطي، د. ت).

ويمكن القول: إن مصطلح التوسع اللغوي كان حاضراً عند الأوائل من علماء النحو والبلاغة واللغة، وانّ المجاز هو الطريق المُمهّد لظاهرة التوسع اللغوي، ويتعلق بنفس المتكلم والمخاطب.

3 ـ الاتّساع النحوي عند ابن خالويه

التقديم والتأخير:

من سنن العرب تقديم الكلام، وهو في المعنى مؤخر (ابن فارس، 1997م)، وتأخيره وهو في المعنى مُقدّم، كقول ذي الرُّمة (خليف، 1997):

مَـا بَالُ عَيْنكَ منْهَا الْمَـاءُ يَنْسَكبُ كَأَنَّهُ
مِـنَ كُلَـى ٍ مَفْرِيَّـةٍ سَـرِبُ (البسيط)

أراد ما بالك عينك ينسكب منها الماء.

وامتدح الجرجاني تصرف العرب في لغتها تقديما وتأخيرا بقوله: «هو باب كثير الفوائد، جمّ المحاسن، واسع التصرف، فيه لطيفة، وتحويل للفظ من مكان إلى مكان (الجرجاني،1981م). وعرفه الزركشي: بأنه تقديم ما رتبته التقديم، كالفاعل، نُقِل كلّ واحد منهما عن رتبته وحقّه (الزركشي، د. ت). أي: جعل اللفظ في رتبة قبل رتبته الأصلية أو بعدها لعارض الاختصاص أو الضرورة أو الأهميّة (الطوفي، 1977م).

وتكشف التعريفات عن وضع شيء في غير محله لضرورة الأهميّة أو التفضيل، وينتقل المقدم إلى موضع المتأخر، والتبادل في الموقع سمة الظاهرة ومحورها.

3 ـ1.4 **مراتب التقديم والتأخير كثيرة، منها** (الزركشي، د. ت):

- أن يكون أصله التقديم، ولا مقتضى للعدول عنه، كتقدم الفاعل على الفعل، والصفة والموصوف والتمييز والمميز.

- أن يحتمل الوجهين لتعادل التعريف بين المبتدأ والخبر عند بعض النحاة. نحو: زيد المنطلق، والمنطلق زيد، فزيد يعرب: خبر ومبتدأ، وكذلك المنطلق.

- التقديم مع الاحتفاظ بالرتبة كتقديم خبر المبتدأ على المبتدأ، والمفعول إذا قدمته على الفاعل، كقولك: منطلق زيد، وضرب عمراً زيد. معلوم أن (منطلق) و (عمراً) لم يخرجا بالتقديم عّما كانا عليه من كونه ذا خبر مبتدأ، وهو مرفوع بذلك، وكون ذلك مفعولاً ومنصوباً.

- أن يكون في التأخير إخلال ببيان المعنى، كقوله تعالى:﴿**وقال رجل مؤمن من آل فرعون يكتم ايمانه**﴾ (غافر: 28). فإنه لو أخر «من آل فرعون» لالتبس المعنى.

- أن يكون في التأخير إخلال بالتناسب، نحو قوله تعالى:﴿**فأوجس في نفسه خيفة موسى**﴾ (طه:67) فإنه لو أخّر (في نفسه) عن (موسى)، اختل تناسب الفواصل، لأن الآية السابقة ﴿**يخيل إليه من سحرهم أنّها تسعى**﴾ وبعدها: ﴿**إنك أنت الأعلى**﴾.

- الترتيب حسب الأهمية. نحو قوله تعالى: ﴿**وأقيموا الصلاة، وآتوا الزكاة**﴾ (البقرة: 42) فبدأ بالصلاة لأنها الأهم.

- الاختصاص، وذلك بتقديم المفعول، أو الخبر، أو الظرف، أو الجار والمجرور، ونحوها على الفعل. كقوله تعالى: ﴿**إياك نعبد**﴾. (الفاتحة:5)، أي نخصك بالعبادة، فلا نعبد غيرك. وإن كان التقديم

بالنفي، فإن تقديمه للعناية بالمنفي. وتقديم الظرف فيه عناية، فإن كان في الإثبات دلّ على الاختصاص، كقوله تعالى: ﴿**إنّ إلينا إيابهم. ثم إنّ علينا حسابهم**﴾ (الغاشية:25 – 26).

ومن المواضع التي أشار إليها ابن خالويه:

2.4.3 التقديم والتأخير والدلالة

إن التراكيب اللغوية تأخذ أشكالاً عدة، وهذه الأنماط المتعددة هي ضرب من الاتّساع اللغوي، الذي يفضي إلى استعمالات متعددة، فالتقديم والتأخير إعادة ترتيب للألفاظ حسب ما يقتضيه المعنى مع الاحتفاظ بالمواقع التي أقرها النحاة من خلال استقرائهم للغة العرب، فالمبتدأ قبل الخبر، والفاعل قبل المفعول، والحال بعد صاحبها، ولكنها قد تتقدم لغرض دلالي. فقد راعى النحو العربي في معالجته للقواعد طبيعة العلاقة بين الشكل والمعنى، وأولى جانب المعنى اهتماماً كبيراً، ومن ذلك: الحمل على المعنى، والحمل على اللفظ (حامد، 2002 م).

3.4.3 التقديم والتأخير عند ابن خالويه يقع ضمن قسمين:

الأول: التقديم والتأخير الذي يؤثر على المعنى، ومن أمثلة ذلك:

أ. تقديم الخبر على المبتدأ: قال تعالى: ﴿**فيهَا سُرُرٌ مَّرْفُوعَة ۞وَأَكْوَابٌ مَّوْضُوعَةٌ ۞وَنَمَارِقُ مَصْفُوفَةٌ ۞وَزَرَابِيُّ مَبْثُوثَةٌ**﴾ (الغاشية: 13 – 16)، إذ قدّم الخبر (فيها) على المبتدأ (سرر)، وعطف المبتدأ على المبتدأ وهذان سبيلان من سبل الاتّساع في التقديم والعطف.

ب. تقديم أخبار النواسخ على أسمائها، نحو: قوله تعالى:﴿**وَإِنَّ لَنَا لَلْآخِرَةَ**﴾ (الليل:13)، حيث تقدم خبر (إن) على الاسم ومعنى الآية: «وان الآخرة لنا». قدّم الخبر للفصل بين مؤكدين.

ت. تقدم المفعول على الفاعل وجوبا لوقوعه في أسلوب الحصر، نحو قوله تعالى:﴿**لا يَصْلاهَا إلاَّ الأَشْقَى**﴾ (الليل: 15) وقوله تعالى:﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۞وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**﴾ (الضحى:9 – 10) والأصل في المفعول أن ينفصل عن الفعل، بأن يتأخر عن الفاعل، ويجوز تقديمه على الفاعل.

ويجب تقديم العامل في المفعول على أن يكون واقعاً في جواب (أمّا)، وليس معنى ما يفصل بين (أما) والفعل سوى هذا المفعول، سواء أكانت (أما) مذكورة في الكلام، كما في قوله تعالى:﴿**فَأَمَّا الْيَتِيمَ فَلا تَقْهَرْ ۞وَأَمَّا السَّائِلَ فَلا تَنْهَرْ**﴾. (الضحى:10) أم كانت مقدرة نحو قوله تعالى: ﴿**وربك فكبر**﴾، فإن وجد ما يكون فاصلاً بين أمّا والفعل سوى المفعول لم يجب تقديم المفعول، نحو أما اليوم فأدٍّ واجبك. (ابن عقيل، 1985م).

وتقديم المفعول به على الفاعل، وخبر المبتدأ على المبتدأ، وخبر كان وأخواتها، وخبر إن وأخواتها على أسمائها يقبله القياس (ابن جني، 1952م).

القول في التقديم والتأخير أسبابه كثيرة، وأحدها الأساليب البلاغيّة، فله في القلوب أحسن موقع، وأعذب مذاق، ومن الأسباب: أن يكون أصله التقديم والتأخير تقديم الفاعل على المفعول، والمبتدأ على الخبر، وصاحب الحال عليها، وأن يكون في التأخير إخلال بالمعنى، وقد تقدم لعظمة المتقدم وأهميته، أو لسبق الزمان والمكان، أو العلة والسبب، أو لشرف المعنى أو للغلبة والكثرة وغيرها (الزركشي، د. ت)، أسباب لا حصر لها، ويمكن القول لا نقدم إلاّ لهدف نبيل، ولا نؤخر الاّ لشرف أصيل.

3 ـ 5 تعدد الأوجه الإعرابيّة:

تعد ظاهرة تعدد الأوجه الإعرابيّة مسلكاً صعباً لارتباطها بالدلالة وتأثيرها، والوجوه كثيرة أكتفي بتمثيل واحد لكل نسق: «**الحمدُ لله رب العالمين**» فكلمة (رب) نعت مجرور أو بدل منه، والرب في اللغة السيدّ والمالك. فمن رآها صفة أعربها نعتا، ومن رآها علما أعربها بدلا.

وجاء في قوله تعالى: ﴿**وُجُوهٌ يَوْمَئِذ نَّاعِمَةٌ، لِسَعْيِهَا رَاضِيَةٌ**﴾ (الغاشية: 9) راضية بدل من ناعمة، ويجوز أن يرفع بإضمار هي راضيه، وتكون خبراً لمبتدأ محذوف (ابن خالويه، 1941م).

ومن الوجوه الإعرابية قوله تعالى:﴿**أولئك هم خير البريّة**﴾ (البينة:7) هم: مبتدأ ثان، وإن شئت قلت (هم) فاصلة زائدة، و (خير) خبر المبتدأ (ابن خالويه،1941م).

وفي قوله:﴿**نار الله الموقدة**﴾ إن شئت جعلت النار بدلاً، وإن شئت رفعتها بخبر مبتدأ مضمر أي: هي نار **الله** (ابن خالويه، 1941م).

وجاء في سورة المسد قوله:﴿**وامرأته حمالة الحطب**﴾ (المسد: 4). قال ابن خالويه رفعها من جهتين، إن شئت بالابتداء، وحمالة الحطب خبرها، وإن شئت نسقتها على الضمير في سيصلى، أي سيصلى أبو لهب وامرأته، والهاء جرّ بالإضافة، (ابن خالويه، 1941م).

و (حمالة) رفع خبر الابتداء. ومن قرأ (حمالة) بالنصب، وهي قراءة عاصم نصب على الحال والقطع، وإن شئت على الشتم والذّم، أشتمُ حمالة الحطب، وأذمّ حمالة الحطب، والعرب تنصب على الذّم كما تنصب على المدح (ابن خالويه، 1941م).

والحطب: جرّ بالإضافة. (ابن خالويه، 1941م). وأكّد الزجاج قول ابن خالويه، وأضاف: ويجوز رفع (وامرأته) على الابتداء، و (حمالة) من نعتها، ويكون الخبر في جيدها حبل من مسد «خبر الابتداء، ومن نصب فعلى الذم (الزجاج، 1944م).

وأضاف القيسي، وإذا جعلت (حمالة) الخبر، كان قوله تعالى:﴿**في جيدها حبل**﴾ ابتداء وخبر، وجاز أن تكون الجملة في موضع الحال من الهاء في أعني، وقيل (إن في جيدها حبل) خبر ثانٍ ل (امرأته) (القيسي، 1971م). وذهب مع قولهم الفارسي بقوله: ويجوز في قوله (في جيدها) أن يكون في موضع حال، ويجوز أن يرفع قوله: « (وامرأته) بالابتداء، ويكون (حمالة الحطب) وصفا لها، و (في جيدها) خبر لمبتدأ به. (الفارسيّ، 1983م).

وأجاز النحاة قطع النعت لإنشاء معنى المدح أو الذم أو الترحم بالرفع على إضمار مبتدأ أو بالنصب على إضمار فعل، قال الأخطل (غازي، 1967م):

نفسي فداء أمير المؤمنين إذا أبدى النواجذ يومٌ باسلٌ ذكر
الخائض الغمرَ والميمونُ طائره خليفة الله يستسقى به المطر (البسيط)

الخائض وما بعده من قبيل النعت المرفوع على القطع للمدح لقوله (أمير المؤمنين) المجرور، ومثال الرفع على معنى الذم: مررت بزيد الفاسقُ. (حامد، 2002م).

وامرأته رفعها من جهتين، إن شئت بالابتداء، وحمالة الحطب خبرها، وان شئت نسقتها على الضمير في سيصلى (أي سيصلى) أبو لهب وامرأته (ابن خالويه، 1941م).

فحمالة هنا تحتمل النصب بتقدير أذّم، أو الرفع خبرا لمبتدأ محذوف تقديره هي، وقد تكون نعتاً مرفوعاً لِ (امرأة).

3 ـ 6 الأثر الإعرابي للقراءات:

القراءة علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها من حيث الحذف، والإثبات، والتحريك، والتسكين، والوصل، والفصل، والنطق والإبدال وغيره من حيث السماع (الطبريّ، 1992م). فقد أجيز للعرب أن تقرأ بلغاتها، قال تعالى: ﴿**ولقد يسرنا القرآن للذكر**﴾ (القمر:17). ويمكن تعريف القراءات باختلاف ألفاظ الوحي (الحديثي، د. ت).

وقد يؤدي اختلاف القراءة إلى تفاوت نسبي في فهم الدلالات الفقهية والدينيّة، وهي مجال آخر للتوسع اللغوي (القطان، 1980م).

وقد حاول النحاة توجيه القراءات القرآنية وتحديد شروط القراءة الصحيحة، وربط القراءات بالسند، ومنها: المتواترة والمشهورة والآحاد، وتعد هذه القراءات متصلة السند، وتتفاوت صفات سلسلة السند بدرجات مختلفة، فالمتواتر نقله جمع عن جمع لا يمكن تواطؤهم على الكذب عن مثلهم، والمشهور، ما صح سنده، وخالف الرسم أو العربيّة، وهذا لا يقرأ به، ويلي ذلك ما فيه ثلم في السند أو غيره، نحو: الشاذ، والموضوع، والمدرج (مختار مكرم،1997م).

والجمهور أكد على قراءة القراءات المتواترة، أمّا غير المتوترة فلا تجوز القراءة بها في الصلاة (القطان،1980م).

أمّا ابن خالويه فيقول: من قرأ بحرف من هؤلاء السبعة فقد قرأ قراءة رسول **الله** صلى **الله** عليه وسلم (ابن خالويه،1941م).

والمجمع عليه من أصحاب القراءات، ما وافق رسم المصحف، وصح سنده، ووافق العربية ولو بوجه من الوجوه ؛ لأن القراءة سنة متبعة. قال ابن الجزري: كُلُّ قِرَاءَةٍ وَافَقَتِ الْعَرَبِيَّةَ وَلَوْ بِوَجْهٍ، وَوَافَقَتْ أَحَدَ الْمَصَاحِفِ الْعُثْمَانِيَّةِ، وَلَوِ احْتِمَالًا، وَصَحَّ سَنَدُهَا، فَهِيَ الْقِرَاءَةُ الصَّحِيحَةُ الَّتِي لَا يَجُوزُ رَدُّهَا، وَلَا يَحِلُّ إِنْكَارُهَا، بَلْ هِيَ مِنَ الْأَحْرُفِ السَّبْعَةِ الَّتِي نَزَلَ بِهَا الْقُرْآنُ، وَوَجَبَ عَلَى النَّاسِ قَبُولُهَا، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ الْأَئِمَّةِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَنِ الْعَشَرَةِ، أَمْ عَنْ غَيْرِهِمْ مِنَ الْأَئِمَّةِ الْمَقْبُولِينَ، وَمَتَى اخْتَلَّ رُكْنٌ مِنْ هَذِهِ الْأَرْكَانِ الثَّلَاثَةِ. أُطْلِقَ عَلَيْهَا ضَعِيفَةٌ، أَوْ شَاذَّةٌ أَوْ بَاطِلَةٌ، سَوَاءٌ كَانَتْ عَنِ السَّبْعَةِ، أَمْ عَمَّنْ هُوَ أَكْبَرُ مِنْهُمْ، هَذَا هُوَ الصَّحِيحُ عِنْدَ أَئِمَّةِ التَّحْقِيقِ مِنَ السَّلَفِ وَالْخَلَفِ، صَرَّحَ بِذَلِكَ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو عَمْرٍو عُثْمَانُ بْنُ سَعِيدٍ الدَّانِيُّ، وَنَصَّ عَلَيْهِ فِي غَيْرِ مَوْضِعٍ الْإِمَامُ أَبُو مُحَمَّدٍ مَكِّيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ، وَكَذَلِكَ الْإِمَامُ أَبُو الْعَبَّاسِ أَحْمَدُ بْنُ عَمَّارٍ الْمَهْدَوِيُّ، وَحَقَّقَهُ الْإِمَامُ الْحَافِظُ أَبُو الْقَاسِمِ عَبْدُ الرَّحْمَنِ بْنُ إِسْمَاعِيلَ الْمَعْرُوفُ بِأَبِي شَامَةَ، وَهُوَ مَذْهَبُ السَّلَفِ الَّذِي لَا يُعْرَفُ عَنْ أَحَدٍ مِنْهُمْ خِلَافُهُ (ابن الجزري، د. ت).

وتُقدم صحة السند على قياس النحاة ذا ثبت الأثر.

قَالَ الدَّانِيُّ: «وَأَئِمَّةُ الْقُرَّاءِ لَا تَعْمَلُ فِي شَيْءٍ مِنْ حُرُوفِ الْقُرْآنِ عَلَى الْأَفْشَى فِي اللُّغَةِ وَالْأَقْيَسِ فِي الْعَرَبِيَّةِ بَلْ عَلَى الْأَثْبَتِ فِي الْأَثَرِ وَالْأَصَحِّ فِي النَّقْلِ وَإِذَا ثَبَتَتِ الرِّوَايَةُ لَمْ يَرُدَّهَا قِيَاسُ عَرَبِيَّةٍ وَلَا فُشُوُّ لُغَةٍ لِأَنَّ الْقِرَاءَةَ سُنَّةٌ مُتَّبَعَةٌ يَلْزَمُ قَبُولُهَا وَالْمَصِيرُ إِلَيْهَا» (السيوطي، 1974م، 1/258).

وأهم ما جاء من القراءات عند ابن خالويه:

قال تعالى:﴿**أرأيت الذي يكذب بالدين**﴾ (الماعون:1). في قوله (أرأيت) أربعُ قراءات: أرأيْتَ على الأصل بالهمز، (وأرأيتَ) بتليين الهمزة، (وأريت) بحذف الهمزة تخفيفا. والقراءة الرابعة: (أرأيتك الذي يكذب بالدين). وفي الكاف التي بعد التاء ثلاثة أقوال. فتكون في موضع نصب في قول الكسائي، والتقدير: أرأيت نفسك، وتكون في موضع رفع في قول الفرّاء، والتقدير: أرأيت أنت نفسُك، ولا موضع للكاف في قول البصريين، إنّما دخلت تأكيداً للخطاب (ابن خالويه،1941م). وأرى أن البصريين أقرب لمنطق القواعد النحويّة، والهمزة أصليّة.

ويمكن ردّ اختلاف القراءات وتنوعها وأثرها على تفسير النص القرآني إلى أمور عدة منها: التفاوت في العقل، والفهم، والقدرة على تحصيل العلم، والتفاوت في التحصيل العلمي في السنة النبوية وكتاب **الله**، والاختلاف في شروط قبول الحديث النبوي من السند، واختلاف القواعد الأصولية، كالاختلاف في فهم الأحكام (شندي وعيد الباسط، 2006م).

وتعددت صور القراءات التي ذكرها ابن خالويه، نحو قوله:﴿**ولسوف يعطيك**﴾. في سوف أربع قراءات، يقال: سوف يعطيك: ويعطيك، وسو يُعطيك، وسَفْ يعطيك. وفي حرف ابن مسعود:» ولسيعطيك ربك»، وأوردها ابن خالويه دون تعليق في الهامش بقوله (السين كلمة مستقلة عند البصريين) (ابن خالويه، 1941م).

وجاء في سورة البلد (فكَّ رقبةَ) (فَكَّ) فعل ماض، ورقبة: مفعول به منصوب. ومن قرأ (فكُّ رقبة) بالضم، جعلَه مصدراً وأضافه إلى رقبة، كما تقول العرب: ضَرْبُ زيد وضربَ زيداً (ابن خالويه، 1941م). ومن القراءات التي وردت في سورة القارعة (كالعهن المنفوش) أو كالصوف. وهذه القراءة لا تؤثر شيئاً يؤدي الى تغير جوهري في الدلالة (ابن خالويه،1941م).

7.3 الحذف

1.7.3 الحذف لغة:

حذف الشيء قطعه من طرفه، وحذف الشيء إسقاطه، يقال: حذفت من شعري، ومن ذنب الدابة، أي: أخذت منه، أي حذفت (ابن خالويه،1941م).

2.7.3 الحذف اصطلاحاً:

الحذف هو إسقاط جزء الكلام أو كله لدليل، وأما قول النحويين: الحذف لغير دليل، ويسمى اقتصاراً؛ فلا تحرير فيه، لأنه لا حذف فيه بالكلية، وشرط الحذف أن نقدر المحذوف، ونحو: ﴿**وَاسْأَلِ الْقَرْيَةَ**﴾ (يوسف:82)، بخلاف الإيجاز فهو اللفظ القليل الجامع للمعاني الجمة بنفسه. (الزركشيّ، د. ت). والحذف إسقاط الكلام لفظاً ومعنى (الحسيني، 1998م).

ويندرج الحذف ضمن عناصر السبك النحوي، حيث يميل

مستخدمو اللغة لإسقاط بعض العناصر من الكلام اعتمادا على فهم المخاطب تارة، ووضوح قرائن السياق تارة أخرى (حموده، د. ت)، والبنيات السطحيّة في النصوص غير مكتملة غالبا، بعكس ما يبدو لمستخدم اللغة العادي.

ومن فوائده التفخيم والإعظام، لرجوع الذهن للمحذوف، ويفيد زيادة لذة بسبب استنباط الذهن للمحذوف، وطلب الإيجاز والاختصار، والتشجيع على الكلام، ومن ثم سماهُ ابن جني (شجاعة العربية)، وموقعه في النفس أفضل، وما من اسم حذف الاّ وحذفه أحسن من ذكره (الزركشيّ، د. ت).

3 ـ 7ـ3 شروط الحذف

يجب أن يكون في المذكور دلالة على المحذوف، إمّا من لفظه أو من سياقه، وإلاّ لم يتمكن من معرفته، ولا بدّ أن يكون فيما أبقى دليل على ما ألقى (الزركشي، د. ت)، وهذا يؤكد وجود دليل على المحذوف ويشترط أن يكون المحذوف كالجزء، فلا يحذف الفاعل ولا نائبه ومشابهه وأن لا يكون مؤولاً، ولا عاملا ضعيفاً، فلا يحذف الجار والجازم والناصب للفعل، ولا يؤدي حذفه اختصار المختصر، ولا عوضاً عن شيء يحذف مثلاً (ما) في (أمّا) (ابن هشام، 1985م).

ومهما يكن فلا حذف دون دليل، والدليل إن دلت عليه الدلالة كان في حكم الملفوظ به، والعرب تميل الى الحذف، وتقوم بتقديره. ويعد الحذف باباً من أبواب الاتّساع اللغوي، ويأتي الحذف على وجهين: أحدهما أن لا يقام شيء مقام المحذوف، والثاني أن يقام مقامه ما يدل عليه (القزويني، 1998م). كقوله تعالى:﴿**فَإِن تَوَلَّوْا فَقَدْ أَبْلَغْتُكُم مَّا أُرْسِلْتُ بِهِ إِلَيْكُمْ ۚ وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ وَلَا تَضُرُّونَهُ شَيْئًا ۚ إِنَّ رَبِّي عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ حَفِيظٌ**﴾(هود: 7) فليس البلاغ هو الجواب، لتقدمه، والتقدير فإن تولوا فلا لوم عليَّ لأني قد أبلغتكم، وهذا النوع من الحذف هو المقصود بالاتّساع، وهو حذف يقوم مقامه، فلا يحتاج التركيب إلى تقدير محذوف من الناحية الإعرابية.

وتنوعت أشكال الحذف، وجاء الحذف عند ابن خالويه:

- **أولاً**: حذف جزء من الكلمة ويسمى (الاقتطاع)، وهو ذكر حرف من الكلمة وإسقاط الباقي، وقد جعل منه بعضهم فواتح السور، لأن كلّ حرف منها يدل على اسم من أسماء الله تعالى (الزركشي، د. ت).

وجاء في قوله تعالى:﴿**وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ**﴾ (المائدة:6) إن الباء هنا اول كلمة (بعض) (الزركشي. د. ت).

وقال ابن خالويه: لم أسقطت الألف في (بسم الله الرحمن الرحيم) والأصل (باسم)؛ لأنها كثرت على ألسنة العرب لعلة فحذفت، وإن ذكرت اسما من أسماء الله، وقد أضفت (الاسم) ولم تحذف الألف لقلة الاستعمال (ابن خالويه،1941م).

وجاء في «البرهان في علوم القرآن» أن لفظ (بسم الله) يدل اللفظ على الحذف، والشروع في الفعل على تعيين المحذوف يدل على أن فيه حذفاً، لأن حرف الجر لا بدّ له من متعلق ودلّ الشروع على تعيينه، وهو الفعل الذي جعلت فيه البسملة، ويقدر حسب الموضع ففي القراءة: أقرأ، وفي الأكل: آكل ونحوه (الزركشيّ، د. ت).

وحذفت الألف في قوله تعالى:﴿**مِمَ خلق**﴾ (الطارق:5) الأصل من ما خلق أي: من أي شيء خلق (ابن خالويه، 1941م)، ومنه ما جاء في أول سورة ﴿**عمّ يتساءلون**﴾ (النبأ:1) وهذا ما أُطْلِق عليه الاقتطاع.

- **ثانيا**: وهو أن يقتضي المقام ذكر شيئين بينهما تلازم وارتباط، فيكتفي بأحدهما عن الآخر، نحو: حذف المبتدأ أو الخبر، وحذف المضاف والمضاف اليه.

4ـ7ـ3 حذف المبتدأ والخبر:

ومن المتلازمات المبتدأ والخبر، وجاء في قوله تعالى:﴿**نار الله الموقودة**﴾ (الهمزة:7). إن شئت جعلت النار بدلاً، وإن شئت جعلتها خبراً لمبتدأ مضمر، أي: هي نارُ الله (ابن خالويه، 1941م).

3 ـ 7 ـ 5 حذف المضاف:

حذف المضاف: قال تعالى: ﴿**والسماء والطارق**﴾ (الطارق: 1) وأقيم المضاف اليه مُقامه، والتقدير وربّ السماء (ابن خالويه،1941م). ومنه قوله تعالى في سورة العلق:» فليدع ناديه» (العلق:17) والنادي المجلس، والنادي القوم يجلسون في المجلس فحذف الأهل وأقام النادي مُقامه. (ابن خالويه،1941م).

جاء في سورة القيامة: ﴿**وذلك دينُ القيمة**﴾ (البينة:5) ذلك: رفع بالابتداء وهو اسم إشارة. دينُ: رفع لأنه خبر المبتدأ، والقيمة جرّ بالإضافة، فإن قيل: الدين هو القيمةُ، فلم لم يقل وذلك الدينُ القيمةُ (ابن خالويه،1941م). فقل العرب تضيف الشيء إلى نعته، نحو قولهم: صلاة الظهر، وحَبّ الحصيد، وقال آخرون: إنما التقدير وذلك دينُ الملة القيمة، وذلك دين الحنفية القيمة، فحذف المضاف وأقام المضاف إليه مقامه (ابن خالويه،1941م).

6ـ7ـ3 حذف الصفة:

وقد يرد حذف الصفة للتعظيم والتفخيم، ومنه قوله تعالى: ﴿**الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف**﴾ (قريش:4). أي من جوع وخوف عظيم (ابن خالويه،1941م).

7ـ7ـ3 حذف الجملة:

ومن الحذف حذف الجملة، وهو مقصور على جملة الفعل والفاعل، نحو قولهم في القسم: **والله** لا فعلت، وأصله أقسم **بالله**، وقد ورد القسم كثيراً في كتاب **الله**، ومنه قوله تعالى في سورة العصر: ﴿**والعصر**﴾ (العصر:1) وفي سورة العاديات: ﴿**والعاديات ضبحا**﴾ (العاديات: 1) وفي سورة التين:﴿**والتين والزيتون**﴾ (التين: 1). وكل الأسماء بعد واو القسم مجرورة بواو القسم. (ابن خالويه،1941م).

ويحذف الفعل، وهو نوعان أحدهما فاعله فيه، فيكون من قبيل حذف الجملة، وهو مقصور على الفعل والفاعل، نحو: نفسك، والتقدير: احفظ نفسك، والآخر حذف الفعل وحده، وذلك عندما يكون الفاعل مفصولاً عنه مرفوعاً به، نحو قوله تعالى: ﴿**إذا السماء انشقت**﴾ (الانشقاق:1)، وقوله تعالى: ﴿**إذا الشمس كورت**﴾ (التكوير:1) أي: إذا انشقت السماء وإذا كورت الشمس (شبانه، 2004م).

8ـ3 النيابة:

أن تحل كلمة محل أخرى، ولا يقتصر النحاة على مصطلح

النيابة، بل يستخدمون مصطلحات أخرى، مثل: يقوم مقام، أو يسد مسد، أو يحل محل، أو يجري مجرى، ويختلف مفهوم النيابة عن التعويض، فالنيابة تبديل يحدث في الموقع نفسه، ولا بّد من وجود علاقة بين النائب والمنوب عنه، لكن التعويض يكون في غير موضع المعوض، كتعويضهم الألف في أول كلمة (ابن) بدلاً من الواو في آخرها، والتعويض والنيابة كلاهما يعتمد على عملية الاستبدال أو إقامة عنصر مكان آخر، فعلى هذا يكون التعويض والنيابة اتساعاً (شبانه، 2004م). وسنذكر بعض الأبواب النحوية التي دخلها اتساع النيابة:

3 ـ 8 ـ 1 نائب الفاعل:

وهو الأصل في النيابة، إذ يحذف الفاعل فينوب عنه في أحكامه كلّها مفعول به، فإن لم يوجد فما اختص وتصرف من ظرف أو مجرور أو مصدر، ويضم أول الفعل مطلقاً (ابن هشام، 1957م). ومنه قوله تعالى: ﴿**إذا زلزلت الأرضُ زلزالها**﴾ (الزلزلة: 1): الأرضُ اسم ما لم يُسَمَّ فاعله، زلزالها: نصب على المصدر (ابن خالويه،1941م). وجاء في قوله تعالى:﴿**إذا بعثر ما في القبور**﴾ (العاديات:9) ما بمعنى الذي، وهو رُفع اسم ما لم يسمّ فاعله (ابن خالويه،1941م).

3ـ 8ـ 2 المصدر:

ومن مظاهر الاتّساع المصدر، قال تعالى: ﴿**وما لأحد عنده من نعمة تجزى إلاّ ابتغاء وجه ربه الأعلى**﴾ (الليل:19). ابتغاء نصب على المصدر. وجاء المصدر في سياق المستثنى من غير جنسه، كما يقول العرب: ارتحل القوم إلاّ الخيام، وبنو تميم تقول: ما في الدار إلاّ حمار، فيرفعون ويبدلون والمصدر ابتغى يبتغي ابتغاء فهو مُبتغ (ابن خالويه،1941م).

وينوب الفعل المشارك في مادته، نحو:﴿تعلمون علم اليقين﴾ (التكاثر:5). (علم) نصب على المصدر، أي: تعلمون ذلك علماً يقيناً حقاً لا شك فيه. فهذا قول النحويين إلاّ الأخفش فإنه قال ينتصب على اليقين على حذف الواو وهو قسم. والأصل وعلم اليقين، فلما نزعت الواو نصبت، كما تقول: **والله** لأذهبنّ (ابن خالويه،1941م). فإذا حذفت قُلْت: **الله** لأذهبن. قال امرؤ القيس (عاصي، 1974م):

فقالت يمين الله مالكَ حيلةٌ
وما إنْ أرى عنــك الغواية تنجلي (الطويل)

أراد فقالت ويمين **الله**، فلما حذف الواو نصب الأصل في الإعراب أن يكون بالعلامات الأصلية: الضمة والفتحة والكسرة والسكون. وخرج عن ذلك الأصل سبعة أبواب (ابن، هشام، د. ت):

– باب ما لا ينصرف. نحو: قوله تعالى: ﴿**لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم**﴾ (التين:4). أحسن: اسم مجرور وهو مضاف، وتقويم: مضاف إليه، وصرف لأنه مضاف، وكل ما لا ينصرف إذا دخلت عليه الألف واللام والإضافة انصرف (ابن خالويه،1941م).

– ومنه قوله تعالى: ﴿**أليس اللهُ بأحكم الحاكمين**﴾ (التين:8). بأحكم: اسم مجرور بالكسرة. والحاكمين: مضاف إليه مجرور بالياء (ابن خالويه،1941م).

– ما جمع بألف وياء مزيدتين، كهندات فإنه ينصب بالكسرة، ومنه قوله تعالى: ﴿**الذين آمنوا وعملوا الصالحات**﴾ (التين:6). الصالحات: مفعول به وكسرت التاء لأنها غير أصلية (ابن خالويه،1941م).

– الأسماء الستة المعتلة المضافة إلى غير ياء المتكلم. نحو قوله تعالى: ﴿**يتيماً ذا مقربة**﴾ (البلد: 15) (ذا) نعت لليتيم، وعلامة النصب الألف (ابن خالويه،1941م).

– المثنى نحو قوله تعالى:﴿**تبت يدا أبي لهب**﴾ (المسد:1) يدا رفع بفعلها، وعلامة الرفع الألف التي قبل النون، وكان في الأصل يدان، فذهبت النون للإضافة و (أبي) جرّ بالإضافة، و (لهب)جرّ بالإضافة. وكني بأبي لهب ووجنتاه كانتا تتوقدان حسنا (ابن خالويه،1941م).

– جمع المذكر السالم، نحو قوله تعالى:﴿**إن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين**﴾ (البينة:6). المشركين: اسم معطوف مجرور بالياء (ابن خالويه،1941م).

– الباب السادس: الأمثلة الخمسة (الأفعال الخمسة) نحو قوله تعالى:﴿**بل تؤثرون الحياة الدنيا**﴾ (الأعلى:19). فعل مضارع مرفوع بثبوت النون (ابن خالويه،1941م). ومنه قوله تعالى:﴿**إلاّ ليعبدوا الله**﴾ (البينة: 5). ليعبدوا: نصب بلام كي، وعلامة النصب حذف النون، وكان الأصل ليعبدون (ابن خالويه،1941م).

– الفعل المعتل الآخر، نحو قوله تعالى:﴿**فليدع ناديه**﴾(العلق: 17) اللام لام الأمر، يدُع فعل مضارع مجزوم، وعلامة جزمه حذف الواو (ابن خالويه،1941م).

– واقتضت العلاقة بين الحدث والفعل النظر في الزمن الذي يحدد الحدث أي أن الفعل هو تزمين للحدث، ونحاة العرب أدركوا الثنائية التي يحملها الفعل، وبناء على ذلك قسموا الفعل إلى ثلاثة أقسام: الفعل الماضي والمضارع والأمر.

– وعرّف النحاة الفعل الماضي بأنه الفعل الذي حدث في زمن ليس زمانك، وعلى الرغم من أنّ دلالة الماضي واضحة، إلاّ أنها مترددة بين الماضي والاستقبال بتأثير من أداة تسبقه، فعند قولك: إن درست جيداً، فأنت ناجح لا محالة، نجد أن (إن) قد غيرت دلالة الفعل إلى الزمن الحاضر، أما في قوله تعالى:﴿**وسيق الذين اتقوا ربهم إلى الجنة زمراً**﴾ (الزمر:27) فالفعل محوّل إلى المستقبل، والمضارع يكون للحال والاستقبال والحاضر، أمّا الأمر فلا يصلح إلاّ للحال، وقد ميّز النحاة بين فعل الأمر والفعلين الماضي والمضارع في أنه لا يحتمل الدلالة على غير المستقبل (دعيبس،2015م).

3 ـ 9 التغليب:

ورد التغليب إلى النيابة، لأن اللفظ ينوب عن غيره، ويطغى على الآخر، وفي ذلك ظهور لأحدهما دون الآخر، فكأنه ناب عنه، وقام بمعناه.

والتغليب على أنواع منها:

- **الأول**: تغليب المذكر، ومنه قوله تعالى: ﴿**يدخلون في دين الله أفواجا**﴾ (النصر:2). أفواجاً نصب على الحال، واحدهم فوج. والفوج جمع لا واحد له من لفظه، مثل: الرّهط، والقبيلة، والعصبة، والنفير، الملأ، والقوم. والنّفر يقع على الرجال دون النساء (ابن خالويه،1941م).

ومنه تغليب الناس على الجن والناس، قال تعالى:﴿**الذي**

يوسوس في صدور الناس من الجنة والناس﴾ (الناس:5). والناس ها هنا الجن والإنس جميعاً، فلذلك قال (من الجنة والناس) كما يقال مررت بالناس شريفهم ووضيعهم، ومررت بالناس هاشميِّهم وقرشيِّهم (ابن خالويه،1941م).

- **الثاني**: تغليب الواحد على الجماعة، ومنه قوله تعالى: ﴿**يخرج من بين الصلب والترائب**﴾ (الطارق:7). فإن قيل: لمَ لمْ تقل يخرج من بين الصلب والتريبة فكيف جمع أحدهما، ووحد الآخر.

فالجواب في ذلك أن صدر المرأة هو تريبتها، فيقال للمرأة ترائب، يعني التريبة وما أحاط بها، وكذلك تقول العرب: رأيت خلاخيل المرأة وثديّها، وانما لها ثديان وخلخالان، وفيه جواب آخر يخرج من بين الأصلاب والترائب فاكتفى بالواحد عن الجماعة (ابن خالويه،1941م).

وأصل تربَ يَترَب، تَرَبًا، فهو تَرِب. ترب الشَّخصُ:أصابه التّرابُ. تربت يدُه: افتقر، كأنه لصق بالتراب ترِب. تَربَت الرِّيحُ: حَمَلَتْ تُرَاباً. فَاظْفَرْ بذات الدِّين تربت يداك (حديث): دعاء له بالخير (خسر). المكانُ: كثُر ترابُه. عظام الصدر ترائب (اللسان، مادة ترب). والكلمة تبقى في فلك المعنى الرئيس التراب، وتشير إلى أصل خلق الانسان من الذكر والأنثى.

ومنه كلمة إنسان لفظ واحد فهو في معنى الجمع، لأن العرب توقع الإنسان على المذكر والمؤنث والواحد والجمع، ومن العرب من يقول في المؤنث إنسانه، قال أبو علي الرّذوريّ:

إنسانة تسقيك من إنسانها
خمراً جلالاً مُقلتاها عنبه (الرّجز)

وقد جمعوا إنساناً أناسيه. ومن العرب من يجمع الإنسان أناسين. (الرضيّ، د. ت)، مثل: بستان وبساتين، فأمّا قوله: ﴿**وأناسيّ كثيراً**﴾ (الفرقان:49). فقيل واحدهم إنسيّ (ابن خالويه،1941م). وفي قوله تعالى:﴿**إن الإنسان لفي خسر**﴾ (العصر:2). قال المبرد: الإنسان ها هنا جمع في معنى الأناسيّ والناس، ولو كان واحداً لم يجز الاستثناء منه، والإنسان لفظ يقع للذكر والأنثى من بني آدم، كما يقال: بعير، فيقع على الناقة والجمل (ابن خالويه،1941م).

وإنسان على وزن فعْلان، والإنس جمع جنس، وفي الأناسي خلاف فقيل جمع إنسي، وقيل الأناسي جمع إنسان، وأصله أناسين، حذفوا نونه، وعوضوا عنه ياء، اجتمع ياءان فأدغموا، فصار أناسي، والناس تخفيف الأناسي، حذفوا الهمزة طلبا للخفة، وسميّ الإنسان لأنه يأنس ويؤنس به، وقيل الإيناس الإبصار والعلم والإحساس، وكلمة ناس اسم جمع، إذ لا مفرد لها من جنسها، وهو اسم جنس يدلل على معنى الجمع (الدامغاني، 1971م)، وترد كلمة الأنسان جمعاً، والإنسان لفظ يقع على المذكر والمؤنث، وربما أكدت العرب فقالوا إنسان وانسانة (ابن خالويه،1941م).

ومن مظاهر الاتّساع أن تستعمل الكلمة للمذكر والمؤنث بمعنى تذكر وتؤنث، ومنه قوله تعالى:﴿**والليل إذا يغشاها**﴾ (الشمس:4). الليل يذكر ويؤنث. (ابن خالويه،1941م). والفؤاد، والذراع، والسلطان تذكر وتؤنث (ابن سيده، د. ت).

وجدير بنا أن نشير إلى أنّ سيبويه يرى المذكر أصل والمؤنث فرع عليه، ويعلل ذلك بقوله: وإنما كان المؤنث بهذه المنزلة ولم يكن كالمذكر، لأن الأشياء كلها أصلها التذكير ثم اختص بعد، فالتذكير أول، وهو أشد تمكنا (سيبويه، 1973م).

ومعروف أن الجنس في الطبيعة ثلاثة أصناف: الذكر، والأنثى، والمحايد الذي لا ينتمي إلى الذكر والأنثى، أما الجنس في لغتنا فينقسم إلى المذكر والمؤنث، وأجمع النحاة على أن الذكر في الجنس اللغوي هو الأصل، فلذلك احتاج المؤنث لعلامة تميزه عن المذكر، فيقال الأبوان في الأب والأم عند تثبيتهما، والأخوان في تثنية الأخ والأخت، وتشمل الأبناء أو البنون البنات، وتشمل الإخوة الأخوات، والعكس ليس كذلك (هوانج، 2016م).

ويفرق النحاة بين الجنس الحقيقي والمجازي، فالأسماء التي تدل على كائنات لها جنس في الطبيعة مما يتكاثر كالرجل والمرأة والجمل والناقة جنس حقيقي، والأسماء التي تدل على ما لا يتكاثر من الجوامد ومصادر الأفعال والأشياء مما لا يتكاثر جنس مجازي، فعلى سبيل المثال يكون التذكير في القمر والفرح تذكيراً مجازياً، ويكون التأنيث في الشمس والسعادة تأنيثاً مجازياً (هوانج، 2016م).

3 ـ 10 **التَضْمين**:

والتضمين جعل الشيء في باطن شيء آخر، وإيداعه إياه، ويقال: ضمن فلان ماله خزانته، فتضمنته هي، والخزانة مضمن فيها، وهي أيضًا متضمنة والمال متضمن (اللسان، ضمن). والتضمين أن يؤدي (أو يتوسع) في استعمال لفظ توسعًا يجعله مؤديًا معنى لفظ آخر مناسب له، فيعطي الأول حكم الثاني في التعدي واللزوم. وهو عند بعضهم: «إشراب لفظ معنى لفظ آخر، وإعطاؤه حكمه؛ لتصير الكلمة تؤدي معنى الكلمتين (ابن هشام، 1987م). ولم ترد اللفظة عند ابن خالويه، ولم يصرح بها، ولكنه طبق ذلك في كتابه، إذ ضمّن الأفعال والحروف والأسماء.

والتضمين إعطاء الشيء معنى الشيء، وتارة يكون في الأسماء، وفي الأفعال، وفي الحروف، فأمّا في الأسماء فهو أن نُضَمن اسماً معنى اسم، لإفادة معنى الاسمين جميعاً، كقوله تعالى: ﴿**حقيق علي ألاّ أقول على الله إلاّ الحق**﴾ (الأعراف: 105). ضمّن (حقيق) معنى (حريص).

وأما الأفعال فكأن نُضمن فعلا معنى فعل آخر، ويكون فيه معنى الفعلين جميعاً، وذلك بأن يكون الفعل متعدياً بحرف، فيأتي بحرف آخر ليس من عادته التعدي به، والحرف يقع محل غيره من الحروف، ومنه قوله تعالى:﴿**عينا يشربُ بها عباد الله**﴾. (الانسان:6) فضُمِّن (يشرب) معنى (يروي)، لأنه لا يتعدى بالباء، فلذلك دخلت الباء، وإلاّ (يشرب) يتعدىّ بنفسه، فأريد باللفظ الشرب والريّ معاً، وقيل التجوز في الحرف، وهو الباء فإنها بمعنى (من). وقيل العين هنا إشارة إلى المكان (الزركشيّ، د. ت) ويخرج الباء في هذه الحالة من باب التضمين.

وقيل (بسم **الله** الرحمن الرحيم) من باب التضمين؛ لأنه تضمين يعلم الاستفتاح في الأمور باسمه على جهة التعظيم **لله** تعالى أو الترك باسمه (الزركشي، د. ت).

ومنه قوله تعالى: ﴿**والسماء والطارق**﴾ (الطارق:1) الواو: حرف قسم (ابن خالويه،1941م). وحروف القسم أربعة (الواو، والباء والتاء والهمزة)، وإنما جرّت الواو لأنها عوض عن الباء،

والتقدير أحلف بالسماء، ثم أسقطوا أحلف، وجاز القسم بغير الله؛ لأن التقدير ورّب السماء، فحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مُقامه (الزركشيّ، د. ت).

وورد تضمين فعل معنى فعل في قوله تعالى:﴿**ما ودعك ربك**﴾ (الضحى:3) فيكون معنى ما ودعك أي ما تركك (الزركشيّ، د. ت)، قال الشاعر:

ليت شعري عن خليلي ما الذي
غاله في الحبّ حتى ودعهْ (**المديد**)

وحملت الكلمة معاني منها: – ودع الشيء: تركه. – ودع: عنده مالا: تركه عنده وديعة. – ودع الشيء: سكن. واستقر. – ودع: سكن واطمأن. – ودع المسافر الناس: خلفهم خافضين وادعين. – ودع الثوب بالثوب: صانه، حفظه (القيسي،2010م، مادة ودع). ويتضح من ذلك استحواذ الكلمة على معاني كثيرة.

وعن عائشة أن الرسول عليه السلام قال في سياق حديث: «يا عائشة إن شر الناس منزلة يوم القيامة مَنْ ودعه الناسُ– أو تركه الناس– اتقاء فحشه» (القسطلاني،1971م).

وَضمن الاسم معنى الاسم في قوله تعالى:﴿**وما أدراك ما الطارق**﴾. (الطارق: 2) فلفظ الاستفهام معناه التعجب (ابن خالويه،1941م).

أما «ما» فلغة بني تميم أنّها لا تعمل؛ ولا يخّتص بالأسماء أو الأفعال، وأهل الحجاز أعملوها، نحو: ما زيد قائماً، وإن زيد بعدها (إن) بطل عملها، ومن شروط عملها: ألا ينتقص خبرها بإلاّ، نحو: ما زيدٌ إلاّ قائم، وألاّ تتكرر ما، نحو: ما ما زيد قائم (ابن عقيل، 1985م).

وأمّا (إنْ) النافية فمذهب البصريين، والكوفيين– خلا الفرّاء– أنّها تعمل عمل (ليس)، وتعمل في النكرة والمعرفة، فنقول: إن رَجلٌ قائماً، كما تختص بها (لا). وانتقاض النفي بعد الخبر بإلاّ لا يقدم في العمل (ابن عقيل، 1985م)، وهذا يخالف عمل (ما) في الحالة نفسها.

ومن الأمثلة على تضمين حرف معنى حرف آخر، قوله تعالى:﴿**إن كل نفس لمّا عليها حافظ**﴾ (الطارق:4). وإن بمعنى ما (ابن خالويه،1941م). معناه ما أنت إلاّ نذير. ومنه قوله تعالى: ﴿**فذكر إن نفعت الذكرى**﴾ (الأعلى:9). الذكرى رفع بفعلها. فإن قيل: فأين جواب الشرط. فقل معنى الآية التقديم والتأخير: إن نفعت الذكرى فذكر، ويقول آخرون (إن) بمعنى (قد)، أي فذكر قد نفعت الذكرى (ابن خالويه،1941م).

3 ـ 11 الترادف:

الترادف اجتماع كلمتين أو أكثر على معنى واحد، ومن شروطه اتفاق هذه الكلمات على هذا المعنى في ذهن الكثرة الغالبة من أفراد البيئة الواحدة والعصر الواحد. وقد تقع المفردات في الأفعال نحو: خلق الله الخلق، وفطرهم، وبرأهم، وأنشأهم. وفي الأسماء، نحو، البُعد، فراق ونأي، وبين، وفي الجمل، نحو: التوبة: أقلع فلان عن ذنبه، غسل إساءته: تاب عن ذنبه. (المصري، 1983م).

ونخلص الى القول إن الاسم الواحد يسمى بأشياء كثيرة مختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، وقد يكون الاسم واحداً، مثل: اسم (السيف) والبقية صفات.

وأطلق الفيروز أبادي أسماء على بعض الألفاظ تُسمىّ بها، وذكر أحياناً سبب التسمية، فمثلاً قال: وتسمي الصداق نِحْله من حيث إنه لا يجب في مقابلته أكثر من تمتع دون عرض مالي. واهتم بذكر المرادف للحرف ففي (منْ) ذكر أنها ترادف أكثر من لفظ، فقال: مرادفة (عن) قال تعالى ﴿**فويل للقاسية قلوبهم من ذكر الله**» (المزمل: 22)، وقال مرادفة (الباء) ﴿**ينظرون من طرف خفي**﴾ (الشورى: 4)، وقال مرادفه (في) في قوله تعالى:﴿**أروني ماذا خلقوا من الأرض**﴾ (فاطر: 40)، وقال مرادفه (على)، نحو: ﴿**ونصرناه من القوم**﴾ (الأنبياء: 77). وقيل على التضمين أي معناه: منهم بالنصر. (الكردي، 2005م).

ويفرق العلماء بين نوعين من الترادف، الترادف المطلق، وشبه المطلق، والمطلق يتحقق إذا توافر شرطان: الاتحاد العام في الدلالة الهامشية والمركزية، والدلالة الهامشية هي تلك الدلالة التي تختلف باختلاف الأفراد، وأمزجتهم، وما ورثوه عن آبائهم، وتختلف هذه الدلالة باختلاف تجارب الناس، والدلالة المركزية هي القدر المشترك الذي يسجله اللغوي في معجمه، وتكون واضحة في أذهان الناس، وقد تخفى على بعضهم، مثل: كلمة (شجرة) (أنيس، 1993م). فدلالتها راسخة منذ الطفولة في ذهن الإنسان حتى الكهولة، وشبه الترادف تحقق حيث تتشابه الألفاظ المترادفة في دلالتها الهامشية والمركزيّة، وهذا لا يقبل التبادل التام في السياقات المختلفة كلها (جبل، 1997م).

وتحمل بعض الكلمات الدلالة نفسها، وقد ذكرها السيوطي بقوله: الألفاظ المفردة الدالة على شيء واحد (السيوطي، 1986م)، وألف ابن خالويه كتاباً في (أسماء الأسد) وآخر في (أسماء الحيّة)، والفيروز أبادي (ت817هـ) كتاباً أسماه (الروض المسلوف فيما له اسمان الى ألوف) (خليل،1992م).

ويرى (ستيفن أولمان) أن الترادف التام نادر الوقوع إلى درجة كبيرة، فهو نوع من الكماليات لا تجود بها اللغة بسهوله ويسر (جزن لاينز،1980م).

وفطن علماء العربية القدامى إلى ظاهرة الترادف في وقت مبكر، إلاّ أنهم لم يفطنوا إلى وضع مصطلح لغوي لها، فسيبويه في كتابه يعرّفنا بتنوع الألفاظ في اللغة العربية لتنوع مدلولاتها وعبّر عنه باختلاف اللفظين والمعنى واحد (الشايع،1993م).

وقدرة ابن خالويه في التأليف في المترادفات الآنفة الذكر تجلت في كتابه اعراب ثلاثين سورة، ونراه يكثر من المسميات لشيء واحد، وجاء في تعليقه على قول الشاعر:

فهي تُنَزّي دَلْوَها تَنْزِياً
كما تُنَزّي شَهْلَةٌ صَبياً (**المنسرح**)

الشَهْلَةُ المرأةُ العجوز، ومثلها الشَّهْبَرَةُ والقَحْمةُ، فأَما الزَوْلةُ فالمرأة الظريفة تكون تابَةً وشابَّة. والتابّة العجوز. (ابن خالويه،1941م). وأضاف الشهلةُ العجوز، ويقال عجوز حَيزبون وعضْمزةٌ وشهبرةٌ وشهربَهٌ والقحْلةٌ وقحمةٌ، كلُّها المسنة. وهذه المترادفات الدلالية جاءت في موقعين (ابن خالويه،1941م). على نفس البيت، وهذا يدلل على مقدرة ابن خالويه اللغوية.

وجاء في أسماء جهنم سقر، وجهنم، والجحيم، ولظى. وهذه الأسماء معارف لا تنصرف للتأنيث والتصريف (ابن خالويه،1941م). وجاء في تعليقه على قوله تعالى: ﴿**الذي انقض ظهرك**﴾ (الشرح:3) يقال: الظهر والمطا والجَوْرُ والمتْنُ والمثْنة والقرا، كلّه الظهر.

ومن مرادفات الغلام السمين، يقال: غلام خَزَّوَّر، وغلام حادر، وفَلهد، وفَرْهَدْ، وفَوْهَدْ، إذا كان سميناً حسنا. (ابن خالويه،1941م).

ومن الترادف التوسع في ترادف الصفات، كقوله تعالى: ﴿**أَوْ كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ لُّجِّيٍّ يَغْشَاهُ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ مَوْجٌ مِّن فَوْقِهِ سَحَابٌ ظُلُمَاتٌ بَعْضُهَا فَوْقَ بَعْضٍ إِذَا أَخْرَجَ يَدَهُ لَمْ يَكَدْ يَرَاهَا وَمَن لَّمْ يَجْعَلِ اللَّهُ لَهُ نُورًا فَمَا لَهُ مِن نُّورٍ**﴾ (النور:40). ومن التوسع في الذم (الزركشي، د. ت) كقوله تعالى: ﴿**وَلَا تُطِعْ كُلَّ حَلَّافٍ مَّهِينٍ**﴾. (القلم:10 – 11)

ونخلص الى القول إن الاسم الواحد يسمى بأشياء كثيرة مختلفة، نحو: السيف والمهند والحسام، وقد يكون الاسم واحداً، مثل: اسم (السيف) والبقية صفات (ابن الفارس،1997م).

4 ـ خاتمة

خلاصة البحث ونتائجه

يخلص الباحث إلى أن ابن خالويه انتهج التطبيق في مساره اللغوي، وتراه يُسْهب في المترادفات ويجتلب التراكيب، ويتحدث في القراءات، **ويجول في وجوه الإعراب، وتوصل الباحث إلى جملة من النتائج، منها:**

1. تباينت الآراء حول مفهوم الاتّساع عند العلماء، ولم يقفوا عند معيارية ثابته لحدود المصطلح.
2. تقوم منهجية ابن خالويه على توضيح موضع الاتّساع (مواطن الشاهد)، والاحتمالات الإعرابيّة ويعللها، ويفتح آفاقاً صرفية حول موطن الدلالة.
3. أكثر ابن خالويه من المترادفات للمفردات.
4. أظهر ابن خالويه ظاهرة التوسع في السمات والتراكيب والمفردات.
5. وظّف ابن خالويه التوسع اللغوي في التقديم والتأخير وتعدد الوجوه الإعرابية في القراءات، والحذف والتضمين والمترادفات؛ **لذا يوصي الباحث بدراسة:**
   - الجانب الصرفي عند ابن خالويه.
   - الشواهد النحوية واللغوية عند ابن خالويه.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

أنيس، إبراهيم. (1993م). دلالة الألفاظ، ط7، مكتبة الانجلو المصرية.

- البخاري. (د. ت). صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب حسن الخلق والسخاء وما يكره من البخل.
- جبل، عبد الكريم محمد حسن. (1997م). في علم الدلالة دراسة تطبيقيّة في شرح الأنباري للمفضليات، دار المعرفة الجامعيّة.
- الجرجاني. (1422هـ2001–م). أسرار البلاغة في علم البيان، تحقيق الدكتور عبد الحميد هنداوي، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- الجرجاني، عبد القاهر. (1402هـ، 1981م). دلائل الإعجاز، وقف على تصحيحه: محمد رشيد رضا، بيروت: دار المعرفة.
- ابن الجَرزيّ. (د. ت). المثل السائر في أدب الكاتب والشاعر، حقيقة محمد محمد عويضة، بيروت: دار الكتب العلمية.
- ابن الجزريّ. (د. ت). النشر في القراءات العشر، حققه: علي محمد الضبّاع، مطبعة التجارة الكبرى.
- ابن جني. (1371هـ، 1952م). الخصائص، تحقيق محمد علي النجار، بيروت: دار الكتاب العربي.
- حامد، عبد السلام السيّد. (2002م). الشكل والدلالة دراسة نحوية للفظ والمعنى، القاهرة: دار غريب.
- الحديثي، خديجة. (د. ت). دراسات في كتاب سيبويه، الكويت: وكالة المطبوعات.
- الحسيني، رياض عبود. (د. ت). ظاهرة الاتّساع النحوي –أبو علي الفارسي–كلية الآداب، الجامعة المستنصريّة، بحث منشور.
- حمودة، طاهر. (د. ت). ظاهرة الحذف في الدرس النحوي، الإسكندرية: الدار الجامعيّة للطباعة والنشر.
- ابن خالويه. (1360هـ،1941م). إعراب ثلاثين سورة من القرآن الكريم، مكتبة المتنبي، ومطبعة دار الكتب المصريّة.
- ابن خالوية. (1427هـ، 2006م). اعراب القراءات السبع وعللها، ط1، دار الكتب العلميّة، بيروت.
- الخطيب، محمد عبد الفتاح. (2006م). الفكر النحوي، دار البصائر، القاهرة.
- ابن خلدون. (د. ت). مقدمة ابن خلدون، حققها: علي عبدالواحد الوافي، ط3، دار النهضة مصر:القاهرة.
- خليف، يوسف. (1977م). ذو الرّمة شاعر الحب والصحراء، القاهرة: دار غريب.
- خليل، حلمي. (1992م). الكلمة دراسة لغوية معجميّة، ط2، الإسكندرية: دار المعرفة.
- الداني، أبو عمر بن سعيد. (1416هـ، 1996م). كتاب التيسير في القراءات السبع، ط1، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- دعيس، محمد محمود. (2015م). وظيفة التفكير النحوي عند النحاة العرب، رسالة دكتوراة، جامعة اليرموك.
- دي بوجراند. (1414 هـ، 1998 م). النص والخطاب والإجراء، ط 1، ترجمة: تمام حسان،عالم الكتاب.
- الرضي، الأستر أباذي. (د. ت). شرح الكافية، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- الزجاج. (1414 هـ، 1994 م). معاني القرآن وإعرابه، شرح وتحقيق عبد الجليل عبده شلبي، القاهرة: دار الحديث.
- الزحيلي، محمد. (د. ت). مرجع العلوم الإسلامية، دمشق، مطبعة الصباح.
- الزركشي. (د. ت). البرهان في علوم القرآن، تحقيق محمد أبو الفضل

ابراهيم، بيروت: دار المكتبة العصرية.

- الزوزني. (1971 م). شرح المعلقات السبع، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- السامريّ، فاضل صالح. (1421 هـ، 2000م). الجملة العربيّة والمعنى، ط 1، دار ابن حزم.
- سيبويه. (1973 م). الكتاب، تحقيق: عبد السلام هارون، الهيئة العامة للكتاب.
- السيوطي. (1974م). الاتقان في علوم القرآن، الحقق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار الهيئة العامة المصريّة للكتاب.
- السيوطي، جلال الدين. (1429 هـ، 2008م). الإتقان في علوم القرآن، حققه: شعيب الأرنؤوط، ط1، بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السيوطي. (1420هـ، 1999م). الأشباه والنظائر، تحقيق محمد الفاطيلي، بيروت: المكتبة العصرية.
- السيوطي. (1986م). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، شرح وتعليق محمد جاد بك ومحمد أبو الفضل وعلي محمد البخاري، بيروت: المكتبة العصرية.
- السيوطي. (د. ت). المزهر في علوم اللغة وأنواعها، بيروت: دار الفكر.
- ابن سيدة. (د. ت). المخصص، القاهرة: دار الكتاب الإسلامي،
- الشايع، ندى عبدالرحمن يوسف. (1993م). معجم لغة دواوين شعراء المعلقات العشر تأصيلاً ودلالة وصرفا، ط1، بيروت، مكتبة لبنان ناشرون.
- شبانه، حسن محمود. (1424هـ، 2004م). ظاهرة الاتّساع في النحو العربين ط1، عمان: دار الفتح.
- شندي، إسماعيل و عبد الباسط، تقي الدين. (1427هـ، 2006 م). القراءات القرآنية وأثرها في اختلاف الفقهاء، مجلة جامعة القدس للأبحاث والدراسات، مجلة نصف حوليّة، (7)، ربيع أول.
- الطبراني. (1404 هـ، 1984 م). المعجم الكبير، حققه: حمدي عبد المجيد، ط 2، دار إحياء التراث العربي.
- الطبري. (1421هـ، 1992م). التلخيص في القراءات الثمان، تحقيق: محمد موسى، ط1، جدّة: الجماعة الخيرية لتحفيظ القرآن الكريم.
- الطوفي، سليمان بن عبد القوي الصرصري. (1977م). الإكسير في علم التفسير، حققه عبد القادر حسين،القاهرة: مكتبة الآداب.
- عاصي، حجر. (1994م). شرح ديوان امرئ القيس، ط1، بيروت: دار الفكر العربي.
- العسقلاني. (1407 هـ، 1986م). فتح الباري شرح صحيح البخاري، دار الريّان.
- عسكري، محمد صالح. (2009م). مصطلح التوسع في معاجم اللغة (مفهومه وحدوده)، مجلة اللغة العربية وآدابها، (9).
- ابن عقيل. (1985). شرح ابن عقيل على ألفية ابن مالك، ط2، بيروت: دار الفكر العربي.
- غازي، السائد مصطفى. (1967م). الأخطل شاعر بني أميّة، دار المعارف.
- الغول، عطية. (2018م). الاتّساع اللغوي بين القديم والحديث، دار البيروني للنشر.
- ابن فارس0 (1997) الصاحِبيٌّ في فقه اللغة العربيّة ومسائلها وسنن العرب في كلامها، ط1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- الفارسيّ، أبوعلي الحسن بن أحمد. (1983م). الحجة في علل القراءات السبع، تحقيق: علي النجدي ناصف وآخرين، ط2، القاهرة: الهيئة المصريّة العامة.
- الفارسي. (1403هـ، 1983 م). الحجة للقراءات في علل القراءات السبع، تحقيق علي النجدي وآخرون،
- ط 2، الهيئة العامة المصريّة للكتاب.
- القسطلاني. (1971م). إرشاد الساري لشرح صحيح البخاري، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- القزويني. (1998م). الإيضاح في علوم البلاغة، ط4، بيروت: دار احياء العلوم.
- القطان، مناع. (1400 هـ، 1980 م). مباحث في علوم القرآن، ط 9، مؤسسة الرسالة.
- القيسي. (1971). مشكل إعراب القرآن، تحقيق: ياسين السواسي، ط 2، دمشق: دار المأمون.
- القيسي، حسان. (2010م). معجم الأعشاب والنباتات الطبية، بيروت: دار الكتب العلميّة.
- الكردي، محمد أحمد. (1426ه، 2005م). الفيروز أبادي مفسراً، ط1، القاهرة: مكتبة البلد الأمين.
- لاينز، جون. (1980م). علم الدلالة، ترجمة مجيد الماشطة، البصرة: مطبعة جامعة البصرة.
- مختار، أحمد. وسالم، عبد العال. (1997 م). معجم القراءات القرآنية، ط 3، عالم الكتب.
- المصري، عبد الفتاح. (1403هـ، 1983م). قطوف لغوية (الفصيح ومراتبه أمثال وطرائق أسماء والقاب، أخطاء شائع دمشق: مؤسسة علوم القرآن.
- مصطفى، عادل. (2017م). مغالطات لغوية، مؤسسة هنداوي سي آي سي، المملكة المتحدة.
- ابن منظور: لسان العرب. (1418هـ، 1997م). ط2، بيروت، دار إحياء التراث ومؤسسة التاريخ العربي.
- ابن هشام. (د. ت). شرح شذور الذهب، بيروت: دار الفكر.
- ابن هشام. (1377هـ، 1957م). قطر الندى وبل الصدى، ط9، مصر: المكتبة التجارية الكبرى.
- ابن هشام. (1985م). معنى اللبيب عن كتب الأعاريب، ط6، تحقيق مازن المبارك ومحمد علي حمد بيروت: دار الفكر.
- هوانح، تشي تشي. (2016م). المطابقة النحوية في اللغة العربية في ضوء اللسانيات الحديثة، ط1، أردن، أروقة.

References List

- *The Holy Qu'ran*
- *Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah Publishing House.*
- *Anis, I. (1993). Dalalet al-Alfath [Semantics] (7th ed.). Egypt: The Anglo Egyptian Bookshop.*
- *Al-Bukhari, M. (n/d). Sahih al-Bukhari: Ktab Aladb, Bab Husn Alakhlq Walsakha› Wma Yukrh Mn Albukhl [Bukhari*

- *Alzozani, A. (1971). Shareh Alm›elqat Alsb›e [Exegesis of the Seven Odes]. Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah Publishing House.*
- *Al-Samirii, F. (2000). Al-Jumlah Al-'Arabiya Wel Ma'na [Arabic Sentence and Meaning] (1st ed). Inb Hazm Publishing House.*
- *Sibawayh, A. (1973). Al-Kitab [The Book]. In A. Haroun (Ed.). The General Book Body.*
- *Al-Suyuti, J. (1974). Alitkan fy ‹Elom AlQur'an [Language Proficiency in the Qu'ran]. In M. Ibrahim (Ed.). Cairo: General Egyptian Book Organization. .*
- *Al-Suyuti, J. (2008). Al-Itqān fi 'Ulum Al-Qur'an [The Perfect Guide to the Sciences of the Qur›an] (1st ed.). In Sh. Alarnawt (Ed.). Beirut: Al-Resalah Publishing. .*
- *Al-Suyuti, J. (1999). Alashbah Walnza›er [A Book on Synonyms and Antonyms]. In M. Al-Fatili (Ed.). Beirut: Alassrya Publishing.*
- *Al-Suyuti, J. (1986). Almzher fy ‹Elom Alloghh Wanwa›eha [A Book on Linguistics]. In M. Jad Bik, M. Abu Alfadel & A. Albukhari (Eds.). Beirut: Alassrya Publishing.*
- *- Al-Suyuti, J. (n/d). Almzher fy ‹Elom Alloghh Wanwa›eha [A Book on Linguistics]. Beirut: Dar al-Fikr.*
- *Ibn Sīdah. (n/d). Al-Mukhassas [The Specialized Book]. Cairo: Islamic Book House.*
- *Al-Shayi', N. (1993). M›ejm lughat Dwawyn sh›era› alm›elqat al›eshr ta'sylaan wdlalh wsrfa [A Lexicon on the Language of al- Mu›allaqat Poets] (1st ed.). Beirut: Lebanon Library, Publishers.*
- *Shabaneh, H. (2004). Zahrht Aletsa›e fy Alnhw Al›erby [Expansion in the Arabic Grammar] (1st ed.). Amman: Dar Al-Fateh Publishing.*
- *Shanadi, I. & Abed Albaset, T. (2006). Alqra›at Alqranyh Wathrha fy Ekhtlaf Alfqha› [Quranic Recitations and their Impact on the Opinions of the Religious Scholars]. Journal of Al-Quds Open University for Research and Studies, (7). 18. 36.*
- *Al-Tabarani. (1984). Al-Mu›jam Al-Kabir [Grand Collection of Hadith] (2nd ed). In H. Abdel Majid (Ed.). House of Reviving Arabic Heritage.*
- *Al-Tabari. (2000). Altalkhees fi al-Qira'at al-Thaman [A Specialized Book on Vers es Reading] (1st ed). In M. Musa (Ed.). Jeddah: The Charitable Society for Memorizing Quran.*
- *Al-Tufi, S. (1977). Aleksyr fy ‹Elm Altfsyr [Elixir of Tafsir]. In A. Hussin (Ed.). Cairo: Al Adab Editions.*
- *Assi, H. (1994). Shrh Dywan Imru› al Qais [Commentary on the Diwan of Imru› al-Qais] (1st ed.). Beirut: Dar al-Fikr al-Arabi.*
- *Al-Asqalani. (1986). Fath al-Bārī fī Sharh sahīh al-Bukhārī [A Commentary on sahīh al-Bukhār]. Al-Rayyan Publishing House.*
- *Al-Askary, M. (2009). Mustalah Al-Tawasu' Fi Me'ajim Allugha (Mafhumahu Wa Hududahu) [A Specialized Book on Language Dictionaries: Definitions and Limitations] (9th Volume). Journal of Arabic Language and Literature.*
- *Ibn ‹Eqyl. (1985). Shrh Ibn ‹Eqyl ‹Ela Alfyh Ibn Malik [Ibn Akeel's Interpretation of Arabic Grammar]. (2nd ed.). Beirut: Dar al-Fikr.*
- *Ghazi, A. (1967). Alakhtl Sha›er Bny Amyh [Al-Akhtal, the Poet of the Umayyad Caliphate]. Dar el-Marefah.*
- *[Language Vastness Amid Modernity and Archaism]. Albayrouny Publishing House.*
- *Ibn Faris. (1997). Alsahby Fy Fqh Allghh Al'erbyh Wmsa'elha Wsnn Al'erb Fy Kelamiha [A Specialized Book on Language]. (1st ed.). . Beirut: Alfikr Publishing House. .*
- *Al-Farisi, A. (1983). Al-Hujjah Fi 'Ilal Al-Qira'at Al-Sab' [The True Reading of Verses] (2nd ed.). In A. Nasef et al. (Eds.). Cairo: General Egyptian Book Organization.*
- *Alkafwi, A. (1998). Alkulyat [Linguistic Lexicon] (2nd ed.). Collection of Hadith: The Book of Good Manners, the Chapter of Good Manners, Generosity, and Dismissed Acts of Miserliness].*
- *Jabal, A. (1997). Fy ‹elm aldlalh drash ttbyqyh fy shrh alanbary llmfdly [A Specialized Book On Semantic]. Dar Elmarefah..*
- *Al-Jurjani, A. (2001). Asrar al-Balaghah Fi Elm Albayan [Secrets of Rhetoric] (1st ed.). In A. Hindawi (Ed.). Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah Publishing House.*
- *Al-Jurjani, A. (1981). Dalā'il al-Ijaz [Intimations of Inimitability]. In M. Rida (Ed.). Beirut: Dar el-Marefah.*
- *Ibn al-Jarzi, A. (n/d). Almthl Alsa›er fy Adb Alkatb Walsha›er [The Current Model for the Literary Discipline of the Scribe and Poet]. In M. Awedah (Ed.). Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah Publishing House.*
- *Ibn al-Jarzi, A. (n/d). Al-Nashr fi Alqra›at Alashr [Syntax of the Ten Styles]. In A. al-Dabba' (Ed.). Cairo: Grand Commercial Press.*
- *Ibn Janih, J. (1952). Al-Khasa›is [A Book on Philology]. In M. Al-Najar (Ed.). Beirut: Dar AlKitab Al Arabi.*
- *Hamed, A. (2002). Alshkl Waldlalh Drash Nhwyh llfz Walm›ena [A Linguistic Study of the Meaning and Pronunciation]. Cairo: Ghareeb Publishing House.*
- *Al-Hadethy, Kh. (n/d). Derasat fy Kitab Sibawayh [Studies on the Book of Sibawayh]. kuwait: El-Matboat Publishing Agency.*
- *Al-Hussini, R. (n/d). Zahrht Aletsa› Alnahwy [Expansion in Grammar]. Abu Ali Alfarsi. Faculty of Art, Mustansiriyah University. A Published Paper.*
- *Hamudah, T. (n/d). ZāhrT ālhdf fy āldrs ālnhwy [Omitting Phenomenon in Grammar]. Alexandria: University House for Printing and Publishing.*
- *Ibn Khalawayh, A. (1941). E›erab Thlathyn Swrh mn Alquran Alkrym. [Parsing 30 Verses from the Quran]. Al-Mutanabbi Library and Dar Al-Kotob Al-Masria.*
- *Ibn Khalawayh, A. (2006). A›erab Alqra›at Alsb›e W›elalha [Parsing the Seven Styles of Quran Recitation and their Shortcomings] (1st ed.). Beirut: Dar al-Kotob al-Ilmiyah Publishing House.*
- *Al-Khatib, M. (2006). AlFikr Alnahawy [Syntax Thinking]. AL-Basa'ir Publishing House.*
- *Ibn Khaldun, A. (n/d). Muqaddimat Ibn Khaldun [Introduction of Ibn Khaldun] (3rd ed.). In A. Alwafi (Ed.). Cairo: Dar Alnahda.*
- *Khlaif, Y. (1977). Dw Alrmh Sha›er Alhb Walshra› [A Book on Thu Alrimh Poet]. Cairo: Alghreeb Publishing House.*
- *Khalil, H. (1992). Alklmh Derash Laghwyh M›ejmyh [Lexical Semantics] (2nd ed.). Alexandria: Dar Al-Marefah Publishing.*
- *Al-Dany, A. (1996). Kitab Al-Tayseer fi AL-Qira'at Al-Sab' [A Easy Book for Verses Reading] (2nd ed). Beirut: Publishing House of Scientific Books.*
- *D'eis, M. (2015). Wzyfh Altfkyr Alnhwy ‹end Alnhah Al›erb [Grammatical Thought of Arab Grammarians] (doctoral dissertation). Yarmouk University.*
- *De Beaugrande, R. (1998). Alnas Walkhtab Walejra› [Text, Discourse, and Process] (1st ed.). (T. Hassan, Trans.). Alam al-Kitab*
- *Alrady Estar-Abathy,. (n/d). Sharh Alkafyh [A Book on Grammar]. In M. Abed Alhamed (Ed.).*
- *Al-Zajjaj, A. (1994). M›eany Alquran We›erabh [Exegesis of Meanings in Quran]. In A. Shalby (Ed.). Cairo: Dar El-Hadith.*
- *Al-Zhaily, M. (n/d). Marje' Al'uloum Al'islamiyah [Islamic Sciences Reference]. AL-Sabah Print House.*
- *Al-Zarkashi, B. (n/d). Al-Burhān fī `Ulūm al-Qur›an [The Proof in the Qur›anic Sciences]. In M. Ibrahim (Ed.). Beirut: Alassrya Publishing.*

Al-Resalah Publishing.

- *Al-Farisi, A. (1983). Al-Hujjah lil-Qira'at Fi 'Ilal Al-Qira'at Al-Sab' [The True Reading of Verses] (2nd ed.). In A. Nasef et al. (Eds.). Cairo: General Egyptian Book Organization.*
- *Al-Qastallani. (1971). Irshad Al-Sari Lisharh AL-Bukhari [A Commentary on Sahih Al-Bukhari]. Beirut: Publishing House of Scientific Books*
- *Qattan, M. (1980). Mabahith Fi ‹ulum Al-Quran [A Specialized book on the Study of the Quran] (9th ed). Beirut: Al-Risalah Institution.*
- *Al-Qazweiny. (1998). Al-'yidah Fi 'Uloum Al-Balagha [Clarifications on Rhetoric] (4th ed). Beirut: House of Reviving Science.*
- *Al-Qaysi. (1971). Mashkal 'I'rab Al-Qur'an [The Problem of Parsing the Quran] (1st ed). In Y. Al-Sawsay (Ed.). Damascus: Al-Ma'moun Publishing house.*
- *Al-Qeasi, H. (2010). M›ejm Ala›eshab Walnbatat Altbyh [Dictionary of Medicinal Plants and Herbs]. Beirut: Dar al Kotob al-Ilmiyah.*
- *Al-Kurdi, M. (2005). Al-Fayrouz Abadi Mufasiran [Al-Fayruz Abadi's Explanation] (1st ed). Cairo: Al-Balad Al-Ameen Publishing House.*
- *Lyons, J. (1980). ‹Elm Aldlalh [Semantics]. (M. Almashta, Trans.). Basrah: University of Basrah Publishing House.*
- *Mokhtar, A. & Salem, A. (1997). Mu›jm Alqra›at Alqranyh [Quranic Recitations Lexicon] (3rd ed). Dar Alem Al Kotob Publishing & Distribution.*
- *Al-Masri, A. (1983). Qtwf Lghwyh [Linguistic Issues]. Damascus: Foundation of Qur'anic Sciences.*
- *Mustafa, A. (2017). Mughalatat Lughawiyah [Language Fallacies]. UK: Hindawi Foundation CIC.*
- *Ibn Manhūr. (1997). Lisān al-hArab [Tongue of Arabs Dictionary] (2nd ed). House of Reviving Heritage and Arabic History Institution.*
- *Ibn Hisham. (n/d). Sharh Shuthur Althahab [A Specialized Book on Quranic Verses Clarification]. Beirut: Alfikr Publishing House.*
- *Ibn Hisham. (1997). Qatr al-Nada wa-Ball al-Sada [A Specialized Book on Syntax] (9th ed). Egypt: Almaktabah Altijariyah Allkubra Publishing House.*
- *Ibn Hisham. (1985). Mghna Allbyb ‹en Kutub Ala›earyb [A Specialized Book on Syntax] (6th ed). In M. Mubarek & M. Hamamd. Beirut: Alfikr Publishing House.*
- *Huang, Sh. (2016). Almtabqh Alnhwyh fy Alloghh Al›erbyh fy Dw› Allsanyat Alhdythh. [Corresponding Grammar (Accord) in Arabic Language in light of the Modern Linguistics.*

برنامج مهني مقترح للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين (دراسة مطبقة على جمعية رعاية كبار السن بغزة)

Proposed Vocational Programme for General Practice in Social Work to Improve the Quality of Life of Palestinian Elders. (A Study Applied on Aged Care Association in Gaza)

Amjad Mohmmad Al-Mofty
Assistant Professor/ The Islamic University /Palestine
amofty@iugaza.edu.ps

أمجد محمد المفتي
أستاذ مساعد/ الجامعة الاسلامية/ فلسطين

Received: 6/ 11/ 2019, **Accepted:** 1/ 3/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-004
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

تاريخ الاستلام: 6/ 11/ 2019م، **تاريخ القبول:** 1/ 3/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

الملخص:

هدفت الدراسة للتوصل إلى برنامج مهني مقترح للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين، حيث استخدم الباحث منهج المسح الاجتماعي بأسلوب الحصر الشامل للمستفيدين من جمعية رعاية كبار السن بقطاع غزة وعددهم (128) مسناً ومسنة، واستعان الباحث بأداة الاستبيان للكشف عن نتائج الدراسة، وتوصلت الدراسة إلى أن نوعية حياة المسنين في البعد الموضوعي، ويتمثل في الحياة الاقتصادية والاجتماعية والصحية للمسنين جاءت بنسبة متوسطة، كذلك نوعية الحياة في البعد الذاتي ويتمثل في تقدير الذات والتوافق الأسري والاندماج المجتمعي للمسنين جات أيضاً بنسبة متوسطة، كذلك لم تجد الدراسة فروقاً ذات دلالة إحصائية جوهرية في تحسين نوعية حياة للمسنين تعزى لمتغير الجنس أو الحالة الصحية أو الاقتصادية، وفي ضوء النتائج توصلت الدراسة إلى برنامج مهني للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

الكلمات المفتاحية (البرنامج المهني، الممارسة العامة، المسنون، نوعية الحياة).

Abstract

The study aimed to reach a proposed vocational program for general practice in social service to improve the quality of life of Palestinian elderly people Where the researcher used the method of social survey in the method of comprehensive inventory of the beneficiaries of the Association for the care of the elderly in the Gaza Strip and the number of (128) elderly and elderly and the researcher used the tool of introspection to reveal the results of the study, and the study found that the quality of life of the elderly in the objective dimension and is in life Economic, social and health for the elderly came at an average rate as well as the quality of life in the self-dimension, which is self-esteem, family compatibility and community integration of the elderly. In the light of the results, the study found a proposed vocational programme for general practice in social service to improve the quality of life of Palestinian elderly people.

Keywords: *(professional program, general practice, elderly, quality of life)*

أولاً: مقدمة الدراسة:

يمرّ الإنسان خلال حياته بمراحل نمو متتالية تبدأ بالطفولة مروراً بالمراهقة والرّشد وصولاً إلى مرحلة الشيخوخة، والتي تعدّ ظاهرة طبيعية تعبر عن التغيرات التي تحدث في التكوين الجسمي والعقلي والانفعالي والاجتماعي للإنسان، بالإضافة إلى ما يحدث نتيجة ذلك في الأداء أثناء رحلة حياة الفرد. أدم(2018: 441).

إن هذه الفترة تمثل مرحلة لمتغيرات كثيرة في حياة الفرد، كالتغيرات في العائلة وفي موقع العمل ونمط الحياة والتي تتداخل فيها بأشكال مختلفة عوامل صحية وبيئية واقتصادية وثقافية وحياتية متعددة ومتشابكة. الشوارب (2012: 230).

لذا فإنَّ رعاية المسنين تعد قيمة اجتماعية هامة ورمزاً للترابط الأسري تدعمه رغبة الأبناء في رعاية والديهما كحق لهما وواجب اجتماعي على الأبناء، ومن منطلق التعاليم الدينية التي توجب البرّ بالآباء وتحذّر من عقوقهم، واعتبار العقوق من الكبائر التي تستحق الطرد من رحمة الله، وكثيراً ما يقرن الله بين طاعته وبرّ الوالدين. راشد (2009: 2349).

بالإضافة إلى أن موضوع رعاية المسنين من قضايا الساعة التي تحظى باهتمام الكثير من الدول في العصر الحديث، فتقدم البرامج المتنوعة من الرعاية الاجتماعية لهذه الفئة باعتبار أن ذلك من معايير رقي وتقدم ونهضة الدولة. محمود (2015: 220).

كما أن الاهتمام بهذه الفئة يتحقق في جانبين: هما الجانب الإنساني، حيث المسنّ إنسان له آدميته، وله حقه في الحياة مهما أصابه من نقص في الأداء وضعف في الجسم، والآخر هو الجانب التنموي ويتمثل في أن زيادة السكان وارتفاع تكلفة الحياة أدى إلى حاجة المجتمعات في الآونة الأخيرة إلى جهود قطاع المسنين؛ ليساهموا بجهودهم في التنمية الاقتصادية والاجتماعية في المجتمع الذي يعيشون فيه.

ولذلك بدأ الاهتمام المتزايد عالمياً ومحلياً منذ بداية النصف الثاني من القرن العشرين، نتيجة التزايد المضطرد في حجم شريحة المسنين، والناتج عن التقدم في علوم الطب وتشخيص الأمراض، وتوفير الدواء وانخفاض نسبة الوفيات وارتفاع متوسط الأعمار. الهديف (2015: 68).

حيث تشير الأمانة العامة للأمم المتحدة لسنة 2013 أن حوالي ملياري نسمة سيبلغ عمرهم بين (60 – 80) عاماً بحلول عام 2050م.

أما فلسطينياً فإنَّ عدد المسنين الفلسطينيين بلغ أكثر من ربع مليون نسمة (257.151) حيث يمثلون ما نسبة 5 % من عدد السكان. الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2019).

وبالرغم من حجم الاهتمام بالمسنين وقضاياهم فقد يواجه المسنون العديد من الصعوبات الحياتية المصاحبة للمرحلة العمرية والتي تؤثر بشكل سلبي على نوعية حياتهم ومستوى رضاهم عن الحياة، وفي مقدمة هذه الصعوبات المشكلات الصحية، حيث يعتري الضعف والتدهور كل وظائف الأجهزة الفسيولوجية والعضوية، ويحدث تغير في الشكل العام للجسم، ومن مظاهر ذلك جفاف الجلد وتجعده، ونقص الوزن، وضعف القوة العضلية، وتحول الشعر إلى اللون الأبيض، كما يحدث تغيرات في معدل الأيض، أي ما يتعلق بعمليتي البناء والهدم في الجسم، الأمر الذي يؤدي إلى تغلب عوامل الهدم على عوامل البناء في الجسم، وكذلك يحدث هبوط في معدل إفراز هرمونات الغدد الصماء، ويحصل ضعف واضح في الوظائف العقلية لدى المسن، ومن أبرزها ضعف الذاكرة والقدرة على التعلم والإدراك نتيجة لما يطرأ من تغيرات على نشاط خلايا المخ مع تقدم

العمر. جرادات (2016: 289).

كما يعاني المسنون في حياتهم الاقتصادية العديد من المشكلات التي تؤثر بشكل سلبي على نوعية الحياة، والتي تتمثل في انخفاض الدخل نتيجة التقاعد، وعدم القدرة للعمل لساعات طويلة بالإضافة لارتفاع تكاليف الرعاية الخاصة. القط (2011: 3025)

كذلك يواجه المسنون العديد من المشكلات الاجتماعية، ومنها الشعور بفقدان مكانته وعلاقاته الاجتماعية، وضعف تفاعلاته، وتقلص العديد من الأنشطة والاهتمامات، والاعتماد على الآخرين والانسحاب من المجتمع، بالإضافة إلى اتساع وقت الفراغ. العنزي (2017: 613).

كما يعاني المسنون من المشكلات الأسرية كفقدان المكانة الاجتماعية الأسرية والمعاناة النفسية والاجتماعية نتيجة سوء المعاملة، وفي بعض الأحيان لانعدام التقدير الاجتماعي والاحترام المتبادل، فضلاً على أن المسنين يجدون صعوبة في التكيف مع الواقع الأسري الجديد. إبراهيم (2016: 37).

وقد يحدث للمسن في بعض الأحيان المبالغة في الصفات الشخصية، ويتحلل من الانضباط الشخصي ويترك عواطفه على سجيتها، ويصبح كثير النقد والتسلط ويود أن يعامله الآخرون على هذا الأساس. فقد أشارت بعض الكتابات على أن المسن تحدث له بعض التغيرات في الشخصية تتمثل في (التمركز حول الذات– وعدم القدرة على التحكم في انفعالاته – والرغبة في المدح المستمر مع الآخرين، وضعف أداء الدور وسوء العلاقة بالمحيطين). عبد المقصود (2008: 619).

كذلك عدم الرضا عن الذات، وهذا الشعور غالباً ما يصاحبه فقدان الدور الاجتماعي الذي يتأثر بترك الوظيفة، ويترتب على ذلك الشعور بالدونية والإصابة بالملل والضيق النفسي والتباعد الاجتماعي. حسن (2010: 2227).

ولمواجهة كلّ ذلك اهتمت العلوم الإنسانية والاجتماعية بدراسة فئة المسنين من حيث حاجاتهم ومشكلاتهم، والقضايا المتنوعة التي تمرّ بها هذه الفئة، ومحاولة الاستفادة من خبراتهم وأفكارهم ومعارفهم في خدمة المجتمع الذي أمضوا فيه حياتهم من خلال كافة المهن الموجودة في المجتمع، ومنها مهنة الخدمة الاجتماعية.

فرعاية المسنين هي إحدى مجالات الخدمة الاجتماعية لعمل الأخصائيين الاجتماعيين مع المسنين في مؤسسات رعايتهم؛ لمساعدتهم على إشباع احتياجاتهم، وحلّ مشكلاتهم وفق أسس معرفية ومهارية وقيمية، ومداخل مهنية. محمود (2015: 221).

ومن بين المداخل الحديثة لمهنة الخدمة الاجتماعية مدخل تحسين نوعية الحياة، ومدخل الممارسة العامة الذي يرتكز على رعاية المسنين من خلال المؤسسات المرتبطة بالمجال والمشكلات الاجتماعية لأنساق العملاء في إطار ذلك المجال، حيث ينظر مدخل الممارسة العامة للمسنين كفئة من فئات السكان المعرضين للخطر، أي أنهم يحتاجون للمساعدة أكثر من غيرهم؛ لأنهم أكثر حساسية من غيرهم للمشكلات التي تواجههم. نوفل (2012: 1208).

أما تحسين نوعية الحياة فهو من المفاهيم المستحدثة التي تستهدف الارتقاء بمستوى الأفراد، واكتشاف وتنمية قدراتهم من خلال تكيفهم مع البيئة المحيطة بهم، ويستخدم مع الأفراد والجماعات والمجتمعات، فهو يوجه لتدعيم القوة الشخصية في الأفراد الذين يعانون من عجز في أدائهم الاجتماعي عن طريق تحسين شبكة العلاقات الاجتماعية وتدعيم الكفاءة، وتقدير الذات داخل الأنساق الأيكولوجية. جبران (2018: 382).

ولهذا المدخل مؤشرات موضوعية كالثروة، والممتلكات، والخدمات الصحية، والأمان، وخصائص البيئة، ومؤشرات ذاتية تشير إلى تقويم الأشخاص لعناصر حياتهم، ومدى رضاهم عنها، وسعادتهم بها. وبهذا فإن الاهتمام بالمسنين لا يقتصر على مواجهة مشكلاتهم فقط بل يشمل تحسين حياتهم في الفترة التي يمرّون بها وبقائهم أطول فترة ممكنة. عبد الخالق (2015: 564).

ولمزيد من تحديد مشكلة الدراسة تم الاطلاع على العديد من الدراسات السابقة المرتبطة بالموضوع والتي هي كالتالي:

دراسات تناولت واقع حياة المسنين داخل الأسرة وفي مركز الإيواء.

دراسة **العنزي (2017)** بعنوان: المشكلات التي تواجه المسنين في مدينة الرياض، هدفت الدراسة إلى التعرف على المشكلات الأسرية والصحية والنفسية والمادية ومشكلات وقت الفراغ التي تواجه المسنين، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أبرزها أن أهم المشكلات التي تواجه المسنين كانت المشكلات الأسرية ثم الصحية ثم وقت الفراغ وأخيراً النفسية، حيث تمثلت المشكلات الأسرية في ضعف اقتناع الأبناء بآراء الآباء وعدم اللجوء إليهم في حل مشكلاتهم، أما المشكلات الصحية فكانت تتمثل في الشكوى من الألآم المزمنة والمعاناة من الضعف الجسمي العام، وتمثلت المشكلات النفسية في الخوف من المرض والمستقبل المجهول، والشعور بالوحدة والأرق وقلة النوم.

دراسة **زغير (2017)** بعنوان: مشكلة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى المسنين، هدفت الدراسة إلى التعرف على مستوى الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى المسنين، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج أهمها أن المسنين يشعرون بالعزلة الاجتماعية على اختلاف المستويات، ويرجع ذلك لضعف اهتمام الأسرة بهم وانقطاع علاقاتهم الاجتماعية والمهنية، كما يتمثل السلوك الانعزالي للمسنين في الخضوع والخوف والشعور بالسلبية ووجود نوع من القلق الاجتماعي.

دراسة **العرجا (2016)** بعنوان: الصحة النفسية لدى المسنين الفلسطينيين، هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع الصحة النفسية لدى المسنين الفلسطينيين في بيوت المسنين والنوادي في محافظة بيت لحم، بينت نتائج الدراسة أن درجة شيوع الاضطرابات للمسنين كانت متوسطة بشكل عام، وجاءت الأعراض المتعلقة بالحساسية أولاً، ثم المشاعر الدالة على الغضب، يليها التوتر وعدم الكفاية، وأخيراً الاكتئاب والقلق، كذلك أن المسنين يعانون من الوحدة، والبطء في القيام بالأعمال، وسرعة الغضب، كما تدل هذه النتيجة على أن المسنين أقل رضا عن أنفسهم وعن المجتمع عوائلهم، وبمعنى ذلك أن غضبهم نابع من العزلة والشعور بالاغتراب الذاتي في بيئاتهم، وصعوبة تكوين علاقات مع الآخرين بسبب فجوة الأجيال أو فقدان الشريك، أو وقت الفراغ.

دراسة **الهديف (2015)** بعنوان: بعض مشكلات الشيخوخة

بمنطقة الخمس، هدفت الدراسة إلى التعرف على المشاكل والصعوبات الاقتصادية والاجتماعية والصحية والنفسية والبدنية التي يعاني منها كبار السن، وتوصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، أن المسنين يعانون من مشكلات مادية، ويعانون من الضعف الجسمي، وصعوبة الحركة والخروج من المنزل، كذلك عدم توفر أماكن لقضاء أوقات الفراغ، وفقدان التواصل مع المحيط الاجتماعي، وابتعاد الأبناء والأصدقاء، وإشباع الحاجات بشكل ذاتي بعيداً عن الآخرين، وعدم تناول وسائل الإعلام لمشاكلهم، كل ذلك أفقدهم طعم الاستمتاع بالحياة، والشعور بالحزن والبكاء لأتفه الأسباب والرغبة في الموت.

دراسة **(Mullins 2015)** بعنوان: خصائص المسنين ومشكلاتهم وأسباب تحويلهم إلى دور الرعاية في نيوزيلندا من وجهة نظرهم، هدفت الدراسة المسحية إلى التعرف على خصائص المسنين ومشكلاتهم من وجهة نظرهم في دور الرعاية في نيوزيلندا، وقد أظهرت نتائج الدراسة أن عامل الوحدة والفراغ كان من أهم الأسباب التي أدت إلى تحويل المسن إلى دور الرعاية، وأن انقطاع صلة المسن بمعارفه وأصدقائه تصدرت المشكلات الاجتماعية، وأظهرت النتائج أيضاً أن الشعور بانهيار الصحة بشكل عام تصدرت المشكلات الصحية.

دراسة **النابلسي والعولمة (2013)** بعنوان: أنماط الإساءة الاجتماعية، الصحية النفسية التي يتعرض لها كبار السن داخل أسرهم، بهدف التعرف على أنماط الإساءة التي يتعرض لها الكبار داخل أسرهم في المجتمع الأردني، توصلت الدراسة إلى أن أكثر أنماط الإساءة الاجتماعية التي تعرض لها المسنون، عدم الشعور بالراحة في السكن مع الأسرة، وعدم الرضا عن معاملة الأبناء، وعدم شعور المسن بأنه موضع احترام وتقدير الآخرين داخل الأسرة، أما الإساءة الصحية فقد تمثلت بعدم الاهتمام باتباع الحمية الغذائية المناسبة لوضعه الصحي، وعدم توفر الغذاء الصحي المناسب للمسن، وعدم توفير الأدوية اللازمة لمرضه باستمرار، أما الإساءة النفسية فتمثلت بعدم الشعور بالرضا عن معاملة أفراد الأسرة، وعدم احترام الأبناء لهم.

دراسة **الزيود (2012)** بعنوان: واقع حياة المسنين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية والخاصة في عمان، هدفت الدراسة إلى التعرف على واقع المسنين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية التابعة للقطاعين الحكومي والخاص من النواحي النفسية والاجتماعية والصحية، والتعرف على طرق معالجة مشكلات المسنين في دور الرعاية الاجتماعية الحكومية والخاصة، تبين من نتائج الدراسة وجود مشكلات ترفيهية ونفسية وصحية واجتماعية واقتصادية في دور الرعاية الخاصة بشكل يتطابق مع المشكلات التي يعاني منها المسنون في دور الرعاية الحكومية، وأظهرت النتائج المتعلقة بمعالجة الدار لمشكلات المسنين أنَّ كبار السن ذكوراً وإناثاً يتفقون على عدم قدرة الدار على تعويضهم عن أجوائهم العائلية والأسرية، وعدم قدرتها على حلّ المشكلات الصحية، والنفسية، والاجتماعية، والاقتصادية.

دراسة **(Ellen Kathlen 2011)** بعنوان: مستويات الضغوط لدى المسنين، الغرض من الدراسة هو تحديد مستويات الضغوط لدى المسنين، وخاصة الضغوط المتعلقة بالأحداث الحياتية وأنساق الدعم الاجتماعي من الأسرة والأصدقاء، وتبين أن أهم الأحداث الحياتية الضاغطة تشمل تعرضهم لمزيد من الألم وضياع وظائفهم، أو طردهم من الوظيفة أو الخوف من إدخالهم أحد المؤسسات، وتدهور الذاكرة والشعور بمزيد من التعب والإرهاق والاكتئاب، وموت أحد أفراد الأسرة المقربين، وموت الزوج أو الزوجة، وقرر المبحوثون أنهم يحصلون على مستوى مرتفع من الدعم العاطفي والاجتماعي من كل الأسرة والأصدقاء.

دراسة **(Kim chowon 2008)** بعنوان: التحديات التي يواجهها المسنون الكوريون، استهدف هذه الدراسة تحديد التحديات والضغوط التي يواجهها المسنون الكوريون، وتوصلت الدراسة إلى أن معظم أفراد العينة يواجهون بعض التحديات، مثل الشعور بالوحدة وصعوبة الاتصال اللغوي.

دراسة **(Liu & Gow 2008)** بعنوان: تقدير مستوى الرضا عن الحياة ومؤشراته لدى المسنين الذين يقيمون بدور الإيواء، والذين لا يقيمون بدور الإيواء، وأشارت النتائج إلى أن المسنين المقيمين بدور الإيواء لديهم رضا منخفض عن الحياة، ويعانون من الأمراض المزمنة، والإحساس بالوحدة النفسية والاكتئاب أكثر ممن لا يقطنون بدور الإيواء.

دراسات تناولت تحسين نوعية الحياة للمسنين:

دراسة **بليح (2018)** بعنوان: تقدير حاجات المسنين كمدخل لتحسين نوعية حياتهم، هدفت الدراسة إلى تقدير حاجات المسنين الاجتماعية والصحية والترويحية لتحسين نوعية حياتهم. وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها، حاجة المسنين للمشاركة في اتخاذ القرارات والمعاملة الطيبة من الآخرين والمشاركة في المناسبات، كذلك الاهتمام بالنشاط الرياضي وتوفير أماكن للترويح، وتنظيم الحفلات والمناسبات المختلفة للمسنين.

دراسة **عبد الجواد (2011)** بعنوان: حقوق المسنين بدور الرعاية الاجتماعية وتحسين نوعية حياتهم، حيث هدفت الدراسة إلى التعرف على طبيعة العلاقة بين الحقوق الاقتصادية، والاجتماعية والصحية والثقافية، والترويحية وتحسين نوعية حياتهم، وتوصلت الدراسة إلى نتائج أهمها، حاجة المسنين إلى تعزيز علاقاتهم الاجتماعية وتدعيم علاقاتهم لمواجهة التغيرات المصاحبة للمرحلة، كذلك الحاجة إلى الرعاية الصحية وزيادة برامجها، واستثمار وقت الفراغ، وإقامة المكتبات والمسابقات الثقافية المساهمة في تحسين صورة الحياة للمسنين.

دراسة **عبد الله (2011)** بعنوان: خدمات الرعاية الصحية وتحسين نوعية الحياة للمسنين في مصر، حيث هدفت الدراسة إلى تحديد واقع خدمات الرعاية الصحية للمسنين وتحديد إسهامات خدمات الرعاية الصحية في تحسين نوعية حياتهم، حيث توصلت الدراسة إلى حاجة المسنين للحصول على خدمات التأمين الصحي المجاني وتوفير الأدوية اللازمة لعلاج المسنين، كذلك تطوير خدمات الرعاية الاجتماعية؛ وذلك لتحسين نوعية الحياة لديهم.

دراسة **عثمان (2007)** بعنوان: مقارنة للرعاية الاجتماعية الرسمية وغير الرسمية لتحسين نوعية الحياة للمسنين، وقد استهدفت الدراسة تحديد درجة ومستوى نوعية حياة المسنين داخل الرعاية الاجتماعية الرسمية (المؤسسات)، وغير الرسمية (الأسرة،

الأصدقاء، الجيران...إلخ) مع محاولة التوصل إلى تصور مقترح يتضمن مجموعة من المؤشرات التخطيطية التي تساعد على تحسين الخدمات التي تقدم للمسنين في كلّ من نوعي الرعاية؛ لتحسين نوعية حياتهم تلك الرعاية.

دراسة **(Michalos Alx 2007)** توصلت إلى أن ميادين نوعية الحياة تشمل إحساس المسن بالأمن المالي والصحة والسعادة، وإيجاد معنى للحياة، والشعور بالرضا تجاه نوعية الحياة، وتوفير قدر من الرفاهية والعلاقات الإيجابية بالآخرين.

دراسة **(Bowling Ann 2007)** توصلت إلى أن نوعية الحياة للمسنين تشمل العلاقات الاجتماعية والأدوار الاجتماعية والأنشطة الترفيهية والتمتع بالصحة النفسية والسكن الملائم، وتوفير الدخل المناسب والاستقلال، بمعنى حرية المسن في أن يفعل ما يريد دون أي قيود سواء أكان المسن داخل الأسرة أو داخل دور الرعاية، وكذلك الرضا عن الحياة والصحة العقلية والتوافق الاجتماعي والحب والاتصال والمشاركة المجتمعية والشعور بالأمن.

دراسة **سالم (2005)** بعنوان: عن خدمات الرعاية الاجتماعية وتحسين نوعية الحياة للمسنين استهدفت هذه الدراسة تحديد واقع نوعية الحياة ببعديه (الذاتي – الموضوعي) للمسنين بدور الرعاية، توصلت الدراسة إلى أنه توجد علاقة فارقة ذات دلالة بين استفادة المسنين من خدمات الرعاية الاجتماعية بدور الرعاية وتحسين نوعية حياتهم.

دراسة **صالح (1990)** بعنوان: مؤشرات نوعية الحياة «نظرة عامة على المفهوم والمدخل، توصلت إلى وجود بعدين أساسيين لمؤشرات نوعية الحياة، هما البعد الموضوعي المعتمد على المؤشرات النوعية في رصد نوعية الحياة وهي (الصحة، التعليم، العمل، والطلب على السلع والخدمات)، والبعد الذاتي المعتمد على أحكام الأفراد ومدى شعورهم بالسعادة عن نوعية حياتهم.

تعقيب واستقراء لنتائج الدراسات السابقة:

1. أظهرت نتائج الدراسات تدني نوعية الحياة الصحية للمسنين حيث إنهم يعانون من الأمراض المزمنة والضعف الجسمي العام وصعوبة الحركة، وسوء النظام الصحي وعدم توفير الأدوية، والبطء في القيام بالأعمال دراسة (العنزي 2017، العرجا 2016، الهديف Gow 2008، 2015).

2. أشارت الدراسات إلى انخفاض مستوى العلاقات الاجتماعية للمسنين ووجود نوع من القلق الاجتماعي لديهم، كذلك صعوبة تكوين علاقات مع الآخرين وفقدان التواصل مع المحيط الاجتماعي الأصدقاء والأبناء والزيادة الكبيرة في وقت الفراغ، دراسة (زغير 2017، العرجا 2016، الهديف Mullins 2015، 2015).

3. أظهرت الدراسات تدني مستوى الحياة الاقتصادية للمسنين، حيث يعانون من المشكلات المادية وانخفاض أو انقطاع الدخل، وكثرة المصاريف والمتطلبات اليومية كدراسة (Kowon 2008).

4. أكدت الدراسات على شعور المسنين بالوحدة النفسية والسلوك الانعزالي والخوف والخضوع وشعورهم بسرعة الغضب لأتفه الأسباب، والاغتراب والرغبة في البكاء والحزن، كذلك في كثير من الأحيان الإرهاق والاكتئاب (العنزي 2017، زغير 2017، الهديف Gow 2008، Kathen 2014، 2015).

5. أكدت الدراسات على تدني مستوى التوافق والحياة الأسرية للمسنين، حيث أوضحت عدم الرضا عن معاملة الأبناء لهم، وعدم الاهتمام بهم وضعف اقتناع الأبناء بآراء آبائهم، وعدم اللجوء إليهم في حل مشكلاتهم، كذلك الشعور بعد احترام وتقدير الذات من الآخرين لهم. دراسة (العنزي 2017، زغير 2017، النابلسي والعوالمة 2013).

6. كذلك أشارت الدراسات إلى عدم قدرة المؤسسات الحكومية والخاصة على حلّ مشكلات المسنين دراسة (الزيود 2012).

7. أكدت الدراسات على أن تحسين نوعية الحياة يشمل بُعدين: موضوعي، وذاتي، البعد الموضوعي يشمل في الصحة والتعليم والدخل المرتفع والسكن والعلاقات الاجتماعية، أما البعد الذاتي يشمل على الرضا عن الحياة، وتقدير الذات، والتوافق الأسري، والرفاهية والشعور بالأمن والاندماج المجتمعي كدراسة (Macy 2004، صالح Alx 2007، 1991).

8. أكدت الدراسات لتحقيق تحسين نوعية الحياة للمسنين لا بد من إشباع حاجاتهم الأساسية واستثمار وقت الفراغ، وتوفير الأدوية اللازمة، وتطوير خدمات الرعاية الاجتماعية والمشاركة في اتخاذ القرارات (عبد الجواد 2011، عبدالله 2011، بليح 2018).

أوجه الاختلاف والاستفادة من البحوث والدراسات السابقة:

تختلف الدراسة الحالية: بأن الدراسات السابقة تناولت المسنين من حيث تحديد احتياجاتهم ومشكلاتهم ومعاناتهم، فيما تهتم الدراسة الحالية بتحسين نوعية الحياة للمسنين، واستغلال جوانب القوة لديهم وتدعيمها واستثمارها بما يساهم في مواجهة المشكلات وإشباع الحاجات، كما أن الدراسات السابقة في حدود علم الباحث لم تتناول برنامج مهني من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين بعكس الدراسة الحالية.

أوجه استفادة الدراسة الحالية من تلك الدراسات والبحوث فيما يلي:

1. المساهمة في تحديد وصياغة مشكلة الدراسة، حيث استند إليها الباحث في تحديد أهم القضايا والمشكلات، والتي من الواجب تناولها بالبحث والدراسة.

2. المساهمة في صياغة وتحديد فروض الدراسة، حيث انطلق الباحث من خلال ما تم استخلاصه إلى تحديد فروض الدراسة والتي لم يسبق تناولها بالبحث والدراسة العملية.

3. تأكيد هذه الدراسات على ضرورة القيام بمثل هذه الدراسة؛ لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

ثانياً: مشكلة الدراسة:

من خلال ما تم عرضه من تمهيد لمشكلة الدراسة ولنتائج الدراسات السابقة العربية والأجنبية والتي أجمعت على الاهتمام الكبير من مختلف دول العالم بضرورة تقديم أوجه الرعاية المختلفة للمسنين، ومحاولة حل مشكلاتهم والاهتمام بقضاياهم.

كما أجمعت الدراسات على أن المسنين يعانون من مشكلات

متعددة واحتياجات تمثلت في معاناتهم من الأمراض المزمنة والضعف الجسمي العام، وفقدان التواصل مع المحيط الاجتماعي، وضعف العلاقات الاجتماعية مع الآخرين، كذلك انعدام أو انخفاض من الموارد المالية والدخل وكثرة المصاريف المالية، والشعور بالعزلة والوحدة والاغتراب وسوء العلاقة مع الأسرة والأبناء، كل ذلك أثر سلباً على نوعية حياتهم، كما اتضح من خلال الدراسات السابقة عدم وجود دراسات في حدود علم الباحث تناولت تحسين نوعية الحياة للمسنين من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية، لذا فإن الدراسة الحالية سوف تركز على الوصول إلى برنامج مهني للممارسة العامة في الخمة الاجتماعية؛ لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

وتأسيساً لما سبق يمكن صياغة مشكلة الدراسة في التساؤلات التالية:

◄ التساؤل الرئيس: ما نوعية حياة المسنين الفلسطينيين؟

ويمكن تحديد نوعية حياة المسنين من خلال الإجابة عن التساؤلات التالية:

◄ ما نوعية حياة المسنين الفلسطينيين على البعد الموضوعي والتي يشمل: (الحياة الصحية– الحياة الاقتصادية– الحياة الاجتماعية)؟

◄ ما نوعية حياة المسنين الفلسطينيين على البعد الذاتي والتي يشمل (التوافق الأسري– تقدير الذات– الاندماج المجتمعي)؟

◄ لا توجد فروق جوهرية ذات دلالة إحصائية بين نوعية حياة المسنين وبعض المتغيرات (الجنس– الحالة الاجتماعية– الحالة الصحية).

◄ ما البرنامج المهني لتحسين نوعية حياة المسنين الفلسطينيين من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية؟

ثالثاً: أهمية الدراسة:

1. تستمد هذه الدراسة أهميتها من أنها تتفق مع الاهتمام والعناية التي منحتها تعاليم الأديان السماوية للإنسان بصفة عامة ولكبار السن بصفة خاصة، حيث تؤكد على ضرورة الاهتمام بهم وإعطائهم حقهم في الرعاية، ومساعدتهم على تحسين نوعية حياتهم.

2. الزيادة المستمرة في أعداد المسنين، وما نتج عنها من مشكلات اجتماعية ونفسية وصحية واقتصادية، والتي تحتاج إلى معالجة وحلول من كافة المهن بصفة عامة وفي مقدمتها مهنة الخدمة الاجتماعية.

3. تسهم دراسة نوعية الحياة للمسنين في إثراء البناء النظري للخدمة الاجتماعية بصفة عامة، والممارسة العامة بصفة خاصة.

4. تعتبر هذه الدراسة من أولى الدراسات في حدود علم الباحث التي تهدف إلى تحسين نوعية حياة المسنين الفلسطينيين بقطاع غزة، من خلال برنامج مهني للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية.

5. ما تقدمه نتائج هذه الدراسة وخاصة البرنامج المهني من إضافة علمية وعملية، ويمكن أن يستفيد منها القائمون على رعاية المسنين في المؤسسات الاجتماعية المختلفة، وخاصة الأخصائيين الاجتماعيين.

6. حاجة المجتمع الفلسطيني لمثل هذه الدراسات؛ لإثراء جوانب الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية مع شريحة مهمة وهي المسنون الفلسطينيون.

رابعاً: أهداف الدراسة:

تهدف الدراسة إلى تحديد نوعية حياة المسنين الفلسطينيين على البعدين الموضوعي والذاتي، والتوصل إلى برنامج مهني؛ لتحسين نوعية حياتهم من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية.

خامساً: مفاهيم الدراسة:

1. مفهوم البرنامج المهني:

يعرف البرنامج بأنه: ما يوضح سير العمل الواجب القيام به لتحقيق الأهداف المقصودة، كما أنه يوفر الأسس الملموسة لإنجاز الأعمال، وتحديد نواحي النشاط الواجب القيام بها خلال مدة زمنية محددة. محفوظ (2004: 148).

كما عرف البرنامج بأنه: مجموعة منظمة من الأنشطة مصممة للوصول إلى الأهداف المحددة، والأنشطة ليست مجموعة عشوائية من الأفعال، بل هي سلسلة من الأفعال المخططة والبرامج تعتبر تدخلات أو خدمات يتوقع أن يكون لها نوع من التأثير على المشاركين (Boyle & other:2006:9).

وهو عملية تطبيق المداخل والنظريات والنماذج وكافة الأسس المهنية الخاصة بمهنة الخدمة الاجتماعية أثناء التعامل مع الموقف الإشكالي؛ بهدف مساعدة الأنساق على مواجهة كافة المواقف الإشكالية. عبد القادر (2011: 175).

ويعرف البرنامج المهني في هذه الدراسة بأنه:

1. الأنشطة التي يستخدمها الأخصائي الاجتماعي؛ لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين، مستنداً في ذلك على أسس الخدمة الاجتماعية الأساس المعرفي والمهاري والقيمي، والذي يساعد الأخصائي الاجتماعي في تحقيق الهدف المطلوب، ويتضمن هذا البرنامج الأهداف والنظريات والاستراتيجيات والتكنيكيات والمهارات والأدوات والأدوار المناسبة لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

2. مفهوم الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية:

تعرف الممارسة العامة بأنها: إطار عمل يعتمد على نظريات ومداخل متعددة ومنها نظرية الأنساق البيئية، ومدخل حل المشكلة للتدخل مع أنساق متعددة (الأفراد – الأسر – الجماعات – المنظمات – المجتمعات) من خلال مجموعة من الخطوات المهنية التي تشمل الارتباط والتقدير وتحديد إمكانيات وقدرات أنساق للعملاء والتخطيط لحل المشكلة، والتدخل والتقييم والإنهاء (John-son:2007:1).

كما وتعرف الممارسة العامة على أنها: اتجاه الممارسة المهنية الذي يركز فيه الممارس العام في الخدمة الاجتماعية على استخدام الأنساق البيئية والأساليب والطرق الفنية لحل المشكلة

دون تفضيل التركيز على تطبيق طريقة من طرق مهنة الخدمة الاجتماعية لمساعدة المستفيدين من خدمات المؤسسات (فرد– أسرة– جماعة صغيرة– منظمة– مجتمع) مستنداً على أسس معرفية ومهارية وقيمية تعكس الطبيعة المتفردة لممارسة المهنة في تعاملها مع التخصصات الأخرى لتحقيق الأهداف وفقاً لمجال الممارسة. أبو المعاطي (2009: 36).

وتعرف الممارسة العامة للخدمة الاجتماعية في هذه الدراسة:

1. منظور يعتمد على مجموعة من الخطوات المرتبة والمنتقاة وفقاً للأساليب الحديثة.
2. تقوم على الاختيار الحر لنظريات ونماذج وأدوار مهارات التدخل المهني.
3. وتهدف لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين عن طريق برنامج مهني.

مفهوم نوعية الحياة:

نوعية الحياة هي: (المؤشرات الكيفية والكمية بمدلولاتها للأوضاع والظروف الاجتماعية والصحية والاقتصادية، والتفاعل بين هذه الظروف وانعكاساتها على درجة انتاجية الفرد ومشاركته الفعالة، ودرجة تقبل ورضا الأفراد والمجتمعات لهذه الظروف، ودرجة إشباعها لتوقعاتهم وأهدافهم في الحياة).

كذلك تعرّف نوعية الحياة بأنها: مفهوم يعكس الظروف المعيشية الشخصية المرغوبة، ويتعلق بسبعة أبعاد رئيسية للحياة، هي: الحالة العاطفية، العلاقات الشخصية، الرفاهية المادية، التنمية الشخصية، الرفاهية الطبيعية، الدمج الاجتماعي، الحقوق. مجدي (2014: 29).

ويمكن تعريف نوعية الحياة في هذه الدراسة:

مفهوم شامل لعناصر موضوعية وأخرى ذاتية تحدد درجة ومستوى المعيشة، ونمط الحياة للمسنين الفلسطينيين في إطار سياق ثقافي وأوضاع مجتمعية، **ويظهر ذلك من خلال مؤشرات نوعية الحياة في هذه الدراسة:**

- البعد الموضوعي:

الحياة الاقتصادية. الحياة الصحية. الحياة الاجتماعية.

- البعد الذاتي:

التوافق الأسري. تقدير الذات. الاندماج المجتمعي.

4. مفهوم المسنين:

يُعرّف المسن على أساس العمر الزمني بأنه «من تجاوز سنّ الستين» عبد القوي (2018: 60).

كما يعرّف في اللغة الإنجليزية بأنه (Aged) أو (Elder) أي التقدم في السن ويكون له سمات ديموغرافية وغالباً ما يحدد بسنّ معين.

كما ينظر إليه بأنه مرحلة عمرية من مراحل النمو لها مظاهر بيولوجية وسيكولوجية، كما أنها الفترة التي يحدث خلالها ضعف وانهيار في الجسم، واضطراب في الوظائف، ويصبح الفرد أقلّ كفاءة وينسحب اجتماعياً، وسيئ التوافق، ومنخفض الدافعية بسبب ظروف الحياة. شومان (2004: 570).

وينظر آخرون للمسن على أنه الشخص الذي يتعرض لمجموعة من المتغيرات البيولوجية، والتغير في المراكز والأدوار المهنية والاجتماعية التي من شأنها التأثير في إدراك الآخرين له، وما يؤدي إليه ذلك من طرق مختلفة للتفاعل معه، مما يؤثر في تصور المسنّ لذاته وعمره وسلوكه. حسن (2008: 1239).

ويمكن تعريف المسنين في هذه الدراسة بأنه:

1. من تجاوز عمره الستين عاماً.
2. سواء كان ذكراً أو أنثى.
3. لا يمارس أي عمل بأيّ جهة حكومية أو أهلية.
4. يعاني من قصور في النواحي الجسمية أو النفسية أو الاجتماعية.
5. من المترددين والمستفيدين من جمعية رعاية كبار السن بقطاع غزة.

سادساً: الاجراءات المنهجية للدراسة:

1. منهج الدراسة:

تعتمد هذه الدراسة على استخدام منهج المسح الاجتماعي بطريقة الحصر الشامل، حيث تم تطبيق الدراسة على جميع المسنين المستفيدين من خدمات جمعية رعاية كبار السن بقطاع غزة.

2. مجالات الدراسة:

أ. المجال المكاني: تم تطبيق الدراسة على جمعية رعاية كبار السن بقطاع غزة، وهي جمعية غير ربحية تقوم على توفير الرعاية الصحية (الجسدية والنفسية) والخدمات الاجتماعية والثقافية والترفيهية عالية الجودة بشكل ملائم وبطريقة إنسانية لتحسين نوعية حياة المسنين من خلال برامج نموذجية وخدمات متكاملة، ولذلك تم اختيارها لتطبيق الدراسة بصفتها مؤسسة اجتماعية متعددة الخدمات بعكس مؤسسات أخرى تقدم خدمات للمسنين، ولكن على أساس طبي وصحي على وجه الخصوص، بالإضافة إلى موافقة الجمعية إجراء الدراسة والاستعداد للتعاون مع الباحث.

ب. المجال البشري: تكوّنت عينة الدراسة من جميع المسنين المترددين والمستفيدين بشكل مستمر ويومي من خدمات جمعية رعاية كبار السن بقطاع غزة، والذين بلغ عددهم (128) مسناً ومسنة.

ت. المجال الزمني: وهي فترة جمع البيانات والتي استغرقت أسبوعين من 5 /10 /2019م حتى 19 /10 /2019م.

3. أدوات الدراسة:

اتساقاً مع متطلبات الدراسة ومنهجيتها، فقد اعتمد الباحث على أداة استبار لقياس مستوي نوعية الحياة للمسنين على البعدين الموضوعي والذاتي، حيث تم بناء الأداة من خلال الاطلاع على الأدبيات المعرفية والاجتماعية والدراسات السابقة، وما تتضمنه من مقاييس ذات علاقة بالموضوع، وقد تكونت الأداة بصورتها الأولية من (34) فقرة، تقيس مستوي نوعية الحياة للمسنين على

البعدين الموضوعي والذاتي.

1. صدق الأداة:

أ. صدق المحتوى: تم التحقق من صدق محتوى المقياس بعرضه على (5) من المحكمين المتخصصين في الخدمة الاجتماعية في الجامعة الإسلامية بغزة وجامعة الأقصى، طلب منهم إبداء الرأي بوضوح وسلامة صياغة الفقرات وصلاحيتها لقياس ما صممت لقياسه، وتقديم أية اقتراحات يرونها مناسبة لتطوير الاستبار، وتم الأخذ بجميع ملاحظاتهم، حيث تم تعديل الصياغة اللغوية لبعض الفقرات، ولم تحذف أو تضاف أيّ فقرة، وبذلك يكون الاستبار بصورته النهائية من (34) فقرة.

ب. صدق الاتساق الداخلي: تم حساب الاتساق الداخلي لفقرات الاستبانة على عينة الدراسة البالغ حجمها (128) مفردة، وذلك بحساب معاملات الارتباط بين كل فقرة والدرجة الكلية للمحور التابعة له، وبين جدول رقم (1) أنّ معاملات الارتباط المبينة دالة عند مستوى دلالة (0.05)، حيث إنَّ القيمة الاحتمالية لجميع الفقرات كانت أقل من 0.05، وبذلك تعتبر تلك الفقرات صادقة لما وضعت لقياسه.

جدول (1)

يوضح معاملات ارتباط بيرسون بين درجات كل عبارة والدرجة الكلية للمقياس

الصدق الداخلي لفقرات الاستبار								
رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	رقم الفقرة	معامل الارتباط	
1	.320**	10	.570**	19	.701**	28	.334**	
2	.675**	11	.623**	20	.598**	29	.535**	
3	.618**	12	.432**	21	.741**	30	.689**	
4	.642**	13	.509**	22	.809**	31	.796**	
5	.435**	14	.523**	23	.824**	32	.771**	
6	.672**	15	.736**	24	.509**	33	.852**	
7	.496**	16	.652**	25	.567**	34	.743**	
8	.586**	17	.559**	26	.506**			
9	.587**	18	.512**	27	.814**			

** دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.01)

* دال إحصائياً عند مستوى الدلالة (0.05)

يتبين من الجدول السابق أن معاملات ارتباط العبارات بالدرجة الكلية للمقياس الذي تنتمي إليه العبارة جاءت أغلبها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (0.01)، وجاءت جميع قيم معاملات الارتباط قيماً عالية، حيث تراوحت في جميع الفقرات بين (.320** – .852**)، مما يدل على توافر درجة عالية من صدق الاتساق الداخلي لعبارات الاستبار.

ت. صدق الاتساق البنائي:

تم التحقق من الصدق البنائي لأبعاد الاستبار من خلال إيجاد معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد والمجموع الكلي للمقياس، ويوضح نتائجه الجدول التالي:

جدول (2)

يوضح معاملات الارتباط بين الدرجة الكلية لكل بعد والدرجة الكلية لمقياس

م	المحور	معامل الارتباط	القيمة الاحتمالية
1	مؤشرات نوعية الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين	.331	.000**
2	مؤشرات نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين	.166	.061
3	مؤشرات نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين	.770	.000**
4	مؤشرات التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين	.748	.000**
5	مؤشرات تقدير الذات للمسنين الفلسطينيين	.741	.000**
6	مؤشرات الاندماج المجتمعي للمسنين الفلسطينيين	.666	.000**

* دال عند مستوى معنوية01. *دال عند مستوى معنوية05.

يتبين من الجدول السابق أن قيم معاملات الارتباط لأبعاد المقياس بالدرجة الكلية للمقياس جاءت بقيم مرتفعة، وكانت أغلبها دالة إحصائياً عند مستوى دلالة (01.)؛ مما يدل على توافر درجة عالية من الصدق البنائي لأبعاد المقياس.

* **ثبات الأداة:** طريقة (ألفا كرونباخ): تم حساب معاملات ثبات ألفا كرونباخ للمقياس ويتضح ذلك في الجدول التالي:

جدول رقم (3)

يوضح طريقة معامل ألفا كرونباخ لقياس ثبات الاستبار

م	المحور	عدد الفقرات	معامل ألفا كرونباخ
1	مؤشرات نوعية الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين	6	.263
2	مؤشرات نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين	6	.123
3	مؤشرات نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين	6	.540
4	مؤشرات التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين	5	.552
5	مؤشرات تقدير الذات للمسنين الفلسطينيين	6	.662
6	مؤشرات الاندماج المجتمعي للمسنين الفلسطينيين	5	.532
	المجموع	34	.734

يتضح من الجدول السابق أن قيمة معامل الثبات الكلي للمقياس كانت مرتفعة؛ وتشير هذه القيم من معاملات الثبات إلى صلاحية المقياس للتطبيق وإمكانية الاعتماد على نتائجه والوثوق به.

4. الأساليب الإحصائية:

بناء على طبيعة البحث والأهداف التي سعى إلى تحقيقها، تم تحليل البيانات باستخدام برنامج الحزمة الإحصائية للعلوم الاجتماعية (SPSS)، واستخراج النتائج وفقاً للأساليب الإحصائية

التالية:

1. التكرارات والنسب المئوية، ومتوسط الوزن المرجح.
2. الانحراف المعياري: ويفيد في معرفة مدى تشتت أو عدم تشتت استجابات المبحوثين، كما يساعد في ترتيب العبارات مع متوسط الوزن المرجح.
3. معامل (ارتباط بيرسون)، لقياس صدق المقياس، واختبار (ألفا كرونباخ)، لمعرفة ثبات المقياس، ومعامل سبيرمان براون للثبات، واختبار (T-Test) للعينات المستقلة، واختبار (One Way ANOVA) لمعرفة الفروق بين المتغيرات.
4. معادلة المدى: وذلك للحكم على فعالية كل بعد من أبعاد المقياس (منخفض، متوسط، مرتفع) وذلك من خلال طرح الحد الأدنى للدرجة من الحد الأعلى للدرجة (1-3=2) ثم تقسيم هذا المدى على عدد خلايا الاستجابات الثلاث (2÷3=0.66)، بعد ذلك يتم إضافة الحد الأدنى للدرجة لتحديد فعالية العبارة أو البعد أو المقياس، كما يلي:
   - المتوسط الحسابي (من 1 إلى 1.66) دور ضعيف.
   - المتوسط الحسابي (من 1.67 إلى 2.33) دور متوسط.
   - المتوسط الحسابي (من 2.34 إلى 3) دور قوي.

سابعاً: عرض جداول الدراسة ومناقشتها:

1. البيانات الديموغرافية لأفراد عينة الدراسة:

جدول رقم (4)

توزيع أفراد عينة الدراسة حسب البيانات الديموغرافية الاتية

المتغيرات		التكرار	النسبة		المتغيرات	التكرار	النسبة
النوع	ذكر	67	52.3		متزوج	62	48.4
	أنثي	61	47.7	الحالة الاجتماعية	أرمل	60	46.9
الحالة الصحية	جيدة	18	14.1		مطلق	6	4.7
	متوسطة	59	46.1		أقل من 3 أفراد	24	18.8
المستوي الاقتصادي	سيئة	51	39.8	عدد الأبناء	من 3 إلى أقل من 5 أفراد	30	23.4
	جيدة	10	7.8		5 أفراد فأكثر	74	57.8
	متوسطة	54	42.2				
	سيئة	64	50.0				

يتضح من جدول رقم (4) التوزيع النسبي للمبحوثين حسب متغيرات النوع، الحالة الصحية، المستوى الاقتصادي، الحالة الاجتماعية، عدد الأبناء، فنلاحظ فيما يتعلق بمتغير النوع أن نسبة الذكور بلغت (52.3 %)، وأن نسبة الإناث (47.7 %)، ويعزو الباحث إلى أن المسنين الذكور لديهم فرصة أكبر من الإناث للخروج من البيت، وكذلك وقت الفراغ الكبير الناتج عن قلة المسئوليات وخاصة المسئوليات اليومية والمنزلية بعكس الإناث.

أما متغير الحالة الصحية نجد أن معظم المبحوثين حالتهم الصحية سيئة بنسبة (46.1 %)، وأن (39.8 %) حالتهم متوسطة، فيما (14.1 %) حالتهم الصحية جيدة، ونلاحظ أن الغالبية صحتهم سيئة حيث أن هذه المرحلة تكون أجهزة الإنسان أصابتها الأمراض والضعف والوهن بحكم التقدم بالسن، وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (العرجا 2016) ودراسة (الهديف 2015) والتي أشارت إلى أن المسنين يعانون من الأمراض المزمنة والضعف الجسمي العام وصعوبة الحركة.

أما متغير الحالة الاقتصادية فإن نسبة (50.5 %) من المبحوثين حالتهم سيئة، وأن (42.2 %) متوسطة، بينما ما نسبته (7.8 %) حالتهم جيدة، ويعزو الباحث ذلك إلى أن الإنسان في هذه المرحلة إما أن يكون قد تقاعد عن عمله، أو أن يكون غير قادر على العمل، أو قلة ساعات العمل خاصة لظروفه الصحية وبالتالي ضعف وقلة مستوى الدخل المادي.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج دراسة (Kowon 2008)، والتي أشارت إلى أن المسنين يعانون من المشكلات المادية وانخفاض أو انقطاع الدخل، وكثرة المصاريف والمتطلبات اليومية.

أما متغير الحالة الاجتماعية فلقد بلغت نسبة المتزوجين من المبحوثين ما نسبته (48.4 %)، والأرمل (46.9 %)، أما مطلق (4.7 %).

وفيما يتعلق بتوزيع المبحوثين حسب متغير عدد أفراد الأسرة جاء ما نسبته (57.8 %) عدد أفراد أسرتهم أكثر من 5 أفراد، وأن (23.4 %) أفراد أسرتهم من 3 إلى 5 أفراد، بينما ما نسبته (18.8 %) أسرهم أقل من 3 أفراد، ونجد أن حجم أسر المبحوثين كبير أكثر من 5 أفراد، حيث أن متوسط حجم الأسرة في قطاع غزة كبير، وما أكدته تقارير الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني أن متوسط حجم الأسرة بقطاع غزة لعام 2018 بلغ (5.7).

المتغيرات المرتبطة بنوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين علي (البعد الموضوعي):

جدول (5)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الأول: مؤشرات نوعية الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات نوعية الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	الى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أجري الكشف الطبي الدوري باستمرار	ن	73	26	29	300	2.34	0.82708	78	3
		%	.57	20.3	22.7					
2	أشكو من الضعف الجسمي والالام المزمنة	ن	90	24	14	332	2.59	0.68087	86.3	1
		%	70.3	18.8	10.9					
3	أعاني من ضعف المستوي الغذائي وعدم توازنه	ن	64	38	26	294	2.29	0.78729	76.3	4
		%	.50	29.7	20.3					
4	أعتمد على الآخرين في تلبية احتياجاتي اليومية	ن	60	32	36	280	2.18	0.84881	72.6	5
		%	46.9	.25	28.1					
5	الخدمات الطبية لا تتناسب مع حاجتي الصحية	ن	70	40	18	308	2.40	0.72565	80	2
		%	54.7	31.3	14.1					
6	أعتمد على استخدام الأجهزة الطبية المساعدة	ن	44	25	59	241	1.88	0.89285	62.6	6
		%	34.4	19.5	46.1					
	الدرجة الكلية					292.5	2.28	-----	75.9	متوسطة

يتضح من بيانات جدول رقم (5) أن مستوى نوعية الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين (متوسطة) بمتوسط مرجح بلغ (2.28)، ووزن نسبي (75.9)، وباستعراض ترتيب الفقرات للبعد تبين أن الفقرة رقم (2) كان لها أكبر قيمة والتي تنص على (أشتكي من الضعف الجسمي والآلام المزمنة) بنسبة (86.3 %)، بينما حصلت على المرتبة الثانية فقرة (الخدمات الطبية لا تتاسب مع حاجاتي الصحية) بنسبة (80 %)، وحصلت على الترتيب الثالث فقرة (أجري الكشف الطبي الدوري باستمرار) بنسبة (78%)، وجاءت في المرتبة الرابعة فقرة (أعاني من ضعف المستوى الغذائي وعدم توازنه) بنسبة (76.3)، وفي الترتيب الخامس جاءت فقرة (أعتمد على الآخرين في تلبية احتياجاتي اليومية) بنسبة (72.6)، فيما جاءت في الترتيب السادس والأخير فقرة (أعتمد على استخدام الأجهزة الطبية المساعدة) بنسبة (62.6).

ويعزو الباحث ارتفاع نسبة شكوى المبحوثين من الضعف الجسمي والآلام المزمنة إلى طبيعة مرحلة الشيخوخة، حيث تبدأ أجهزة جسم الإنسان بالوهن والضعف والتدهور في الأجهزة الفسيولوجية والعضوية ويحدث التغير العام للجسم.

وتتفق هذه النتيجة مع نتائج جدول رقم (4)، والتي أشارت إلى أن المسنين يعانون من الضعف الجسمي العام وصعوبة الحركة والمعاناة من الآلام المزمنة.

كما تتفق نتائج الدراسة مع نتائج دراسة (عبدالله 2011)، والتي أشارت إلى حاجة المسنين إلى الحصول على خدمات التأمين الصحي المجاني، وتوفير الأدوية اللازمة للعلاج، وكذلك ضعف الخدمات الصحية المقدمة لهم.

جدول (6)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الثاني: مؤشرات نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	الى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أعاني من قلة دخلي المادي	ن	94	27	7	343	2.67	0.57416	89	1
		%	73.4	21.1	5.5					
2	ليس لدي مصادر دخل إضافية	ن	87	12	29	314	2.45	0.84050	81.6	4
		%	68.0	9.4	22.7					

رقم الفقرة	مؤشرات نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	إلى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
3	أبنائي لا يساعدوني مادياً	ن	79	33	16	319	2.49	0.70984	83	3
		%	61.7	25.8	12.5					
4	أجد صعوبة في توفير احتياجاتي اليومية	ن	91	28	9	338	2.64	0.61137	88	2
		%	71.1	21.9	7.0					
5	أعاني من كثرة الديون اليومية	ن	73	24	31	298	2.32	0.84284	77.3	5
		%	57.0	18.8	24.2					
6	أتحمل مساعدة بعض أبنائي وبناتي	ن	62	24	42	276	2.15	0.89123	71.6	6
		%	48.4	18.8	32.8					
	الدرجة الكلية					314.6	2.31	-----	79.7	متوسطة

يتضح من بيانات جدول رقم (6) أن مستوى نوعية الحياة الاقتصادية للمسنين الفلسطينيين (متوسطة) بمتوسط مرجح بلغ (2.31) ووزن نسبي (79.7)، وباستعراض ترتيب الفقرات للبعد تبين أن الفقرة رقم (1) جاءت في الترتيب الأول والتي تنص (أعاني من قلة الدخل المادي) بنسبة (89 %)، وفي الترتيب الثاني جاءت فقرة (أجد صعوبة في توفير احتياجاتي اليومية) بنسبة (88 %)، بينما حصلت فقرة (أبنائي لا يساعدوني مادياً) بنسبة (83)، وفي الترتيب الرابع جاءت فقرة (ليس لدى مصادر دخل إضافية) بنسبة (81.6)، أما في المرتبة الخامسة جاءت فقرة (أعاني من كثرة الديون المادية) بنسبة (77.3)، وفي الترتيب الأخير جاءت فقرة (أتحمل مساعدة بعض أبنائي) بنسبة (71.6).

ويرجع الباحث ارتفاع نسبة المسنين الذين يعانون من قلة الدخل المادي أو الصعوبة في توفير الاحتياجات اليومية؛ لأن المسن في هذه المرحلة العمرية قد يكون متقاعداً أو غير قادر على العمل، أو للعمل لساعات طويلة مما يؤثر على مستوى الدخل، وبالتالي فإن الدخل الشهري لا يكفي لإشباع احتياجات الحياة اليومية في ظل أن هذه المرحلة لها متطلبات خاصة سواء في نوعية الغذاء أو العلاج الصحي والأدوية.

وتتفق النتائج مع نتائج جدول رقم (4)، والتي أشارت أن (50 %) من المبحوثين المسنين حالتهم الاقتصادية سيئة.

كما تتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (Kowon 2008) والتي أشارت أن المسنين يعانون انخفاض أو انقطاع الدخل وكثرة المصاريف والمتطلبات اليومية.

جدول (7)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الثالث: مؤشرات نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	إلى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أقتصر علاقاتي على من أعرفهم	ن	69	36	23	302	2.35	0.77087	78.3	2
		%	53.9	28.1	18.0					
2	أفضل أن أكون وحيداً في معظم أوقاتي	ن	71	35	22	305	2.38	0.76458	79.3	1
		%	55.5	27.3	17.2					
3	أتجنب الظهور في الأماكن العامة	ن	61	28	39	278	2.17	0.87042	72.3	3
		%	47.7	21.9	30.5					
4	أجد صعوبة في الانسجام مع من حولي	ن	35	34	59	232	1.81	0.83948	60.3	4
		%	27.3	26.6	46.1					
5	أشارك الآخرين في المناسبات الاجتماعية	ن	33	37	58	231	1.80	0.82346	60	5
		%	25.8	28.9	45.3					

رقم الفقرة	مؤشرات نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	الى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
6	أتبادل الزيارات مع أقاربي	ن	19	37	72	203	1.58	0.73739	52.6	6
		%	14.8	28.9	56.3					
	الدرجة الكلية					258.5	2.01	------	67.1	متوسطة

يتضح من جدول رقم (7) أن مستوى نوعية الحياة الاجتماعية للمسنين الفلسطينيين (متوسطة) بمتوسط مرجح (2.01)، ووزن نسبي (67.1)، وباستعراض ترتيب الفقرات للبعد تبين أن الفقرة رقم (2) والتي تنص على: (أفضل أن أكون وحيداً في معظم أوقاتي) جاءت في الترتيب الأول بنسبة (79.3)، بينما حصلت فقرة: (أقتصر في علاقاتي على من أعرفهم) على الترتيب الثاني بنسبة (78.3)، وجاء في الترتيب الثالث فقرة: (أتجنب الظهور في الأماكن العامة) بنسبة (72.3)، بينما جاء في الترتيب الرابع فقرة (أجد صعوبة في الانسجام مع من حولي) بنسبة (60.3)، وحصلت فقرة (أشارك الآخرين المناسبات الاجتماعية المختلفة) على الترتيب الخامس بنسبة (60)، بينما حصلت فقرة (أتبادل الزيارات مع أقاربي) على الترتيب السادس والأخير بنسبة (52.6) ويعزو الباحث لجوء المسنين إلى الوحدة والانعزال عن الآخرين وعدم القدرة على تكوين علاقات جديدة إلى فجوة الأجيال بين سنه والآخرين المحيطين به، أو فقدان شريك الحياة، كما قد يكون سبب ذلك هو وقت الفراغ الكبير والملل في حياة المسنين مما يدفعهم للعزلة والانطواء وحبّ الجلوس منفرداً وبعيداً عن الآخرين وعن الضوضاء؛ للتمتع بجو يسوده الهدوء.

وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (زغير 2017)، والتي أكدت على أن المسنين يشعرون بالعزلة الاجتماعية على اختلاف المستويات وانقطاع علاقاتهم الاجتماعية والمهنية.

ويتفق مع نتائج دراسة (العرجا 2016)، والتي أشارت إلى صعوبة تكوين المسنين العلاقات الاجتماعية مع الآخرين والشعور بالاغتراب.

كما تتفق النتائج أيضاً مع دراسة (Mullins 2008)، والتي أكدت على وجود وقت الفراغ الكبير في حياة المسنين، وانقطاع الصلة بمعارفه وأصدقائه، وهذا من أهم أسباب تحويلهم إلى دور الرعاية.

المتغيرات المرتبطة بنوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين علي (البعد الذاتي)

جدول (8)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الرابع: مؤشرات التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	الى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	أتحدث مع أسرتي في كل الأمور	ن	62	38	28	290	2.26	0.79847	75.3	4
		%	48.4	29.7	21.9					
2	لا اشعر باني عبء على أسرتي	ن	54	24	50	260	2.03	0.90439	67.6	5
		%	42.2	18.8	39.1					
3	أدائي لواجباتي ومسؤولياتي اتجاه أسرتي ضعيف	ن	77	31	20	313	2.44	0.75094	81.3	1
		%	60.2	24.2	15.6					
4	تعاملني أسرتي معاملة سيئة	ن	74	24	30	300	2.34	0.83654	78	2
		%	57.8	18.8	23.4					
5	أتمتع بروح الود والتفاهم مع أسرتي	ن	70	28	30	296	2.31	0.83005	77	3
		%	54.7	21.9	23.4					
	الدرجة الكلية					291.8	2.27	------	75.8	متوسطة

يتضح من بيانات جدول رقم (8) أن مستوى التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين (متوسط) بمتوسط مرجح بلغ (2.27)، وزن نسبي (75.8)، وباستعراض ترتيب فقرات البعد تبين أن فقرة (أدائي لواجباتي ومسئولياتي تجاه أسرتي ضعيف) حصلت على الترتيب الأول بنسبة (81.3)، بينما جاء في الترتيب الثاني (تعاملني أسرتي معاملة سيئة) بنسبة (78)، وجاء في الترتيب الثالث فقرة (أتمتع بروح الود والتفاهم مع أسرتي) بنسبة (77)، بينما جاء فقرة (أتحدث مع أسرتي في كل الأمور) في الترتيب الرابع بنسبة (75.3)، وفي الترتيب الأخير جاءت فقرة (لا أشعر بأني عبء على أسرتي) بنسبة (67.6)، ويرجع الباحث ضعف أداء المسنين لواجباته ومسئولياته تجاه أسرته لأسباب قد تكون صحية، حيث تداهمه الأمراض من كل جانب، بالتالي ينشغل بمرضه وضعفه عن متابعة أمور أسرته، وقد تكون الأسباب اقتصادية ناجمة عن عدم وجود دخل أو قلته، وبالتالي عدم قدرة المسن على الالتزام بمسئولياته تجاه أسرته، مما ينعكس سلباً في بعض الأحيان على سوء معاملة الأبناء وعلاقاتهم تجاه آبائهم وأمهاتهم، وقد تكون الأسباب اجتماعية حيث إنَّ أغلب الأبناء في هذه المرحلة من العمر يكونوا قد وصلوا إلى مرحلة الاعتماد على أنفسهم وبالتالي تحمل مسئولياتهم بأنفسهم.

وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (العنزي2017) والتي توصلت إلى ضعف اقتناع الأبناء بآراء أبائهم المسنين، وعدم اللجوء إليهم في أمور حياتهم ومشكلاتهم.

كذلك تتفق مع نتائج دراسة (العواملة والنابلسي 2013) والتي أشارت إلى عدم راحة المسن في السكن، وعدم الرضا عن معاملة الأبناء لهم، وعدم شعور المسن بأنه موضع اهتمام وتقدير من قبل أفراد أسرته.

جدول (9)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الخامس: مؤشرات تقدير الذات للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات تقدير الذات للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	الى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	عند غيابي لا يفتقدني الآخرون	ن	78	38	12	322	2.51	0.66385	83.6	1
		%	60.9	29.7	9.4					
2	أفكاري وآرائي لا تحظي بتقدير الآخرين	ن	62	37	29	289	2.25	0.80594	75	3
		%	48.4	28.9	22.7					
3	أشعر بالعجز عن القيام بأي عمل	ن	59	45	24	291	2.27	0.76039	75.6	2
		%	46.1	35.2	18.8					
4	أقدر على اتخاذ القرار المناسب	ن	50	46	32	274	2.14	2.83954	71.3	4
		%	39.1	35.9	25.0					
5	حياتي تسير على النحو الذي أريده	ن	35	44	49	242	1.89	0.80583	63	6
		%	27.3	34.4	38.3					
6	يلجأ إليَّ الآخرون في حل مشكلاتهم	ن	49	32	47	258	2.01	0.86929	67	5
		%	38.3	25.0	36.7					
	الدرجة الكلية					279.3	2.17	------	72.5	متوسطة

يتضح من جدول رقم (9) أن مستوى تقدير الذات للمسنين الفلسطينيين (متوسط) بمتوسط مرجح بلغ (2.17)، ووزن نسبي (72.5)، وباستعراض ترتيب فقرات البعد تبين أن الفقرة (عند غيابي لا يفتقدني الآخرون) قد حصلت على الترتيب الأول بنسبة (83.6)، بينما جاء فقرة: (أشعر بالعجز عند القيام بأي عمل) في الترتيب الثاني بنسبة (75.6)، وجاء في الترتيب الثالث فقرة (أفكاري وآرائي لا تحظى بتقدير الآخرين) بنسبة (75)، بينما حصلت فقرة (أقدر على اتخاذ القرار المناسب) على الترتيب الرابع بنسبة (71.3)، وجاء في الترتيب الخامس فقرة: (يلجأ إليَّ الآخرون في حل مشكلاتهم) بنسبة (67)، بينما حصلت فقرة (حياتي تسير على النحو الذي أريده) في الترتب الأخير بنسبة (63)، ويرجع الباحث تلك النتائج إلى أن في بعض الأحيان تحدث للمسن تغيرات في الشخصية تتمثل في التمركز حول الذات وعدم القدرة على التحكم في انفعالاته، وضعف أداء الدور، كل ذلك يترتب عليه الشعور بالعجز والدونية والتباعد الاجتماعي.

وتتفق هذه النتائج مع نتائج (Gow 2008) والتي أشارت إلى أن المسنين يعانون من الإحساس بالوحدة النفسية والاكتئاب.

وكذلك دراسة (الهديف 2015) والتي أشارت إلى أن المسنين يفتقدون طعم الاستمتاع بالحياة والشعور بالحزن لأتفه الأسباب والرغبة في الموت.

جدول (10)

مجموع الأوزان ومتوسط الوزن المرجح والانحراف المعياري والوزن النسبي والترتيب لدى التساؤل الخامس: مؤشرات الاندماج المجتمعي للمسنين الفلسطينيين؟

رقم الفقرة	مؤشرات الاندماج المجتمعي للمسنين الفلسطينيين؟		نعم	إلى حد ما	لا	مجموع الأوزان	متوسط الوزن المرجح	الانحراف المعياري	الوزن النسبي	الترتيب
1	لا أهتم بالأحداث المجتمعية من حولي	ن	67	39	22	301	2.35	0.75909	78.3	1
		%	52.3	30.5	17.2					
2	لا أساهم بالأعمال التطوعية لخدمة المجتمع	ن	60	25	43	273	2.13	0.89064	71	2
		%	46.9	19.5	33.6					
3	أشارك في حملات التوعية في قضايا المختلفة	ن	43	41	44	255	1.99	0.82763	66.3	4
		%	33.6	32.0	34.4					
4	أناقش قضايا ومشكلات المجتمع مع الآخرين	ن	49	27	52	253	1.97	0.89147	65.6	5
		%	38.3	21.1	40.6					
5	أساعد جيراني في حل مشكلاتهم	ن	52	35	41	267	2.08	0.85138	69.3	3
		%	40.6	27.3	32.0					
	الدرجة الكلية					269.8	2.10	------	70.1	متوسطة

يتضح من جدول رقم (10) أن مستوى الاندماج المجتمعي للمسنين الفلسطينيين (متوسط) بمتوسط مرجح (2.10)، ووزن نسبي (70.1)، وباستعراض ترتيب الفقرات فقد حصلت فقرة: (لا أهتم بالأحداث المجتمعية من حولي) على المرتبة الأولى بنسبة (78.3)، بينما جاء ترتيب الفقرة الثانية (لا أساهم بالأعمال التطوعية لخدمة المجتمع) بنسبة (71)، بينما حصلت الفقرة (أساعد جيراني في حل مشكلاتهم) على الترتيب الثالث بنسبة (69.13)، أما في الترتيب الرابع جاءت فقرة (أشارك في حملات التوعية في قضايا المختلفة) بنسبة (66.3)، وفي الترتيب الأخير فقرة: (أناقش قضايا ومشكلات المجتمع مع الآخرين) بنسبة (65.6).

وتتفق هذه النتائج مع نتائج دراسة (بليح 2018) والتي توصلت إلى حاجة المسنين إلى إتاحة الفرصة لهم للمشاركة في اتخاذ القرارات، والمشاركة في المناسبات الاجتماعية والوطنية المختلفة.

جدول (10)

الفروق في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى إلى الجنس

تحسين نوعية الحياة للمسنين	النوع	ن	المتوسط الحسابي	الانحراف المعياري	قيمة (ت)	قيمة الدلالة
الدرجة الكلية	ذكر	67	70.6119	9.47717	-6.471	0.534
	أنثي	61	81.5902	9.70632		

يبين من جدول رقم (10) وباستخدام اختبار (Indepen-dent- Samples T Test) أنه لا توجد فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوي (0.05) بين الذكور والإناث في الدرجة الكلية للمقياس (ت= -6.471، α = 0.534)، وتظهر هذه النتائج عدم وجود فروق جوهرية في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى لمتغير الجنس.

جدول (11)

الفروق في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى إلى الحالة الاجتماعية

تحسين نوعية الحياة للمسنين	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	قيمة الدلالة
الدرجة الكلية	بين المجموعات	331.208	2	165.604	1.371	0.258
	داخل المجموعات	15097.667	125	120.781		
	المجموع	15428.875	127			

تبين من جدول رقم (11) وباستخدام اختبار (One Way Anova) عدم وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوي (0.05) في تحسين نوعية الحياة للمسنين، كما كانت الفروق غير دالة إحصائياً في الدرجة الكلية للمقياس (F= 1.371، α = 0.258)، وتظهر هذه النتيجة عدم وجود فروق جوهرية في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى لمتغير الحالة الاجتماعية.

جدول (12)

الفروق في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى إلى الحالة الصحية

تحسين نوعية الحياة للمسنين	مصدر التباين	مجموع المربعات	درجات الحرية	متوسط المربعات	قيمة F	قيمة الدلالة
الدرجة الكلية	بين المجموعات	1033.032	2	516.516	4.485	0.013 دالة
	داخل المجموعات	14395.843	125	115.167		
	المجموع	15428.875	127			

تبين من جدول رقم (12) وباستخدام اختبار (One Way ANova) وجود فروق ذات دلالة إحصائية عند مستوى (0.05) في تحسين نوعية الحياة، كما كانت الفروق دالة إحصائياً في الدرجة الكلية للمقياس (F= 4.485، α = 0.013)، وتظهر هذه النتيجة عدم وجود فروق جوهرية في تحسين نوعية الحياة للمسنين تعزى لمتغير الحالة الصحية، ومن أجل المعرفة قام الباحث بإجراء اختبار (Scheffe)، حيث اتضح أن الفروق كانت لصالح من حالتهم الصحية متوسطة بخلاف من كانت حالتهم الصحية سيئة.

ثامناً: النتائج العامة للدراسة:

بعد عرض الباحث لنتائج البحث الميدانية وذلك من خلال عرض استجابات أفراد عينة الدراسة، نبدأ في هذا الجزء بعرض النتائج العامة، ثم البرنامج المهني المقترح.

أ. النتائج المتعلقة بالإجابة على التساؤل الأول، وهو نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين على البعد الموضوعي، جاءت النتائج بأن مستوى الحياة الصحية للمسنين الفلسطينيين متوسطة بنسبة (75.9)، وأن مستوى الحياة الاقتصادية (متوسطة) بنسبة (79.7)، أما الحياة الاجتماعية جاءت أيضاً (متوسطة) بنسبة (67.1).

ب. النتائج المتعلقة بالإجابة على التساؤل الثاني، ما نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين على البعد الذاتي؟ جاءت النتائج بأن مستوى التوافق الأسري للمسنين الفلسطينيين (متوسطة) بنسبة (75.8)، والتوافق الذاتي (متوسط) بنسبة (72.5)، أما مستوى الاندماج المجتمعي أيضاً جاء (متوسط) بنسبة (70.1).

ت. النتائج المتعلقة بالتساؤل الثالث: توصلت الدراسة أنه لا يوجد فروق ذات دلالة إحصائية لتحسين نوعية حياة المسنين الفلسطينيين ومتغير الجنس أو الحالة الاجتماعية أو الحالة الصحية.

ث. النتائج المتعلقة بالتساؤل الرابع، البرنامج المهني المقترح للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

في ضوء ما توصلت إليه من نتائج الدراسة بأن مستوي نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين متوسطة على البعدين الموضوعي والذاتي.. لذا فإن الدراسة توصلت إلى برنامج مهني وهو كالتالي:

البرنامج المهني المقترح للممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين:

أولاً: الأسس والموجهات العلمية والمهنية للبرنامج المهني:

1. الإطار النظري لمهنة الخدمة الاجتماعية: بما يتضمنه من معارف واستراتيجيات وتكنيكات وأدوار مهنية ومهارات تمثل الإطار المرجعي للأساليب الانتقائية للممارسة العامة للخدمة الاجتماعية لتحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

2. نتائج الدراسات والبحوث السابقة والتي ترتبط: بواقع الحياة للمسنين الفلسطينيين.

3. الموجهات النظرية للبرنامج المهني المقترح وذلك بالاعتماد على:

- **نظرية الأنساق الأيكولوجية:** والتي من خلالها يمكن العمل مع من يشملهم موقف التدخل من الأنساق (الصغرى – المتوسطة – الكبرى)، وتسهم في التعرف على كافة الجوانب المادية والاجتماعية المحيطة بالبيئة، كما تساعد على تحديد العوامل والأسباب التي تؤثر على المسنين والمسببة للاحتياج إلى تحسين مستوى نوعية الحياة، وتنمية وتطوير تفاعل المسن مع بيئته.

- **نموذج الحياة:** يمدنا هذا النموذج بوجهة نظر حول أهمية دراسة مشكلات واحتياجات الإنسان من خلال العلاقة المتبادلة بين الناس وبيئاتهم، كما يساعدنا في التركيز على مناطق القوة لدى المسنين وضرورة استثمارها والاستفادة منها لتحسين نوعية الحياة من خلال البرنامج.

ثانياً: أهداف البرنامج المهني:

يشمل الهدف الرئيس للبرنامج في: تحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

ويتحقق هذا الهدف من خلال تحقيق الأهداف الفرعية التالية:

1. تحسين البعد الموضوعي لنوعية حياة المسنين من خلال:

- تحسين نوعية الحياة الاقتصادية – تحسين نوعية الحياة الاجتماعية.
- تحسين نوعية الحياة الصحية.

2. تحسين البعد الذاتي لنوعية حياة المسنين والذي يشمل:

– التوافق الأسري – تقدير الذات – الاندماج المجتمعي.

ثالثاً: أنساق التعامل التي يتضمنها البرنامج المهني:

1. نسق محدث التغيير: الأخصائيون الاجتماعيون، فريق العمل بالمؤسسة، المختصون في مجال المسنين لتحسين مستوى نوعية حياتهم.

2. نسق العميل: وهو يتمثل في المسن كنسق فردي وجماعي.

3. نسق الهدف: (المستهدف بالتغيير) ويشمل على الآتي:

- على مستوى الوحدات الصغرى للممارسة: يشمل المسن كنسق إنساني له خصائصه ومشكلاته.
- على مستوى الوحدات الوسطى للممارسة: ويشمل جماعات المسنين وأسرهم والمحيطين بهم.
- على مستوى الوحدات الكبرى: المجتمع بما يشمله من مؤسسات وهيئات وجمعيات متنوعة يمكن أن تساهم في تحسين نوعية الحياة للمسنين الفلسطينيين.

رابعاً: استراتيجيات البرنامج المهني:

1. **استراتيجية التمكين:** وذلك من خلال منح القوة للمسنين، وتحرير الطاقات الكامنة فيهم، وتعزيز قدراتهم الذاتية واستثمارها، وإتاحة الفرصة للعمل الناجح يساهم في تحسين نوعية الحياة.

2. استراتيجية المشاركة: وتهدف إلى تشجيع المسنين على المشاركة في الدورات التدريبية وورش العمل للمشاريع التي تساهم في تحسين نوعية حياتهم، كذلك الأنشطة الاجتماعية التي من الممكن أن تساهم في تطوير علاقاتهم الاجتماعية مع المحيط والاندماج المجتمعي.

3. استراتيجية تعلم المهارات التعامل مع البيئة الاجتماعية:

وتتضمن هذه الاستراتيجية تدريب المسنين على المهارات الاجتماعية، والتدريب على اتخاذ القرارات، وحل المشكلات بأسلوب علمي، والتدريب على أساليب الاتصال الفعال مع الآخرين والتعامل معهم بإيجابية.

4. استراتيجية تحسين الوضع الاجتماعي والخدمات: وتستخدم لتحسين الخدمات التي تقدم للمسنين من خلال المؤسسات والمنظمات المختلفة لزيادة كفاءة وفعالية هذه الخدمات من حيث الكم والكيف؛ لتكون أكثر استجابة واستمرارية ومرونة؛ لتتمشى مع الحاجات المتجددة للمسنين وأسرهم.

5. استراتيجية التفاوض: وتستخدم هذه الاستراتيجية مع كافة المؤسسات المجتمعية التي يمكن الاستفادة من خدماتها لتوفير الدعم المادي والمعنوي للمسنين مما يساهم في تحسين نوعية حياتهم.

6. استراتيجية المساعدة: وتهدف إلى مساعدة المسنين على تنمية قدراتهم، وتنمية مناطق القوة في شخصياتهم، ودعم تقدير الذات لديهم.

7. استراتيجية تغير السلوك: تستخدم هذه الاستراتيجية بهدف تغيير السلوكيات السلبية للمسنين كضعف الثقة بالنفس والخوف والتردد والإحباط والعمل على تغيير النظرة التشاؤمية للحياة وتدعيم الجوانب الإيجابية في الحياة.

خامساً: التكنيكات والأساليب المهنية للبرنامج المهني:

1. تكنيك التعلم: لإكساب المسنين المهارات والمعارف والمعلومات التي تساهم في تحسين نوعية حياتهم.

2. تكنيك المناقشة: وهي وسيلة من وسائل التغيير حيث تربط الأنشطة التي يمكن أن تستخدم في عملية زيادة التفاعلات والعلاقات بين المسنين.

3. تكنيك العمل المشترك: لزيادة التعاون بين المسنين وزيادة شبكة العلاقات الاجتماعية وقبول الذات والشعور بالرضا.

4. تكنيك الإفراغ الوجداني: ويتم الإفراغ الوجداني من خلال المقابلات الفردية والجماعية للمسنين ليعبروا عن مشاعرهم ومشاكلهم ونظرة لحل مشاكلهم.

5. تكنيك حل المشكلة: من خلال إتاحة فرص التدريب على أساليب التعامل مع المشكلات والضغوط التي تواجه المسنين وتؤثر على مستوى نوعية حياتهم.

سادساً: الأدوات المهنية للبرنامج المهني:

1. المقابلات: وتتم مع المسنين سواء كانت أفراداً او جماعات أو مقابلات مشتركة.

2. المناقشة الجماعية: وتستخدم مع المسنين كجماعة وذلك لمناقشة المشكلات التي تواجههم والتي تساهم في تدني نوعية حياتهم.

3. ورش العمل: لمناقشة القضايا والصعوبات المتعلقة بتحسين نوعية الحياة المسنين وكيفية التغلب عليها.

4. اللجان: ويتم تشكيل اللجان من خلال المؤسسات والمنظمات المجتمعية المعنية بشئون المسنين والتي يشملها البرنامج المهني وذلك بهدف دراسة حياة المسنين والوصول إلى تحسينها.

5. الزيارات الميدانية: وذلك من خلال القيام ببعض الزيارات الميدانية إلى المؤسسات الاجتماعية والخدمية الموجودة في المجتمع والتي يمكن الاستفادة منها في تحسين نوعية الحياة المسنين.

سابعاً: الأدوار المهنية للممارس العام بالبرنامج المهني:

الدور المحوري للممارس العام بالبرنامج المهني ليس دوراً خدماتياً تقليدياً (ترميمياً) آلياً مجرداً. وإنما هو دور تمكيني تنموي بامتياز. يقوم به الممارس المهني ببناء القدرات، وتفعيل الطاقات (الفعلية والممكنة)، ويساعد في صنع القرارات، وحل المشكلات، وعقد الشراكات وكسب التأييد والمناصرة لمجتمع المسنين.» ويتم ذلك من خلال الأدوار الجزئية التالية: دور المعالج: وذلك من أجل مساعدة المسنين على تعديل الأفكار والسلوكيات الخاطئة، والمشاعر السلبية والتفاعلات الاجتماعية السلبية، وعدم تقدير الذات. دور المعلم: ويتضمن تزويد المسنين بالمعارف والمعلومات المناسبة، والتدريب والتعليم على مهارات حل المشكلة والاتصال الفعال مع الآخرين. دور المسهل أو الميسر: وذلك من خلال تقديم التسهيلات الممكنة للمسنين كتسهيل التفاعلات الاجتماعية مع الآخرين، وتسهيل الحصول على المساعدات والخدمات من المؤسسات المعنية بتقديمها. دور الوسيط: ويمارس ذلك بين المسنين والمؤسسات بالمجتمع من أجل الاستفادة من خدمات هذه المؤسسة في تحسين نوعية الحياة. دور المدافع: ويتضمن المطالبة بحقوق المسنين والعمل على تحسين نوعية الحياة وحل مشكلاتهم. دور المساعد: من خلال مساعدة المسنين على تعبئة وحشد قدراتها ومنحها الفرص للقيام بعمل ناجح.

المراجع:

أولاً: المراجع العربية:

- إبراهيم، محمد. (2016). استخدام جماعات المساعدة الذاتية للتخفيف من حدة مشكلات المسنين بالريف، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، (55): 37.
- أبو المعاطي، ماهر.(2009). الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية أسس نظري – نماذج تطبيقية، القاهرة: نور الإيمان للطباعة.
- آدم، صلاح. (2018). ممارسة نموذج الحياة من منظور الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتحقيق التكيف الاجتماعي للمسن، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، (59):441.
- بليح، مخلص. (2018). تقدير حاجات المسنين كمدخل لتحسين نوعية حياتهم، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، 3 (59).
- جبران، منى.(2018). ممارسة العلاج الواقعي في خدمة الفرد في تحسين نوعية الحياة للمسنين، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، القاهرة، 6 (59): 378.

- جرادات، عبد الكريم. (2016). الرضا عن الحياة والدعم الاجتماعي لدى المسنين المقيمين في دور الرعاية وأولئك المقيمين في بيوتهم الخاصة، مجلة العلوم التربوية والنفسية، جامعة البحرين، 7 (1): 289.
- الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني (2019) تقارير سنوية، رام الله، فلسطين.
- حسن، عماد. (2010). الالتزام القيمي لأخصائي الجماعة وتحسين نوعية الحياة للمسنين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 5 (28): 2227.
- حسن، نورهان. (2008). ممارسة طريقة العمل مع الجماعات وتحقيق الدمج الاجتماعي للمسنين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 3 (25): 1239.
- راشد، عفاف. (2009). العلاقة بين رضا الإبنة الراعية عن نوعية الحياة ومستوى رعايتها للأم المسنة، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، (26): 2349.
- زغير، إكرام. (2017). مشكلة الشعور بالعزلة الاجتماعية لدى المسنين، مجلة بحوث عربية في مجالات التربية النوعية، رابطة التربويين العرب، (6).
- الزيود، إسماعيل. (2012). واقع حياة المسنين في مؤسسات الرعاية الاجتماعية الحكومية والخاصة في عمان، مجلة جامعة القدس المفتوحة للبحوث الإنسانية والاجتماعية، جامعة القدس المفتوحة، (28).
- سالم، عماد. (2005). خدمات الرعاية الاجتماعية وتحسين نوعية الحياة للمسنين،(رسالة ماجستير غير منشورة)، جامعة حلوان. مصر.
- الشوارب، إياد. (2012). مستوى التوافق الاجتماعي والانفعالي لدى المسنين وعلاقته ببعض المتغيرات، مجلة كلية التربية، جامعة بنها، مصر، 23 (90): 230.
- شومان، عبد الناصف. (2004). فعالية نموذج الحياة في خدمة الفرد في التخفيف من حدة الضغوط الحياتية لدى المسن، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية جامعة حلوان، 2 (17): 570.
- صالح، ناهد. (1990). مؤشرات نوعية الحياة «نظرة عامة على المفهوم والمدخل»، المجلة الاجتماعية القومية، القاهرة، المركز القومي للبحوث الاجتماعية والجنائية، 27(2).
- عبد الجواد، سلوى. (2011). حقوق المسنين بدور الرعاية الاجتماعية وتحسين نوعية حياتهم في مؤسسات رعاية المسنين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 10 (3).
- عبد الخالق، أحمد.(2015). معدلات انتشار الشكاوي والأمراض وعلاقتها بالاضطراب النفسي لدى عينة من المسنين الكويتيين، المجلة التربوية، جامعة الكويت، 30 (117): 564.
- عبد القادر، زكنية. (2011). مدخل الممارسة العامة في مجالات الخدمة الاجتماعية، القاهرة، مكتبة الأنجلو.
- عبد القوي، رضا. (2018). جودة الحياة لدى مقدمي الرعاية الأسرية وعلاقاتها، مجلة الخدمة الاجتماعية، الجمعية المصرية للأخصائيين الاجتماعيين، 11 (59): 60.
- عبد المقصود، أماني. (2008). تقدير الذات لدى المسنين المودعين بدور رعاية المسنين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 2 (24): 619.
- عبد الله، نمر. (2011). خدمات الرعاية الصحية لتحسين نوعية حياة المسنين في مصر، مجلة دراسات في الخدمة والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 9 (30).
- عثمان، حمادة. (2012). تحليل سياسات الرعاية الاجتماعية لكبار السن في مصر في الفترة (1952– 2009) (رسالة ماجستير غير منشورة) جامعة حلوان، جمهورية مصر العربية.
- العرجا، ناهدة. (2016). الصحة النفسية لدى المسنين الفلسطينيين، المجلة الأردنية للعلوم الاجتماعية، الجامعة الأردنية، 9 (2).
- العنزي، موطي. (2017). المشكلات التي تواجه المسنين في مدينة الرياض، مجلة البحث العلمي في التربية، كلية البنات، جامعة عين شمس، 4 (18): 613.
- القط، جيهان. (2011). ممارسة العلاج المتمركز حول العميل في خدمة الفرد لتحقيق الشعور بالاغتراب لدى المسنات، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 7 (31): 3025.
- مجدي، محمد. (2014). إسهامات منظمات المجتمع المدني في تحسين نوعية حياة سكان العشوائيات، (رسالة ماجستير غير منشورة) كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان.
- محفوظ، ماجدي. (2004). طريقة خدمة الجماعة «الأسس – التكتيكات– المواقف، القاهرة، مكتبة الراشد.
- محمود، محمد. (2015). تقويم استخدام الأخصائي الاجتماعي لوسائل التعبير في طريقة العمل مع الجماعات لتنمية الكفاءة الاجتماعية للمسنين، مجلة دراسات في الخدمة الاجتماعية والعلوم الإنسانية، كلية الخدمة الاجتماعية، جامعة حلوان، 11 (39): 220.
- النابلسي، هناء والعواملة، حنين (2013). أنماط الإساءة الاجتماعية الصحية والنفسية التي يتعرض لها كبار السن داخل أسرهم، المجلة العربية للدراسات الأمنية والتدريب، جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية، 29 (58).
- نوفل، زيزيت. (2012). برنامج مقترح لاستخدام الممارسة العامة في الخدمة الاجتماعية لتنمية تقدير المسن المقيم بدور رعاية المسنين لذاته، بحث مقدم إلى المؤتمر الدولي الخامس والعشرين، بعنوان: مستقبل الخدمة الاجتماعية في ظل الدولة المدنية الحديثة، جامعة حلوان، مصر، شهر مارس، 2012.
- الهديف، مفتاح. (2015). بعض مشكلات الشيخوخة بمنطقة الخمس، مجلة التربوي، كلية التربية، جامعة المرقب،(6): 68.

ثانياً: المراجع الأجنبية:

- *Bowling- Ann:), (2007). Lay theories of quality of life in older age, London, pear- Reviewed journal Vol (27).*
- *Kengott, Margaret joarm, (2011). The Effects of social support On Perceived Health of Spanish elders I.G.s, Miami university.*

- *Kim, Cho, Won(2008), Challenges faced "By korean older Adults.. Hyingindejiendentw M. S.W California state University, long beach..*
- *Lin, L, & Guo, (2008): Life satisfaction in a sample of empty-nest elderly: Asurvey in the real area of a mountainous country in china, Quality of life Research: An International Journal of Quality of life Aspects of Treatment, carea Rehabilitation, Vol (17) No (6) Aug, 823.*
- *Louise C. Johnson (2007): social work practice generalist approach.boston: allyn and bacon.*
- *Michalos – Alex. C. (2007). Health and Quality of life of older people, New York, journal Article Reports- Research, Vol (84),*
- *Mullins and Dugan (2015). The characteristics and problems of the elderly and the reasons for their transition to care homes in New Zealand from their point of view: Survey Study of Elderly Residents in Care Homes in New Zealand. Public Health Nursing Journal, Vol. 20, No.3, 71-95.*
- *Qun, z, (2005): An investigation on life satisfaction of Macao elderly and the influence factors, Chinese journal of Clinical psychology, Vol. (13), No. (3), 285- 287*
- *Scott W. Boyle & other,(2006).: direct practice in social work ,n.y, pearson education.*

صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي
ديوان جبل النار نموذجا

Image of Jenin in the Poetry of Burhan al-Din al-Aboushi
Diwan "Jabal al-Nar" (Mountain of Fire) as a Model

نجية فايز الحمود
أستاذ مشارك / جامعة القدس المفتوحة / فلسطين

Najeyeh Fayez Alhmood
Associate professor/
Al-Quds Open University/ Palestine
nal-hmood@qou.edu

تاريخ الاستلام: 12/ 1/ 2020م، **تاريخ القبول:** 10/ 5/ 2020م.

Received: 12/ 1/ 2020, **Accepted:** 10/ 5/ 2020.

DOI: 10.33977/0507-000-053-003

E-ISSN: 2616-9843

P-ISSN: 2616-9835

https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تحاورُ الدِّراسةُ الحاليّةُ قضية المكانِ المتمثّل في (صورة جنين في شعر برهان الدين العبوشي، في ديوانه جبل النّار)، في ثلاثة محاور رئيسة؛ قدمت لذلك حديثاً موجزاً عن حياة الشّاعر في تمهيد مختصر، ثمَّ وصفت الدِّراسةُ مدينةَ جنينَ في شعره، ومحاربته الشديدة لأولئك السماسرة ؛ الذين تواطؤوا معَ الاحتلالِ الصهيونيّ في بيعهم الأراضيَ الفلسطينيّة، مما مهّدَ لهم الطريقَ للاستيطانِ الصهيونيِّ على أراضي مرج ابنِ عامر، فتناول البحث التنديد بالمستعمرات اليهودية التي أقيمت على أراضي مرج ابن عامر، وقدسية المكان – جنين – في شعر العبوشي، وحللت الدّراسة بعضاً من الأساليب اللغوية الفنية التي استثمرها الشاعر لتوضيح قدسية المكان، وأظهرت بعضاً من السمات الفنية للخطاب الشعريّ. وعرّجَت الدراسةُ بحثًا وتناولاً للإشادة بإخوانه العرب، ولا سيما الشّعب العراقيّ، ودورهم البطوليِّ في الدِّفاع عن جنين. وتطرّقت إلى شعر الشّوق والحنين الذي عبَّرَ فيه عن وثاقة ارتباطه بجنينَ ومرجها، بعدَ أنْ اضطرَه الاحتلالُ الصهيونيّ إلى مغادرتها قسْراً. وخَلُصَت الدراسةُ إلى أنّ جنين مدينة لها قدسية دينية في شعر العبوشيّ.

وسارت الدراسة على إجراءاتِ المنهج الوصفيِّ التحليلي في مناقشة موضوعها، ووصفتْ صورةَ مدينةَ جنينَ ومرجها منْ ديوانِ الشّاعرِ جبلِ النار، وحلّلت السمات الفنية والأساليب اللغوية المستثمرة في أشعارِ الديوان.

الكلمات المفتاحية: العبوشي، جنين، ابن عامر، السماسرة، الحنين

Abstract

The present study investigates the image of Jenin city in Burhan al-Din al-Aboushi's poetry in his Diwan "Jabal al-Nar" (Mountain of Fire) based on three areas: First, it provides a brief background of the poet's life, his struggle, his travels and movements. Then, the study moves on to shed light on how he describes Jenin city and its fight against the brokers who conspired with the Zionist occupation to sell the Palestinian territories. After this, the way was paved for Zionist settlement to expand across "Marj Ibn Amir" plain.

The study also addresses the characteristics of the Arab nationalism in al-Aboushi›s poetry and the implications of his praise of his Arab brothers - the Iraqi people in particular. The people with whom the poet spent most of his alienation. Besides, they were known to play a heroic role in defending Jenin.

In addition to that, the study discussed his longing and nostalgia in which he expressed his attachment to Jenin and its plain after he was forced to leave it because of the Zionist occupation. He was constantly incited to resistance and struggling for the liberation of the country.

The study has concluded that Jenin was well-manifested in al-Aboushi›s poetry with its religious and poetic sacredness.

The study adopts the descriptive approach when discussing the main points. It describes Jenin and its plain in the poet›s diwan «Jabal al-Nar» (Mountain of Fire) and analyzes the artistic characteristics and the linguistic styles used in the poems of this diwan.

***Keywords**: Al-Aboushi, Jenin, Ibn Amir, Brokers, Nostalgia, Nationalism.*

المقدمة:

أهمية الدراسة

عايشَ برهان الدين العبوشي ظروفَ الاحتلالِ المقيتَةَ، وشاهدَ ممارساته القمعيّةَ والوحشيّةَ، وتألمتْ جوارحُهُ من إجلاء المحتلّ للناس عن بيوتهم، وطردهم عن أراضيهم، فكانَ– لذلك– أثرٌ كبيرٌ في تدفّق شاعريته في حمل لواء الدعوة إلى المقاومة، والسير في ركابها شعراً ومقاومةً، مما جعلت الآخرين يطلقون عليه مسمّىَ (السيفُ مقابلُ القلم)، فقد وصفوه بأنّه مناضلُ السّيف والقلم، أو مناضلٌ في ثوب شاعر كما قيلَ فيه؛ نظرا لأنَّ شعرَهُ اختصّ كثيرا في شعرِ الدعوة إلى مقاومةِ المحتلّ، وحفلَ بالحثِّ على النِّضالِ، والتّحريض على قتاله.

تناولت الدِّراسةُ (صورةَ جنينَ في شعر برهان الدين العبوشي ديوان جبلِ النّارِ نموذجا)، وعرّفتْ بحياة الشّاعر، وبسيرته النّضاليّة، وتابعت الدراسةُ مواقفَه التي حارب بها ظاهرة السمسرة والسماسرة الذينَ كان لهم دورٌ كبيرٌ في بيع أراضٍ كثيرة منْ جنينَ لليهودِ –على أن بيع الأرض لليهود لم يكنَ ظاهرةً عامةً، وإنما كان مقصورا على أفراد أو فئة قليلة– وتنديده بالمستوطناتِ اليهوديّة، التي أقيمت على أراضي جنينَ وتلالها، وعن حضورِ المكانِ في شعرِ العبوشيِّ أينما حلَّ، فجنينُ وفلسطينُ تسكنُ سويداءَ قلبِ الشّاعر. ومنْ ثَمَّ، تناولت الدراسةُ الحنينَ والشوقَ الذي كان يعتري الشّاعرُ في غيابه عن جنينَ، وقد حُرمَ من فرحةِ العودةِ إليها.

دفع الباحثةَ إلى الكتابة في هذه الجزئيّة سبرُ غورِ الثنائية المثيرة في حياة الشّاعرِ وفي شعره، فهَو شاعرُ السّيفِ والقلم، وشاعرُ المقاومةِ والحنينِ والشّوقِ والوصف، فقد أبدع في وصفِ مدينة جنين ومرجها، كما أنّه أثرى المكتبةَ العربيّةَ بإنتاج ضخم، ويحتاج شعره إلى مزيد من الدراسات على الرغم من كثرة الدّراسات التي كتبت عنه.

الدراسات السابقة

ومن الدراسات السابقة التي تناولت شعر الشاعر:

(برهانِ الدّينِ العبوشيِّ أديبًا) رسالةُ ماجستير، شمسُ الدّين غنام عبد القادر عصيدة، إشراف أ.د. عادل أبو عمشة، جامعة النّجاحِ الوطنية، نابلس، 2012 م

الاتجاه القومي في شعر برهان الدين العبوشي رسالة

دكتوراة، أحمد عبد الرؤوف جبر، إشراف أ. د. محمد علي الشوابكة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان، 2017

برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، بمناسبة مرور مائة عام على ولادته. مجموعة باحثين / كتاب يضم أوراقاً قدمها عدد من الباحثين في الجامعات الأردنية والعربية في الندوة التي يعقدها قسم اللغة العربية في جامعة البتراء؛ لتكريم أحد أعلام الفكر والأدب. بقلم ابتسام محمود. تحرير د. خالد جبر. ود. نبيل حسنين. / الموقع الإلكتروني diwanalarab.com/ برهان الدين العبوشي.

الالتزامُ السياسي في شعر برهان الدّين العبوشيِّ، د. زاهرة أبو كشك.) بحثٌ محكّمٌ في مجلة جامعة الزيتونة. والبحث من أعمال ندوة جامعة البتراء، فهي ترى أن الالتزام السياسي عند الشاعر ينطلق من إيمانه بحقه في أرضه ووطنه، وهو يحاول أن يبث روح الحميّة في نفوس أبناء شعبه، ويحمل همومهم ومعاناتهم.

العراق في شعر العبوشي، د. ابتسام مرهون الصفّار، ورقة علمية من أعمال ندوة جامعة البتراء السابقة الذكر. تحدثت فيها الباحثة عن مكانة العراق في قلب الشاعر؛ ليرى فيهم (السند الحقيقي) وقد هبّوا للدفاع عن جنين عام 1948.

برهان الدين العبوشي شاعر وداعية الجهاد المقدس، حلمي زواتي. بحث منشور في في مجلة الثقافة – مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر – السنة الخامسة عشرة، العدد 89، محرم 1405هـ – 1406هـ، 1985. تناول فيه الباحث حياة العبوشي ومسيرته النضالية من خلال أعماله. ويُصرِّح الكاتب أن سبب اهتمامه بالكتابة عن العبوشي هو أنه من أوائل المجاهدين في الكلمة والبندقية.

أفادت الباحثة كثيرا من بعض الدراسات السابقة في بعض الأجزاء البنائية لدراستها، لكنّ الدراسةَ هذه امتازت عن غيرها بأنّها ركزت على دلالة مدينة جنين في شعر العبوشيّ، وأظهرتْ صورتَها أمام المحتلّين الغاصبين لها، وكشفت عن صور الدفاع عنها فلسطينيّاً وعربيّا، وأبانت عن علاقة الشاعر القوية معها، ورسمت الدراسة تفاصيل أمكنة المدينة، وحللّت بعضَ صور الأداء الفني لشعر العبوشيّ، ولا سيما الجوانب الدلالية الفنية.

أسئلةُ الدّراسة:

تحاولُ هذه الدّراسة أنْ تجيبَ عن الأسئلة الآتية:

- ما العوامل التي أسهمت في تشكيل تجربة الشاعر الشعرية؟
- ما معالم صورة مدينة جنين الجغرافية والاجتماعية والنضاليّة ومرجها في شعر العبوشيّ؟
- ما المعاني الجزئية التي تطرق إليها الشاعر في حديثه عن صورة جنين في ديوانه موضوع الدراسة؟

تمهيد

لعلّ التوطئة بحياة الشاعرِ وبيان دورها في بناءِ شخصيةِ شّاعرٍ مناضلٍ يُضيءُ كثيرا من جوانب شاعريته في هذه الدِّراسة:

العبوشيُّ من مواليدِ مدينةِ جنين في فلسطينَ، عامَ (1911هـ– 1995م). أنهى فيها تعليمَه الابتدائيّ، ثم انتقلَ إلى نابلس، ودرسَ قسما منَ المرحلةِ الثانويةِ في مدرسةِ النّجاحِ الوطنيّة، ومن ثمَّ، انتقلَ إلى لبنان. وبدأت حركةُ النّضالِ الفلسطينيّ فيه عندما كان مناصرا للمجاهدِ عزِّ الدّينِ القسّام في أيام شبابه المبكّر، وحينما كان يخرجُ مع الشباب تحريضا ضدّ المحتلينَ البريطانيين في مدينة جنين، أو مُنافحاً ضدّ الهجرةِ اليهوديةِ إلى فلسطين التي رعتها دولةُ الاحتلالِ البريطانيّ، آنذاك، الأمر الذي جعله يَقضي شطرا طويلاً من حياتَه بينَ معتقلاتِ الاحتلال، والشطر الآخر قضاهُ متنقلاً لاجئاً ما بينَ بيروتَ ودمشقَ وبغداد؛ ليعملَ مدرساً في مدارسِها من عام 1939 – 1941م، ولم يتوقف الشاعرُ – على الرغم من لجوئه – عنِ المشاركةِ في الثوراتِ ضدّ البريطانيين مشاركة فعليّة أو شعرية، وعادَ إلى القاهرة سنة 1945م؛ ليقدّم – هناك – قضية فلسطين في محافلها الأدبيّة والسياسية. وفي عام 1948م، خاضَ المعاركَ كلها ضدّ اليهودِ التي وقعتْ في منطقةِ جنين، ثم عادَ ثانيةً مرتحلاً إلى بغدادَ، وعملَ فيها معلماً للتربيةِ الإسلاميةِ واللغةِ العربيةِ في مدارسِها الثانويةِ المركزية، وصدر له فيها دواوينَ شعريّةَ عدّة(صدوق، 2000، ص123).

وغالبا ما يلجأ العبوشيّ في شعره إلى المباشَرةِ والسهولةِ في أسلوبه، وأنَّ كلماته كانتْ مستمدةً من واقعه القاسي المؤلم، التي تنصبُّ حولَه الأحداثَ الملازمة له حيثما حلَّ، شأنه في ذلكَ شأنَ شعراءِ الأرضِ المحتلةِ الذينَ كثّفوا التعبير عن قضيتهم المركزيّة، واتخذوا منَ شعرهم الثوريِّ وسيلةً للدّفاعِ عن بلادهم، ومواكبةِ أحداثها، فرفعوا صوتَهم عالياً، وصوَّروا محنتهم التي عايشوها منذ طفولتهم، والحالُ هنا عند العبوشيّ؛ إذ نظم قصائده الوطنية بالأسلوب عينه؛ ليكونَ لها صدى وتأثير كبيران عند ال عامة والخاصة من شعبه، دونَ اللجوءِ إلى الغموض في ألفاظه. وقد وجدَ الشعراءُ القدامى مبتغاهم في هذا الأسلوب القائم علىَ أنَّ إثبات ما يتصل بحرارة الزفرات يُرسلها من يعاني الوجد» (السامرائي، 2002، ص122).

لقيت القضية الفلسطينيّة عناية الشعراءِ العربِ عامّة، ولا سيما الشعراءُ الفلسطينيونَ الذين خرجوا من رحم التجربة الواقعية؛ فحملوا على عاتقهم همومَ وطنهم، ومطالبَ شعبهم، وتفاصيلَ قضيتهم، وباتتْ القضيةُ الفلسطينيّةُ محورا أساسا من محاورِ اهتماماتهم الأدبيّةِ والخاصّةِ داخلَ الوطنِ وخارجه (عباس، 2001، ص50).

امتاز العبوشي – خُلقيا– بنزاهةِ نفسه وعفّتها، وسموِّ أخلاقه، التي يتعالى بها عن الخضوعِ والتّهاونِ معَ الأعداء، ولا يسمحُ لنفسه بأنْ يمدَّ يدَه للأعداء، أو يفرّطَ بذّرةٍ منْ ترابِ القدسِ مسرى النبيّ – عليه السّلام – وهو يعتزُّ بسلامةِ دينه وأدبه وأخلاقه، وإنْ أخفقَ في جمعِ الأموال، وفي ذلك، يقولُ(العبوشي، 1956، ص56):

إنّـــي لآنـف أنْ أمـدَّ إلى العِـدا كفّـي لأسمـحَ بالـتراث البُراقـي؟؟
لـو جـاءَتِ الدّنيـا تهيـلُ نضارُها مـا سيطـرتْ يومًـا علـى أخلاقـي

نفسي أعزُ من الجبالِ فلا أرى أحدًا أدينُ لهُ سوى الخلّاق
أدبي ودِيني سالمانِ وإنْ أكنْ بالمالِ قد منّيت بالإخفاق

تبدو التجربةُ الذاتيةُ واضحةً في هذه المقطوعة الشعرية، التي عبّر فيها العبوشيّ عن غلبة الأخلاق ومنظومتها على المال وحبه، فلا شيءٌ عنده يعدل الأخلاق، والأدب والدين، وهو بذلك ينمي عزة النفس ويكبرها، بما نشأ عليه؛ فالسلامة إنْ كُتبتْ لأدبه، وحسن تصرّفه، ولدينه، فذاك ما يطمحُ إليه ويأمله؛ لأنّ مَن يدعّم نفسَه بمطالب العزّة الكبيرة فلا مناصَ له من تحصينها بحسن الخلق، وقوة الدين، وتأدّب الخطاب.

يعبّرُ العبوشيّ في شعره عن عصارة معاناته وآلامه التي عاشها في بلاده، وفي خارجها، حيثُ بلادُ الغربة التي رحلَ إليها؛ ليحملَ معه همومَ شعبه، وأمانيَ وطنه السليب في التحرر، حيثما حلّ، فامتلأ شعرُه بمعاني النّضال، ودعوات المقاومة؛ من أجل الانعتاق من المحتلين الغاصبين أرضَه، ويُلحَظُ أنّ جنينَ ومرجَها ووادِيَها كان لها حضورٌ وافرٌ في شعرَه، ولا غرابةَ في ذلك، فهي مسقطُ رأسه الذي ترعرعَ فيها، ومدينته التي نشأ فيها، وله فيها ذكرياتُ طفولته الجميلة معَ أهله وأحبابه، وكذلك، عبّرَ الشّاعرُ عن صدقِ انتمائه لوطنه ومجتمعه الذي عاشَ فيه.

محاور الدراسة:

المحور الأول: صورة جنين في شعره، ودور السماسرة في التفريط بها:

أسهمت القضيةُ الفلسطينيّةُ في تحديد كثير من الاتّجاهات الشّعريّة المُعاصرة، ولا سيما ما ترتّبَ عليها من آثار جليلة متمثلة في الاستيلاء على أراضيها، وشتات أهلها داخل فلسطين في مخيمات البؤس وخارجها، وما عانوه من ظلم واضطهاد، وحروب وقتل ودمار، وغارات حارقة على مخيماتها ومُدنها. ولعلّ

مرجُ ابنُ عامرٍ باعتْ مجدَك العربُ واستأسدَ الغربُ والشرقي يحتربُ
قد كنتُ بالأمسِ فخرًا من مفاخرنا وساحةً فيكَ يجري العزُّ والغَلَبُ
يبيعُه العُرْبُ لا قلبَ لبائعه وإنّما هَمُّه أن يُكْنَزَ الذهبُ
يا مَرْجُ ما لَك تجري فيك قافلة من الشقاء وذا واديك ينتحب
كأنَّ روضَكَ للأرزاء منتزَهٌ وللعذاب غديرٌ فيكَ ينسكبُ
لو كانَ في الأرضِ عدلٌ ما رزئت بنا يا مرجنا ولما أضناكَ مغتصبُ

ويُذكرُ أنَّ مصائبَ شتّى كانت قد حدثت في المرج وما حولَه، وتفاقمتْ شدة وسوءا، وامتدت بأثر سلبيٍّ من تجّار الأرض أو السماسرة للمحتلينَ، إلى أنْ وصلتْ بحيرةَ الحولة شمالَ المرج؛ «حيث اشترى اليهودُ قسماً كبيراً منْ أراضيها العظيمة الخصبَ» (العبوشي، 1956، ص47) واستعصى الأمرُ على مَن حولَه للدّفاع عنه، ومواجهة خطوبه، والسيطرة عليه. ووصلتْ حدةُ الألم والأسى إلى قلب الأردن، وهضبة الجولان؛ فشبّهَ العبوشيّ سيلانَ الهموم والآلام في الأردن حزنًا على البحيرة بالمياه التي تنسابُ رقراقةً مَن النهر، لكنها تسيل ألمًا على ضياعه، وهو كنزٌ مملوءٌ بالخيرات، والمزروعات تزدانُ بها أراضيه. يقول الشاعر (العبوشي، 1956، ص47):

سلوا (البحيرة)عن خطب ألم بها ينوء في حمله الأردن والهضب
يسيل أردنّها بالهمّ مكتئباً يا لَهفَ نفسي عليه باعه العرب
باعوه بالمال وهو الكنز كم حملت من خيره الأرض كم جادت به السحب

محاولات الاحتلال الدائمة قمع حركات المقاومة، والقضاء عليها؛ خلقتْ وعيا شعريا بديعا مرتبطا بحركات التحرّر في العالم(عباس، 2001، ص49 – 50).

تغنّى العبوشيَّ بوطنه، الذي يشهدُ له التاريخُ بالعزِّ والمجد والشموخ، ويُشكّلُ مصدرَ فخر لأبناء العروبة في كلّ زمان ومكان، وقد باعه العربُ، واستوحشَ الغرب، وتسابقوا على مهاجمته، وهم منشغلونَ عنه في قتال بعضهم بعضاً، بعد أن كانتْ ساحاتُه رمزا للبطولة والعزِّ والانتصار.

ويُلقي العبوشيّ لومَه على أولئكَ المتخاذلينَ السماسرةَ، الذين تواطؤوا معَ اليهود، وسهّلوا لهم سُبلَ السّيطرة والاحتلال، ولا همَّ لهم غير جمع الأموال، وكنز الذّهب، ولكنّ الشاعر كان يحسُّ بقرب المرج منه، مهما بعُدَت المسافةُ بينهما، فنراه يخاطبُه غير مرة، بأداة النّداء (يا) التي تُستعمَلُ لنداء القريب والبعيد وفق السياق والظروف، فيشدُّ – بذلكَ– انتباه القارئ والسامع، وتتسعُ دلالاتُه، وتعكسُ حالةَ الشّاعر النّفسيّة، التي تشيرُ إلى أنَّ المرجَ دائمُ الحضور في ذهنه وشعره، والمسافة بينهما كانتْ شاسعةً، وقد ألمَّ به الحزنُ والشقاء من أثر هذا البعد القصريّ، وعبّر العبوشيّ عن شدّة حزنه، وألمه، وتفاقمَ حزنُه بعد أنْ صارَ المرجُ يصرخُ عالياً في البكاء منَ الحزن والغلبة، وتحوّلت أراضيه اليانعةُ المخضرّةُ والمزدانةُ بصنوف النباتات والمزروعات والأشجار المختلفة، التي يؤمُّها الناسُ للتنزّه منْ كلِّ حدْب وصوب، إلى مرتع للمصائب العظيمة والنكبات، وقد نزلتْ به الدَّواهي والمصائب، وسالَ العذابُ فيه كما ينسابُ الماءُ في الغدير، ولم يكنْ لذلكَ أنْ يتحقّقَ لو كان هناكَ عدلٌ في الأرض، كما يقول الشاعر في قصيدته التي عنونها بالمرج الحزين (العبوشي، 1956، ص46):

وتجدر الإشارة إلى أنّ هذه الدراهم والأموال لا مناصَ – يومًا– فانية؛ إذ لا خلود إلا لله تعالى، وطيّب الذّكر باقٍ أثره، على مرّ السنين والتاريخ، والنفسُ السيئة هالكة لا محالة، وإن طالتْ بها السلامةُ، فحسن الذكر يراها العبوشيّ هبة من الله – سبحانه وتعالى– يمنحها لعباده المخلصين. فيقول الشاعر في ذلك: (العبوشي، 1956، ص47)

المـــالُ يَفنـــى ونفسُ السّـــوءِ فانيـــةٌ ويخلـــدُ الذّكـــرُ والـــرّبُّ الـــذي يَهـــبُ

وكان العبوشيُّ قد صوَّرَ جراحَ الوطن، وما حلَّ به وبأهله، بدءا من نكبة فلسطينَ وتشريد أهلها، جرحاً للكرامة العربية والمجد العربيّ، الذي يرفضُ الذلَّ حتى من أخيه العربيّ، فكيفَ يمكنُ أن يرضى به منَ المستعمر الظالم، وليستْ جراحُ الإنسان بعيدةً من هذه المعاني، كذلكَ، إذ إنَّ أيّ ضمير إنسانيّ، وأيّة شرعيّة دوليّة، أو أيّ قانون عالميّ، لا يرضى عن احتلال أجنبيّ لأرض شعب آخر، وتشريده وسلب حقوقه.(عراق، 2000، ص94)

دورُ البناءِ الفنيّ واللغويّ في رسم صورة احتلال مدينة جنين:

يُلحظُ أنّ العبوشيَّ في قصيدته (الوطن المبيع) كان قد استهلها بأسلوب الأمر، الذي يدلّ على قلق العبوشيّ من قضية السمسرة؛ لأنّ القصيدةَ تحملُ في طيّاتها خطاباً مباشراً للمتخاذلينَ السماسرةَ الذين مكّنوا اليهود منَ الاستيلاء، والسّيطرة على أرض فلسطينَ عامّة، وأرض جنينَ ومرج ابن عامر الطاهر المقدّس خاصّة، ويقولُ: ليدقَّ هؤلاء رؤوسهم، أو يمرغوها في التّراب تأكيدا منه على الخزيِّ والعار من جرّاء أفعالهم الشنيعة، نستشفُ ذلكَ من استعماله لكلمة (مرِّغ)، التي تحثُّ الإنسانَ على التّمسك بترابِ الوطن، فليدسُّوا رؤوسَهم بترابه، ويخرّوا ساجدينَ عليه، وليسيروا عليه برفقٍ وخشوعٍ دونَ خوفٍ أو وَجل، ولتعلو أصواتُهم رفضاً واحتجاجاً على المحتلّ وأفعاله، ويستلهمُ الشّاعرُ التراثَ الدينيَّ في تناصّه معَ قوله تعالى: ﴿**لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعا مُتَصَدِّعا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ۞وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ**﴾(الحشر:21)، هذا الترابُ الذي يحتضنُ في جنباته جثامين المناضلين الشّهداء الأحرار، الذين يشهدُ التاريخُ لهم بالتضحية والفداء. وفي ذلك تعظيم لمكانة فلسطين وقدسيتها، حين يطلبُ الشاعر من الفلسطيني أن يسجد شكرا لله أن اصطفاه بفلسطين وطنا له، وأن يمشوا بتواضع على تراب أرض جُبل بدماء الآباء والأجداد. (عصيدة، 2012، ص174)، وفي ذلكَ يقولُ الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

مـــرِّغْ جبينَـــكَ في طُهُـــوْرِ ترابـــه واســـجـــدْ فـــإنَّ اللهَ في محرابـــه
وامشِ الهوينـــى خاشعـــا متصدّعـــاً فلقـــدْ مشيـــتَ علـــى رُفـــاتِ عرابـــه

ويُلحظُ أنّ أفعال الأمر التي وظفها العبوشي في القلق الذي انتابه من أفعال السماسرة، تدلّ على الحركة «مرّغ، امشِ، اخفض، احذر» مما يشير إلى أنّ قلقه في حال حركة وتزايد، فسارَ الشّاعرُ في خطابه المباشر بصيغة الأمر في قوله: (واخفض جناح الذل) وفي خفض الجناحِ إشارةٌ إلى الخشوع لهذا الوطن، الذي ارتوى من مياهه العذبة، وهو أمانةٌ في أعناقنا، ويحذّرُ منَ الخيانة وعواقبها الوخيمة، وما تجرُّهُ من ويلات على أصحابها، أولُها غضبُ الله – سبحانه وتعالى– ثم فقدانٌ للنخوة والشّهامة، والمروءة والكرامة التي ترعرعتْ بهم أصلاً على ترابِ هذا الوطن، يقولُ الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

واخفِـــضْ جنـــاحَ الـــذُلِّ للوطـــنِ الـــذي روّاك مـــن أكوابـــه ورضـابـــه
واحـــذرْ عـــذابَ اللهِ لا تكـــنِ الـــذي بـــاعَ الأمانـــةَ فاكتـــوى بعذابـــه
إن بعتهـــا بعـــتَ السماحـــةَ والنّـــدى بعـــتَ الكرامـــةَ أينعـــتْ بجنابـــه

يستثمر العبوشي إمكانات التناصِّ الدينيّ معَ النّصِّ القرآنيِّ في الآية الكريمة التي تحثُّ على برِّ الوالدين، مما يعني أن علاقة الوالدين من الأهمية بمكان أن ترتبطَ بعلاقتنا بالأرض، وهو بذلك، يجعل الحفاظ على الأرض كالحفاظ على الوالدين، كما قال تعالى: ﴿**واخفضْ لهما جناحَ الذّلِّ منَ الرّحمة**﴾(الإسراء:24).

وينوّع الشاعر في قوله (واخفض جناح الذلّ) بين الصور المعنوية في كلمة (الذل) والصور المادية البصرية اللمسية وهو (جناح)؛ «ليرسم لنا صورة طبيعية متحركة، تكشف عمق الحالة الوجدانية للشاعر، وأثرها عليه» فيلجأ إلى التشخيص حين يشبه الذلّ بطائر ذي جناحين مخفوضين يعكسان أهمية الوطن، وانتماء الشاعر له والاستسلام لحبه.(عصيدة، 2012، ص175 – 176)

ويحثّ العبوشيّ الشعب على التمسك بالوطن، والصبر على الشدائد، وعدم هجره وقت الشدة، وقد أكلوا من خيراته، ثم تخلّوا عنه وراء متاع قليل، وهانَ عليهم ما يحدّقُ به من أخطار، فكانوا كالجوادِ الذي يُهرب من صاحبَه عندَ كبوته، وارتضوا بالذُّلِّ الشنيع والهوانِ والعيبِ لأنفسهم، يقولُ الشّاعر: (العبوشي، 1956، ص50)

أتـعـــزُّه لمّـــا حَبَـــاكَ بخـــيره وتشيـــحُ عنـــه إذا الجـــوادُ كَبـــا بـــه
أسفًـــاً عليـــكَ خرجت عـــن سُـــنَنِ التقى وَرَضِيْـــتَ بالـــذُلِّ المشـــينِ وعابـــه

ولا يدري الشّاعرُ ما الذي أصابَ هؤلاء السماسرة؟! وما الذي دفعَهم إلى ارتكاب هذا الجرم الشنيع؟ وكيف يتجرؤونَ على بيع تراب الوطن الذي جُبل بدم الشهداءِ وتضحياتهم للذود عنه وحمايتهَ؟ فهلْ أصابَهم الجنون؟ ويَتمنى لو حصل ذلك؛ ليكفَّ الشاعر عن لومهم وعتابهم.

وتبدو حيرةُ الشاعر في أمر هؤلاء السماسرة واستنكاره لأفعالهم، حينَ يجيبُ بنفسه عن تساؤلاته، ويرى أنَّ مصائبَ الدّهرِ ونوائبَه، قد وقعتْ على وجودِ هذه الأمةِ وعلى أرضها، ويظهرُ احتقار الشاعر لهم في تشبيهه لهم بالذّباب، حينما فرَّطوا في أوطانهم، ويسمسرونَ تارة، وينشقّون عن أحسابهم وأنسابهم تارةً أخرى، فهم لا يعرفونَ النخوةَ ولا الشّهامة، وإلاَّ لَما قدموا على فعلتهم، واتّسموا بالنذالة والخيانة، فلا يؤمَنُ جانبهم، ويتضح أسلوب التّهديد والوعيد في لهجة الشّاعر، حينما يرى أنَّ يوما ما لا بدّ من أنْ يأتي، وينال فيه الأنذالُ عقابَهم، ما دامت الجراحُ تنزفُ ألماً وحزناً، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص50 – 51)

ولقدْ عجبتُ لمَن يبيعُ ترابَه (الـ ... مجبولَ) بالدّم، ما جرَى لصوابه؟!
هل جُنَّ يا ليت الجنونَ حليفُه ... فأصونَ نفسي عن جنونِ عتابه
كلاّ فقد ألفى هنالك أمةً ... أَخْنَى عليها دهرها بذبابه
فمضى يسمسرُ تارة ويبيعُ ما ... تركَ الغُزاةُ الصيدَ من أحسابه
لو كانَ يعلمُ في الشبابِ حَميَّةً ... لارتدّ من فزعٍ على أعقابه
لا يأمننَّ النذلُ طولَ أناتنا ... فغداً يلاقي النذلُ كُلَّ عقابه

ويتابع العبوشيُّ استثمار الإمكانات الأسلوبية؛ فيوظفُ التناصّ التاريخيّ معَ أقوال الشعراء في استحضارهم التاريخ، ويعقدُ مقارنات تاريخيّةً علّها تجدُ له تفسيراً مقنعاً ومريحا لما يحدث معَ القضيّة الفلسطينيّة، فيرى الشعراءَ منطلقينَ في ذلك من شدة الحزنِ الذي يستولي على مشاعرهم وذعرهم من نزولِ الكارثة، وقد شعروا بضياعِ مجدهم وأوطانهم؛ ليطلَّ عليهم شبحُ مأساة الأندلس، وضياعِ مَجدها، وتصبح مصدرَ إلهام للشعراء، يستكشفونَ منه واقعَهم.(ياغي، 2001، ص304) فالأندَلس غنية بالدلالات والرموز التي تستثير وجدان أبناء الأمة، وقد تهالك زعماؤها على السيادة؛ فأهلكوا أنفسهم وشعبهم في استيلاء الإسبان عليها. والشاعر إذ يستحضر ماضي العرب ومجدهم في الأندلس، وذلك ليبثّ في شعره العبرة والحكمة؛ ويوجّه نداءه إلى الزعماء العرب، بتوحيد جهودهم، وتكاتفهم؛ للوقوف في وجه الاستعمار (عصيدة، 2012، ص198)، كي لا تتكرر مأساة العرب في الأندلس.

ولعلّ ظاهرة السمسرة من أكثر القضايا الوطنيّة المسببة للقلق عند العبوشيِّ، فنراه لا ينفكّ عن لوم هؤلاء السماسرة، الذينَ فرّطوا بوطنٍ ترعرعوا بين جنباته، واحتَضنَهم بقلبه كالأمِّ الرؤوم التي تحتضنُ جنينَها، وأصبحَ مهموماً ذليلاً، وقد أغارَ عليه الموتُ من كلِّ جانب، وأذاق السماسرة الوطن الذلّ والهوان، وأقسى صنوفَ العذاب، وشرّدوا أهلَه، وجرّدوهم من أثوابهم، حينما ذلّلوا الطريقَ أمامَ المحتلِّ الغاصب؛ ليتمكّنوا من السيطرة عليه واحتلاله. ويحاولُ الشّاعرُ أن يربطَ الماضي بالحاضر من خلال استلهامه لمأساة المسلمينَ في الأندلس، فتتعالقُ النصوص تناصّاً؛ لتختزلَ تاريخاً كاملاً في مأساة العرب بالأندلس من خلال هذا التناصّ التاريخيّ. يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص51)

ما مسَّ أندلساً يمسكُ مثلَه ... فابذل له تلحقْهُ قبل ذهابه
وطنٌ حواك بحاضنيه وقلبه ... أضحى يُسام الخسف من أحبابه
قد شردّوا العربيَّ عن أوطانه ... قد جردّوا العربيّ من أثوابه

قلّت قيمةُ البشرِ في بلادنا، بل أصبحوا دون ثمن ولا وزن، حتى صاروا يباعونَ ويُشترونَ سلعا رخيصة، واستولى الأعادي على أراضينا، وكنوزها الثمينة، والصهيوني (ابن شالوم) ارتفع شأنه وعلا قدره؛ ليصبح سيداً علينا حراً طليقاً، والعربي ابن الوطن مكبّلٌ مقيّدٌ، وفي ألفاظ الشاعر: مشدود/ أوتاد، إشارة إلى شدة الغيظ في قلبه، وإلى تمكن الأعداء ورسوخهم في الوطن، كالوتد الذي شدّ قيده وتكبّله، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص83)

بتنا نباع ونشترى سلعةً رخصت ... وأرضنا دُرُّها الآلاءُ للعادي
حتى ابن (شالوم) صَيَّرناه سيدنا ... وابن العروبة مشدود بأوتاد

وفي قصيدة للشاعر ألقاها في مهرجان صندوق الأمة العربيِّ في بيسان سنة 1944م، بعنوان (بيسانُ قبلَ ضياعها) يشيرُ فيها إلى سماسرة بيع الوطن، يتحسَّرُ فيها على هدمهم هذا الوطن الذي خلا من أهلهِ وأصحابه، ليعيثَ فيه المحتلُّ فساداً، ويشبهُهم الشاعرُ بالغراب الذي ينعقُ خرابًا وفسادا، ويدلُّ على التشاؤم عند العرب، وهو نذيرٌ للفرقة والسوء والمصائب، وكأنَّ هؤلاء فقدوا إحساسهم، وخرجوا عن ملّة البشر، وهانَ عليهم صنيعهم، وصارتْ قلوبُهم كالأخشاب في قساوتها، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص54)

أضحى يهدّمه بنوه فحسرةً فكأنما قد شيّد للغربان
وكأنما السمسار ليس به دم وكأنما هو نطفة من زان

ويوجّهُ الشاعرُ نداءَه إلى الشّعب الفلسطينيِّ، يدعوهم إلى الوحدةِ ولمِّ الشّمل، في ظلِّ ظروفٍ خلا فيها الحيُّ من أبطاله، ونأى طائرُه بعيداً، وأطاحَ به أشدّ أنواع البلاء، يظهرُ ذلك في قصيد ته التي مطلعُها: (العبوشي، 1956، ص44)

تعالوا نضم الشمل فالحيُّ قد خلا وقائده ناءٍ وناديه مبتلى

يدعو الشاعر إلى الوحدة والتوحيد قوة ومنعة واتّحادا؛ لصدِّ الأعداء، وقلبِ الظلمِ والاستبدادِ والشرِّ إلى أسفله، لا بل إلى إنهائه، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص44)

تعالوا ففي التوحيد يا قوم قوة سنقلب فيها الظلم والشرَّ أسفلا

ويتابع العبوشيّ حديثَه في مخاطبة أهله وبني قومه بأنْ يفيقوا من سباتهم، بالاكتفاءِ بالرّجاءِ والتّعلّل الكاذب لنوايا المغتصبين أرضهم دون الفعل، ودونَ إشعالِ المقاومة، ومحاربة أطماعِهم، وأن يبتعدوا عن حُسن الظن في المحتلين، الذين لا يمتلكونَ نوايا حسنة، وهم يقولون ما لا يفعلون، إلى أنْ تمكّنوا من السيطرة على البلاد والعباد، ونالوا منهم أكثر مما كانوا يأملون، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 44)

ألا يا بني قومي كفانا رجاؤنا بحسنِ نوايا الغادرين تعلّلا
فلا خير في من كذب الفعلُ قولَهُ لقد نال منّا الخصم ما كان أمّلا

ويستندُ العبوشيُّ في بناء موقفه الرافض لوجود الاحتلال ، إلى مواثيقَ دوليّة رافضة أشكالَ احتلال أرض الآخرين كلها، فأخذ يصوّرُ جراحَ وطنه السّليب، وينشرُ ما نزلَ بأهله من تشريد وقتل وجراح وتدمير، ووصف نكبةَ فلسطينَ وتشريد أهلها جرحاً نازفاً للكرامة العربية، ومرضا عضالا أصاب المجدَ العربيّ، فالعبوشيُّ يرفض الذلَّ من الأخوة العرب، فكيفَ يمكنُ أن يرضى به من المستعمر الظالم، وليستْ جراحُ الإنسانِ بعيدةً من هذه المعاني كذلك، إذ إنَّ أيّ ضمير إنسانيّ، وأيّ شرعيّة دوليّة، أو أيّ قانونٍ عالميٍّ لا يرضى باحتلال أجنبيٍّ لأرضِ شعبٍ آخرَ، وتشريدِه وسلبِ حقوقه.(عراق، 2000، ص94)

حاكموه وأوثقوه حبالاً واحشروا في السجون كل خؤون
فإذا ضاقت السجون فَسَوْطٌ من عذاب وجرعة من منون
كيف ينجو من العقاب لئيم باع أوطاننا وكل ثمين

ويختمُ العبوشيُّ موقفه من ظاهرة السمسرة والسماسرة بأن يصدر بحقهم عقوبات شديدة صارمة في هذه المقطوعة الشعرية، يُظهرُ فيها نقمتَه القويةَ عليهم، فقد جعلَهم خونة، وألصق بهم أوصافا أخرى فيها تعبيراتٌ قوية الدلالة، تدعو إلى محاكمتهم ومعاقبتهم، وزجّهم في السجونِ، وإن ضاقتْ بهم، وتعذيبهم حتى الموت، ولعلّ استعمالَ صيغة فعلِ الأمر نحو: حاكموه، أوثقوه، احشروا، انعكاسٌ جليٌّ لحالة الشّاعر النفسيّة والمتوترة والقلقة والمستاءة من الباعة الخونة والمتخاذلينَ معَ الأعداء، ويتساءلُ العبوشيُّ في قوله: كيفَ لهم أنْ ينجوا من العقاب، وهم الخائنون لوطنهم، وسوءِ طباعهم، وتفريطهم بأوطانهم، وخيراتها الثمينة، يقولُ الشّاعرُ في قصيدة له بعنوان (حاكموا باعة فلسطين): (العبوشي، 1956، ص91)

التّنديدُ بالمستعمراتِ الصهيونية التي أقيمت على أراضي جنين:

يتألمُ الشّاعرُ على ما أصابَ أراضي مرجِ بنِ عامرٍ، وقد سلبَهَا الاحتلال، وأقاموا عليها المستعمرات؛ ليجعلوا منها وطنا قوميا لليهود المشتتين في بقاعِ الأرض، ويدَّعوا بأنَّهم أصحابُ الأرض، وأنَّ أهلّها دخلاء غرباءُ على أرضهم. وتمَّ الاستيلاءُ على المرج، ولم يبقَ منه لأهله وأصحابه غير الانفراج الذي تجري فيه المياه تحت الأرض، وبقعة جرداءُ قاحلة لا نباتَ فيها، حتى أنهم باعوا القدسَ مسرى النبيِّ محمدٍ – صلّى الله عليه وسلّم– والمقدسات المسيحية فيها بمال بخس، وقد شبّهَ المالَ الذي قبضه السماسرة ثمنًا للقدسِ (المسجد الأقصى وقبة الصخرة) ومقدساتها (كنيسة القيامة) بالحيّة الرقطاءِ القاتلة، وهي من أخطر أنواع الأفاعي، وأنَّ هذه الأموال هي من أخطر الأموال، ويصرخُ الشّاعرُ بأعلى صوته – حتى أنّه انقطَعَ وبُحَّ – مستنجداً بشبابِ الوطن، ولكنهم لم يلبّوا النداءَ، وكأنَّ آذانَهم صمّاء، ولم يسمعوا شيئاً، يقول العبوشيّ في قصيدته (الوطن المبيع): (العبوشي، 1956، ص 54)

أنظـــرُ إلى المـــرجِ الفسيـــحِ فكلـــه مستعمـــراتٌ أهلُهـــا دُخَـــــلاء
لم تبـــقَ للعربـــيِّ فيـــه بقيـــةٌ إلا الشعـــابُ وبقعـــةٌ جـــرداء
بيـــعَ المسيـــحُ وبيـــعَ قدسُـــ محمـــدٍ بالمـــال وهـــو الحيّـــةُ الرقطـــاء
قـــد بـــحّ صوتـــي في الشبـــاب كأنهـــم لم يسمعـــوا أم أذنهـــم صمّـــاء

ويرى الشاعرُ أنَّ الموتَ أهون علينا من أنْ تحوّلَ أراضينا إلى مستعمراتٍ يجوبُ فيها الأعداء بحريّة، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 119)

إنْ كانَ لا بـــدَّ أنْ تبقـــى مواطننـــا مستعمـــرات فـــإنَّ المـــوتَ قـــد هانـــا

سيطرَ الأعداءُ على المرج وخيراته، ولم يبقوا لأصحابه غيرَ الأعشاب التي تنبتُ في قاع المرج وترعاها قطعانُ الغنم، ويشبه الشاعرُ أصحاب الوطن بالأسودِ المهددةِ غاباتها؛ ليكونَ الموتُ فيها أفضلَ لها من هذا العيش، يقولُ الشّاعرُ: (العبوشي، 1956، ص 51)

مـــاذا تبقَّـــى غـــيرُ قـــاعِ أجـــرد نرعـــى مـــن القطعـــان مـــن أعشابـــه
لهفـــي علـــى الليـــثِ المهـــدَّد غابـــه قـــد كانَ أجـــدر أنْ يمـــوتَ بغابـــه

المحور الثاني: قدسية المكان – جنين ـ عند العبوشي:

وللمكان – عند العبوشيِّ– حضور فاعلٌ كما اتخذه الشعراء الفلسطينيون صوراً مثاليةً وإنسانيّة، فأعادوا صياغته الفنيّة في رؤية جديدة، وتجاوزوا بها المساحةَ الجغرافيّةَ المجرّدةَ للأماكن إلى كونها تشكيلا روحيا ووجدانيا يزخرُ بالحركة والحياة، فاستنطقوها ونقلوا أحاديثَها، وتاريخَها عبرَ أشعارهم، فكانَ ذلكَ تعويضاً نفسيّاً لافتقادهم فلسطينَ (النواة) الطبيعيّةَ، ومدنها وقراها وشوارعها. وهو دائما يعقد ثنائيةً شعريّة ذات أواصرَ بين الزمان والمكان، لعل ما يشهد على ذلك، وصفه لنكبة عام 1948 والقرى الفلسطينية التي حدثت فيها المجازر الصهيونية؛ ليشكّل منهما لوحة فنيّة مؤثرة، ويؤكّد دورَ المكان والزمان في الشّعر الحديث إحسانُ عباس في قوله: إنّه بعدَ سنة 1908م أصبحَ ارتباطُ الزمن بالمكان أمرًا ضروريّاً في أدب القرن العشرين. (عباس،2001، ص68)

أولى الشعراء الفلسطينيون المكان اهتماماً كبيراً؛ لأنه يشكّل –المكان / الأرض – أساس الصراع بينه وبين الاحتلال الصهيوني، فعمدوا إلى وصف المكان؛ لارتباطهم به روحياً ووجدانياً؛ ليجدوا في وصفه والحديث عنه متنفّساً للتعويض عن فقدانه، والبعد عنه. «فالأمكنة ليست رقعاً جغرافية مجردةً في حدودها، ولكنها عناوين تختزل مشاهد تاريخ الشاعر المتشكّل من الغربة، واصطراع الهموم داخله» (نقاز، 2019، ص6)

وفي هذا السياق، كَثُرَ تردّد أسماء مدن فلسطين وقراها في مسيرة التراث العربيِّ والإسلاميّ، عندَ المؤرخينَ والأدباءِ والمحدثينَ الذينَ كانوا يتعمّدونَ زيارتَها، ولا سيما زيارة بيتِ المقدس.(ياغي،2001، ص15) وفلسطين بعامّة، وجنين وقراها خاصّة، دائمة الحضور في قلب الشاعر يحملُ همّها حيثما اتّجه، ويتوقعُ، ويحسُّ بالخطر الذي يُحدِّقُ بها من كلِّ صوْب، ويستشرفُ المستقبلَ المظلمَ الذي يهدّدُ كيانَها ومحيطَها؛ جنينَ وبيسانَ والسيلةَ الحارثيةَ وقريةَ زرعين (www.palestinermembered.com/ginin/zirin/story)، التي كانَ يُطلقُ عليها عروسُ مرج ابنِ عامر، بل أطلقَ الاسمَ زرعينَ على المرج وقتا طويلا، وهي ذاتُ موقع استراتيجي مهمٍّ متوسطِ قرى ومواقعَ عدة، تحيطُ بها منَ الجهاتِ الأربعِ، جنينَ والعفولةَ وبيسان.

يعيشُ الشاعرُ حالةً من الخوف والقلق الدائم – التي تهتزُّ لها مشاعرُه – خوفاً على جنينَ وقُراها، بعدَ أنْ أحسَّ بقربِ الجلاءِ عنَ الوطن، وخطرِ المحتلِّ الغاصبِ، دونَ أنْ يأبَه بما يفعَلُ، وهو يعيشُ حالة منَ الطَرَب، وهي صفةٌ مشبهةٌ من طَرِبَ، تدل على ثبوتِ الحال، يُستدل منها على وضعِ الشّعبِ الفلسطينيِّ المأساويِّ مقابلَ حالة الطَرَب والانتعاش التي يتمتعُ بها العدوُّ المحتلّ؛ لشعورهم بالانتصار وإمكانية السيطرة على جنينَ ومحيطها، ويُكْثرُ الشّاعرُ منْ استعمالِ الفعلِ المضارعِ في شعره، ولا سيما في نهايةِ أبياته الشعريّة لتدلَّ على التّواصلِ الذي يوحي باستمراريّة التنكيلِ والسيطرة وتدرّجها وتطورها تطوّرا سلبيا. وتحملُ تعابيرُ الشّاعرِ في طياتها معاني الحزنِ والخوف والقلقِ منَ الوضعِ الماثلِ، والحركةَ المقلقةَ، ومثال ذلك: تضطربُ، أنذرنا، الجلاء، ويختار العبوشيُّ قرى محيطة لجنين مثل: زرعين، وبيسان...أقيمت فيها المستعمرات اليهودية. فوراء كل مكان حكاية احتلال واستيطان وتهويد، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص46)

جنـــينُ (زرعـــين) (بيســـان) مهـــددةٌ (وسيلـــة الحارثـــي) اليـــومَ تضطـــرب
إنَّ الجـــلاءَ علـــى الأبـــوابِ أنذرنـــا بـــه الدخيـــلُ ويبقـــى ســـادر طـــرب

الإشادة بالعراقيين ودورهم في الدفاع عن جنين:

اتضحت طبيعة الرؤية الشعرية التي يتبناها العبوشيُّ ويعملُ فيها، من خلال ما مرّ ذكرُه، فهو شاعرٌ وطنيّ قوميٌّ واقعيٌّ؛ فالأحداث الجليلة، والأماكن العديدة، واقترانها بالزمن الواقعيّ، ووصْف الحـ الة النفسية التي كابدها الشعبُ الفلسطينيُّ بعد أثرِ الانتدابِ البريطانيّ والاحتلال الصهيونيّ، تعدُّ – في مجملها – ملامحَ كاشفة عن قومية المنهج، وواقعية التجربة، وقد غلب عليها

الفكرُ القوميّ العربيّ، من خلال تعبيراته الكثيرة عن حبه الصّادق للدول العربية قاطبة، وتقديره وإجلاله لها، ولا سيما تلك التي ارتحلَ إليها – الشام، ومصر، والعراق– وأقامَ فيها وقتا؛ ليُظهرَ وفاءَه وإخلاصَه للبلد وأهلها، وكانتْ كلُّها (جنين) بالنسبة له، وهي رمزٌ للعلوِّ والمجد، وإعلاء بطولة العربيِّ، وسماحته، وشجاعته، ونخوته، وشهامته، وقتَ الشدة والحاجة ضرورة يتطلّبها نهجه الشعريّ. وفي قصيدة للشاعر بعنوان (سألهب الأرض) نظمها الشاعر أثناءَ إقامته في العراق، مصرحاً بأنه نظمها «على لسان كلّ فلسطينيٍّ تشرَّدَ عن أهله» (العبوشي، 1956، ص67) يشيدُ فيها الشّاعرُ بشعب العراق الذي يتميَّزُ عن بقية الشعوب بالعزّ والمجد والكرامة، ويتفوّقُ عليها بالخير والشّهامة، وهمْ أملُ الشاعر ومبتغاه، وشكّلوا له الأمنَ والأمانَ والطمأنينة؛ فكانوا كالوالد الذي يحنو على ولده، وقد ملؤوا عليه حياتَه، وعوَّضوه في غربته عن أهله، وكأنَّه يقيمُ في وطنه (جنينَ) بينَ أمِّه وأبيه وأحبابه، وطلاب الشّاعر كأنَّهم أبناؤُه، وزملاؤُه هم سندٌ له كإخوته، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص 70)

فدجلـــةُ وفـــراتُ العـــزّ قـــد فخرا ... على الوجـــودِ ففيها الخيرُ قد وُئدا
إنْ قلـــت فيكم قصيـــدي قلته أملاً ... فأنتم والـــدٌ لي فاقبلـــوا الوَلَـــدا
كأننـــي في (جنينَ) بـــينَ والدتي ... ووالـــدي وحبيبُ القلـــبِ ما بعدا
فـــإنَّ طلابـــيَ الأبـــرارِ هـــم ولدي ... وإخوتـــي، زملائـــي إنْ أَرمْ سنـــدا

عاشَ الشاعرُ في جنينَ مرفوعَ الرأس، معروفا بمكارم الأخلاق، إلا أنَّه ضاقَ ذرعاً بما أصابَ بلادَه، من سيطرة الأعداء، الذينَ شبهَهُم الشاعرُ بالطاغوت؛ لشدة طغيانهم وظلمهم وضلالهم، واعتدائهم على أراضي فلسطينَ وأهلِها؛ ليغادرَها الشّاعرُ متوجهاً إلى سامراء، ويجدُ فيه بديلا وتعويضا عن وطنه، لما امتازَ به أهلُها من كرم، وخلالٍ حسنة نبيلة، وهو بذلكَ ينتصر على مَنْ اتّهمه، بأنَّه ناقمٌ ومغبون، يقول الشّاعر: (العبوشي، 1956 ، ص79)

ولـقـد بلغـتُ ذُرا المـكارم ... في (جنـينَ) ومـا قنعـت
ولقـد رأيـتُ هنالـكَ الطاغـوتَ ... سيطـر فارتحلـت
لأعـودَ مرفـوعَ الجبـين ... وقـد بذلـت ومـا ندمـت
ونزلـتُ (سامـراء) أمَّ المكـ ... ـرمـاتِ وقـد ربحـت
إنّـي ربحـتُ أُخـوةَ الإيمـا ... نِ فيهـا فانتصـرت
نعـم انتصـرتُ علـى الأُلى ... زعمـوا بـأني قـد غبنـت

يتألّمُ الشاعرُ – بحرقة – منْ أبناء العروبة الذينَ أغمضوا عيونهم عمّا أصاب الشاعر من آلام شديدة بعد احتلال اليهود لوطنه، فأخذ يبكي عليهم؛ لأنّه لم يجدهم عربا مناصرين لقضيته ولأهله؛ فأكثر من البكاء عليهم لما وجد منهم اللامبالاة، وهم لم يذرفوا دمعة واحدة على وطن الشاعر القابع بين براثن الاحتلال، ولذلك، يرى أن الحياة العربية وقيمها المورثة انقلبت إلى ضدها؛ فبدلا من أن يكون العربي مصانا محترما في بلده ومن إخوته العرب، أصبح الأجنبي مقيما ومرحّبا به في بلاد العرب. وفي ذلك نجده يقولُ:

كمْ ذا بكيتُ علـــى قومي فما أحدٌ ... بكى علـــيَّ فلا تعجـــبُ لأحقادي
اليعربـــيُّ غريـــبٌ بـــينَ إخوتـــه ... والأجنبـــيُّ مقيـــمٌ بـــينَ أكبـــاد

وصف أحدُ الباحثينَ العبوشيِّ بأنّه مناضلٌ في ثوب شاعر، وهو حلقةٌ منْ حلقات جيل المقاومة في زمانه مثل: غسان كنفاني، وهارون هاشم رشيد، وعبد اللطيف عقل، وغيرهم، ويرى أنَّ منَ الصعب أن نفصلَ بينَ العبوشيِّ الشاعر والمناضل، فحياتُه كانتْ مليئةً «بالشعر المفعم بالمقاومة، والمقاومة المملوءة بروح الشعر» أثرى المكتبةَ العربيةَ بأدب المقاومة، حتى قالَ له الرئيسُ الفلسطينيُّ الراحلُ ياسرُ عرفات حينما قلَّدَه وسامَ التكريم: « أنتَ أستاذُنا في الوطنيّة والجهاد... ومنكَ نتعلّم» .

وتولدُ القصيدةُ عند العبوشيّ من تفاعله معَ واقعه وما يحيطُ به، ومدى انعكاسِ ذلكَ عليه؛ ليصوغَه الشاعر في شعره مبرزا فيه تجربتَه الشعريّةَ الجماليةَ في قصيدة فنية محكمة، وينهل الشاعرُ منَ التجارب العامّة؛ ليغذي تجربتَه الخاصّة، ويتوقفُ نجاحُ الشاعر في نظمه على مدى انخراطه في الواقع الذي يعيشُ فيه، ومقدرتُه على الاغتراف منه. (الصباغ، 1998، ص127 – 128).

عُرف العبوشيّ بمخاطبة الزعماء والأمراء والسياسيين العرب يحثهم على مساعدة الشعب الفلسطيني على استرجاع أراضيهم المحتلة، وظهر ذلك في قصيدته التي عنونها بـ (الأميرُ في جنينَ) نظمَها بعدَ معركة جنينَ عندَ استقبالِ الأمير عبد الله وصيِّ العرش في العراق، يطلبُ منه العبوشيُّ بالسماح للجيش العراقيِّ في التقدّم حتى البحر، ويتمنّى الشاعرُ لو أنَّ الأميرَ زارهم في مناسباتٍ سعيدة

غير هذه المناسبة – ويرحبُ به– ويُعلي من شأنه، وشأن أجداده، ومن شأن جنين القسام التي تشهد تلالها وأراضيها على بطولة أبنائها؛ ليشبههم الشاعر بالأسود في شجاعتهم، ويحث الأمير على إطلاق جيوشه للإطاحة باليهود، والذل والعار لنا إن أقام صهيون في ساحاتنا، يقولُ الشاعرُ: (العبوشي، 1956، ص71 – 72)

زرتَنـــا والنـاسُ في كـــربٍ شديدِ ... حبذا لـــو زرتَ في اليـــومِ السّعيد
مرحبـــاً بابـــنِ علـــيٍّ مرحبـــاً ... يا حفيـــدَ الصيدِ من خـــيرِ جدود
اسألـــوا هـــذي الروابـــيَ حولَكم ... عـــن جنينَ كيـــفَ ثرنـــا كالأسود
حدُّنـــا البحـــرُ فَلِـــمَ نبقـــى هنا؟ ... أطلـــقِ الجيشَ يطـــوّح باليهود
إن يُقـــمْ صهيـــونُ في ساحتنـــا ... دولـــةً يـــا ذُلَّنـــا بعـــد صعـــود

وفي قصيدة (معركة جنينَ) يستنجدُ الشاعرُ بالجيش العراقيِّ، وفرسانه الشجعانِ؛ لنصرتهم فهم أهلُ النصرِ والنخوة، ويحثُهم على الاستعداد للتصدّي والمواجهة لأعدائهم، ويحقُّ لكم أن تفتخروا بما صنعتم لما لبيتم نداء أهل فلسطين؛ لنصرة جنينَ، فأنتم رمزٌ وفخرٌ ومجدٌ لجنينَ وأهلها، فإن لم يكن النصر في جنين كاملا الآن، فلعلّه يكون حليفكم في الأيام المقبلة، ويلقي الشاعر لومه على الدول العربية التي وقفت مكتوفة الأيدي تجاه ما حلّ في فلسطين، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص 105)

يا أُسْـدَ بغدادَ زيدوا في جحافلكم ... فإنّمـــا الناسُ في دنيا الهوى سِلَعُ
تحفَّزوا واستعـــدوا فالحياةُ غدتْ ... للمستعدّ وويـــلُ العُربِ إنْ هجعوا
إنْ كانَ حظكـــم في النصرِ منتقصاً ... فالنقصُ هذا علـــى دولاتنا يقع
فحسبكُم نصرُ (جنينَ) فقد فخرتْ ... بكم (جنـــينُ) وفي الأيَّـــام متسع

يستلهمُ الشاعرُ الشخصيّات التراثيّةَ؛ إمّا بإشارة سريعة أو استدعاء موقف الشّخصيّة، ومن ثمَّ بناءُ قصيدته معها، وقد يُجري بعضَ التغيّرات في مواقفها، أو يتعارضُ معها؛ ليوسّع دلالاته، ويثري النّصَّ الشعريّ. (الصباغ، 1998، ص404) كانتْ (معركةُ جنينَ) حاميةَ الوطيس، اشتدت المعركةُ، وفُقدَ الأملُ في النّصر والنّجاة، رغمَ استبسالِ الجند الفاتح، وحسن استعدادهم وقوتهم، لتزفَّ البشرى للشاعر، وتتراءَى لهم من فوق التلال المرتفعة كتائبَ من الفرسانِ الشجعانِ العراقيينَ، تهبُّ لنجدتهم ونصرهم. فكانوا كجيش سعد ابن أبي وقاص، وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبيِّ؛ فزادت بهم حماسة الشاعر، وعلت ثورته، دونَ أنَ يوقفَه –عن ذلك– جرحُه، الذي ألمَّ به عند السير والمواجهة في المعركة، يقاتلُ معَ إخوته العراقيينَ متناسيا همّه وعذابات جراحه، والمصائب التي لحقت بوطنه، فأخذوا يقاتلون العدو كالأسود الصلبة القوية، وكانَ لحضور الجيش العراقيّ ومشاركتهم في الدّفاع عن جنينَ وقعٌ كبيرٌ في نفس الشاعر، وأثرٌ فاعلٌ في تخفيف آلامه، ويقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص64)

بينمـــا الفاتحـــونَ عمـــرٌو وسعدٌ ... وصـــــلاحٌ في حســـرةٍ واكتئـــابِ
بينمـــا النـاسُ بينَ هـــذا وهذا ... وإذا بـــالبشـــيرِ فـــوقَ الهضـــابِ
فتساءلـــتُ مدَنفـــاً ربِّ مـــن ذا ... قال جيشُ العراقِ زَيْـــنُ الشَّبابِ
جيـــشُ سعـــدٍ وخالـــدٍ وصلاحٍ ... جيشُ ربِّ السّمـــاءِ ربِّ الكتـــابِ
فَتشَهَّـــدتُ ثـــم ثُـــرتُ وإنّـــي ... أحمـــلُ الجُـــرحَ تحت طَـــيّ ثيابي
ونسيـــت العـــذاب والهَـــمَّ والغَـــمَّ ... نسيـــت الأذى وهـــول المُصـــابِ
مُذ رأيـــت الوجوه تَبَسَّـــم بالبِش ... ـــــرِ لجنـــد العـــراق والأحبـــابِ

فهم العبوشيَّ التناصَّ على أنّه استجابةٌ للتراث العربيِّ بقدر وعيه الثقافيِّ والشّعريّ لماضيه؛ فيخلقُ تفاعلاً بين نصّه والموروث؛ فيوسّعُ أفقَه ودلالاته.(الصباغ، 1998، ص368)؛ للتأثير في مواقف الآخرينَ خدمة لقضيته المركزية، والقدرة على توضيح موقفه من قضيته للآخرينَ، بوصفه إنسانا فلسطينيّا وشاعرا، ولا سيما الأخوة العرب؛ لأنّه يرى فيهم السند القويّ، والعزوة الناصرة لحقوق الشعب الفلسطينيّ السليبة.

الحنين إلى الوطن:

الإخراج عنوة من الوطن أمرٌ جللٌ للإنسان، وأدلُّ على ذلك قولُه تعالى في كتابه العزيز: ﴿**وما لنا ألّا نُقاتلَ في سبيل الله وقدْ أُخْرِجْنا منْ ديارنا**﴾(البقرة:246) فيلحظُ منْه أنّه – جلَّ جلالُه– قرَنَ الخروج عن الوطن كُرها بضرورة القتال الجماعي من أجل العودة إليه، وتظهر دلالة المشاركة في الآية القرآنية في الصيغة

الصرفيّة (نقاتل)، ويُذكرُ أنّ ثمّة آيات وأحاديثَ وأقوالا مأثورةً وأشعارا تحثُّ الإنسانَ على حبِّ الوطنِ والتّمسكِ به، وعدمِ الخروج منه إلا لطلب أمرٍ ما مؤقتٍ، وليس دائماً.

يُلحظُ أنَّ العبوشيَّ كان قد وظّف الوصفَ في بواكيرِ شعره ومنهلِها، وهو في المدرسة الابتدائية، ينادي تحبُّبا حمامةَ الوادي القريبة منه، مترنّما على حمام مرج ابنِ عامر المدلّل، تتمايلُ مترنّحةً بكلِّ خفةٍ ودلالٍ، ورقّةً وَإجلالاً على أغصانِ الأشجارِ في الفنن، يظهرُ ذلكَ – فيَ أوّلَ بيتٍ شعريّ كانَ قد نظمَه، وهو في المدرسة الابتدائية بعدَ زلزالِ نابلس سنة 1927م– في قولِه: (شراب، 2005، ص74)

أحمامـــةَ الـــوادي إليَّ تعـــالي وترنّحـــي نشـــوى هـــوى بـــدلال
وتلطَّفـــي فوقَ الغصـــونِ ورجّعي وترنّحـــي بعذوبـــةٍ وجـــلال

ويحمل المكان الذي يترعرع فيه الشاعر مدلولات عدة، وجدانية وتاريخية وفكرية، تلقي بوقعها على المتلقي ؛ فتحدث تأثيرها عليه؛ ليتفاعل معها، ويعيش الأجواء التي نظم فيها الشاعر قصيدته.(دراوشة 2018)

وفي قصيدة معنونةٌ بـ (أيّها المرجُ) يُبدي فيها شوقَه وحنينَه لأيّام سجّلَ فيها أجملَ لحظات الصّبا، والعيش والسّرور والهناء في سَاحاتِ المرج، ويتضح ذلكَ من ألفاظِ الشاعرِ التي تعكسُ تلك المشاعرَ في قوله: (يحتسي كأسَ الهنا)، وكأنَّ الهناءَ في حياتِهم يُحتسى كما كأس الماء، الذي يشكّل مصدراً من مصادر حياةِ الإنسان وهناءته، والجدير بيانه، أنّ الفعلَ (يحتسي) غلبَ على استعماله في سياقِ الفرحِ والسعادة، فكانوا يسرحونَ ويمرحونَ في غاباتِ المرج، وينتشونَ طرباً فيه، حيث يقول: (العبوشي، 1956، ص47)

أيّهـــا المـــرجُ الـــذي كُنّـــا بـــه نقتـــلُ الوقـــتَ ســـروراً وابتهاجاً
نحتســـي كأســـ الهنـــا في غابِه ونغنّـــي فيه مـــا يُنشـــى المزاجا

ويصدرُ الشاعرُ أناته في ابتعاده عن وطنه، وقد سُلبت ذكرياتُه التي طالما تغنّى فيها، يشدو بتلك الذّكريات السّعيدة فوقَ ربوعِ وطنه المرجِ الخصيبِ. ويحاولُ الشّاعرُ أنْ يعبّرَ عن سعادة ذكرياته، وأيامه الجميلة في المرجِ من خلالِ الألفاظِ التي تنطقُ بالفرحِ والسّعادة (السرور، الابتهاج، كأسِ الهنا، نغنّي، المزاج...) ويُلحظُ أنّها تعبيراتٌ تحملُ دلالة الفرح والسعادة في وطن الشاعر .

تنوعت أساليب الشاعر في التعبير عن مراده، فنراه يلجأ إلى الموشحات والمربعات والمخمسات التي تمثلت في الأناشيد التي تتلاءم مع موضوعات شعره، والتعبير عن أفكاره، «فكانت حلوة الرنين، عذبة النغم، شجية التأير» (عصيدة، 2012، ص185)، فنراه يقول في مقطوعة له: (العبوشي، 1956، ص47)

مـــا ترى أناك عنا
وسبى مغناك منا
إنَّ لي قلباً تغنّى
فيك يا مرجي الخصيب

كان حب جنين – مسقط رأس الشاعر – يسكن في سويداء قلب الشاعر، تراوده في يقظته ومنامه؛ فَيَهيمُ بها مستحضرا ذكرياته؛ لتمثل أمامه بكل ما فيها من شوارع وأشجار ومعارك. (الزواتي، 1985، ع89، ص222)

فهي مصدرُ أُنسِه وفرحِه، واشتعلَ نارُ الشوقِ لها في قلبِه وأحاسيسِه ومشاعرِه فَهي مقلته، وبلسمُ مهجته وروحه، وشعاعُ فكره، وحبر كتابه الذي يكتبُ فيه، وتشتدُّ خواطرُ العبوشيّ في حبِّه لـ (جنينَ) ويبقى فيضُ نورِها يشعّ في عينيه، بوصفه شعاعَ الشّمسِ السّاطع، فهو يقول: (العبوشي، 1956، ص133)

تنـاهـــى في الحنان إليـــك نفسي لأنـــك أنـــتِ أفراحـــي وَأُنْســـي
أُحبُّـــك مـــن صميـــم القلـــبِ حبّاً يثـــيرُ النـــار في قلبـــي وحسّـــي
فإنَّـــكَ مقلتـــي وشُعـــاعُ فكـــري وبلســـمُ مهجتـــي ومِـــدادُ طرسي
وكيـــف يغيـــب عـــن عينـــيّ نور يشـــع بفيضهـــا كشعـــاعِ شَمْسِ

ويخاطبُ الشاعرُ نفسَه مُطلقا زفراتَ العشقِ والشوقِ والحنينَ، كمنْ يقفُ على أطلالِ ديارٍ داسها الاحتلال، ويذرفُ الدموعَ حزناً على فراقِها، فكانَ كمنْ يعقّ صحبه، وقد هجرَ وطنَه وفارقَ بلادَه؛ ليعيشَ غريباً مذموماً خارجَ الوطنِ، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص48)

أيُّهـــا الباكـــي علـــى أطلالـــه اسْكُـــبِ الدمعَ فـــذا الدمع نفيـــس
كلُّ مـــن عـــقّ حمـــى أشبالـــه عاشْ في دنيـــاه مذموماً خَسيس

ويبثُ الشّاعرُ شوقَه وحنينَه للطير، جرياً على عادة الشعراء، الذين يلتمسونَ فيه الحركةَ والحريةَ؛ ليبلّغَ شوقَه وسلامَه إلى أحباب له، وأصحاب تعلّقَ قلبُه بهم. ويشبهُ الشّاعرُ رقةَ مشاعره بنسيمِ الصّباحِ الذيّ يَشعُّ حيويةً ونشاطاً، وقد جَفَّ وأصابَهُ الذّبول منَ جرّاء البعد والفراق، وتختلطُ مشاعر اليأس والإحباط بالشوق والحنين في حوار الشاعر معَ الطّير، الذي صارَ يخافُ على نفسه من حرقة دموع الشّاعر، التي تثقلُ كاهلَه وتعيقُ حركتَه وطيرانَه، إذا ما أصابَ الشاعرُ مكروهاً، يقولُ الشّاعرُ: (العبوشي، 1956، ص 75)

أطيرَ الهَزارِ بربِّك خذني ... أبُث غرامي إلى من هويت
فجسمي رقيقٌ أرقّ منَ النسـ ... ـيمة صُبحاً وإني ذويت
فقال أخاف دموع الغرام ... تبلل ريشي إذا ما نعيت

يلجأ العبوشي إلى استعمال تقنية التعمية والكناية؛ من أجل التعبير عن الحالة النفسية التي يعيشها وهو بعيد عن جنين ومرجها، وحالة الشوق والحنين إليها، فيقول أنَّ الطيرَ يرفرفُ فوقَ رأسه؛ ليسوقَ إليه أخبارَ المرج، وقد أصبحَ مستهانا مستباحا، دنّسه الأعداءُ بأقدامهم واستولوا على خيراته، ويتمنّى الشّاعرُ لو ظلَّ غبياً لا يفقهُ شيئاً، ولا يشعرُ بالإحساس بما يحيطُ به، لهدأ بالُه، واستكانَ قلبُه، يقولُ الشّاعرُ: (العبوشي، 1956، ص 48)

رائدي يا مرجُ أنْ أبكي طُلولاً ... جثمَ الدهرُ على أنقاضها
لَهْفَ نفسي لا أرى إلاّ فُلولاً ... حدّثَ التاريخُ عن أرياضها
رفرف الطير عليا
ونعى المجد إليَّا
ليتني عشت غبيا
بين مجذوم وديب

ويُلحظُ أنَّ غرضَ الحنين والشوق إلى الوطن يحتفلُ به معظمُ الشعراء المبعدينَ عنْ أوطانهم؛ إذ تهفو القلوبُ إليه معَ هبوب كل نسمة، لتبقى أرواحُهم معلّقةً بأوطانهم، ومهما طالَ البعدُ واسوَّدتْ لياليهم، فلنْ تَنالَ من قوتهم وعزيمتهم وإصرارهم على العودة، ولن تُطفئَ جذوة الأملِ في قلوبهم. ويتلهفُ الشاعرُ حسرةً على لقاء جنينَ، وتراودُه المخاوفُ من أنْ يطولَ به البعدُ والفراق، ويكونُ الغدُ الآتي/ المستقبلُ كالأمسِ المنصرم/ المظلم، وتتأرجحُ مشاعرُه بينَ الأملِ واليأس في لقاء موطنه ومسقط رأسه جنينَ، يتضحُ ذلكَ من خلالِ تعبيرِ الشّاعرِ (أظنُّ) فالظنُّ يشيرُ إلى الاعتقاد والشكّ، وهو عدمُ التيقنِ منَ الأمرَ؛ ليصلَ به الأمرُ أن يخاطبَ جنينَ، ويطلب منها المثولَ بينَ يديه؛ لأنَّ أملَه في اللقاء بها – في نظره– طويلُ الأمد، فالزمنُ لا يسيرُ حيثُ يسيرُ الشاعرُ، فهو يقولُ: (العبوشي، 1956، ص 133)

حُرمتُ لقاءَها يا لَهْفَ نفسي ... وأُشفقُ أن يكونَ غدي كأمسي
تعالَيْ ما أظُنّ غداً لقانا ... فإنَّ الدهرَ والأحداثَ عكسي
فإنْ تكُ فرقة فإلى لقاء ... بروض الحب حيث تهيم نفسي

ظهر الحزن والشوق في الشعر الحديث ظهورا جليًّا بعد نكبة 1948م، وأدركَ الشعراءُ عمقَ المأساة، وأبعاد هذه الفجيعة المؤلمة، وعواقبَها الوخيمة، مع إحساسهم بالعجز والقصور أمامَ ما يحدثُ، ممّا عمّقَ في وجدانهم مظاهرَ الحزن، وقد أحسُّوا بالضياع والغربة في أوطانهم.(الورقي، 2002، ص256)

وانعكسَ الحزنُ على لغة العبوشيِّ وألفاظه؛ لأنَّه عاشَ المعاناة، والبعدَ والحرمانَ عن الأهلِ والوطن، وأحسَّ بمرارة الشوق والغربة، فقد تمزَّقتْ مهجةُ الشّاعر، ولم يعدْ يذوقُ طعما للراحة في ابتعاده عن (جنينَ) وما حلّ بأرضها وناسها، ويسترجعُ الشاعرُ ذكرياته ليطوفَ في خاطره طيفُ اللاجئات الفلسطينيّات اللواتي شُرِّدنَ من ديارهن، ليحرمَه لذةَ النّوم، حينما يصدحُ صوتُ المناجاة في أذنِ الشاعر، وهنَّ يتساءلنَ مستنكرات: هل من ناصر ذي همّة يخلّصُ حقّ المظلومين، ويُعيدُ مجدهم؟ يقولُ الشاعر: (العبوشي، 1956، ص84 – 85)

لم أرْجُ فيك اليوم أنْ أستريحْ ... بعد ما مزقت مهجتي في (جنين)
من بعد ما حلَّ فيها القبيحْ ... واستحل الحرام فيها للعينْ
ما ذاق جفناي لذيذَ المنامْ ... مذ شمت طيف اللاجئات الكئيبْ
أيقظنني إذْ قلن هل من هُمام ... يعيد للمظلوم مجداً سليبْ

ويتناصُّ العبوشيّ تناصّا أدبيّا مع أبي تمام في قوله :

نقّل فؤادك حيث شئت من الهوى
وما الحبُّ إلا للحبيب الأول

ولكنّه أضاف لهذا القول انزياحًا لطيفًا؛ إذ جعل الحبيب الأول هو الوطن، ويبقى الوطنُ حبيبةَ العبوشي الأولى في حياته، وهو القائل: (العبوشي، 1956، ص الغلاف)

الناسُ تعشــقُ في الحياةِ حبيبةً وحبيبتــي الأولى هــي الأوطــان

ويلحظُ في قصائد المرحلة التي عاشها الشّاعرُ أنّه يسودُها جوّ منَ الحزن الذي يسيطرُ على الشاعر، كما يطالعنا في قصيدة نظمَها بعدَ أن أبعدَ عن وطنه فلسطينَ، وهو في بغدادَ سنة 1940م، ولعله يُلحظُ أنَّ نغمةَ الألَم الحزين والحنين والتحسّر على بلاده تسودُ فيها، ونستشف ذلك من قصيدة للشاعر بعنوان (كلنا مستعد). (ياغي، 2001، ص302)

يخضعُ العبوشيَّ – عندَ نظمه للقصيدة – للحالة النفسيّة التي تنتابه في تلكَ اللحظة؛ من أجْل تشكّل الإيقاع المناسب لها، الذي يوجّه إلى السّامع، فتخاطبُ مشاعرَه وأحاسيسَه، وينمُّ ذلك عن قدرة الشّاعر على السّيطرة على مفرداته وتراكيبه؛ لتخرجَ عن معناها المستقلّ، وتكتسبُ آفاقاً وأبعاداً جديدة، تتلاءم وحالةَ الشاعر وشعوره، حسب ما يتطلبُه السياق. (الصباغ، 1998، 172)

ويطالعنا مثل ذلك في تعبير العبوشيّ عن لهفته وشوقه وحنينه لديارِه وربوعِ بلاده؛ مما يجسّدُ حجمَ المعاناة التي أثقلتْ كاهله، حينما حاولَ أن يلقي همومه على الآخرينَ ليشاركوه ثقلَ المعاناة، وحين يتساءلُ عن احتمال العودة إلى ديار تسكنُ بين أحشائه، وقد حرمَه الشوقُ والحنينُ طعمَ النوم والراحة، وهو يذرفُ الدموعَ الغزيرة؛ لبعده وفراقه عنها، حتى صار يحتسي الآلامَ والمآسي كمن يحتسي الشرابَ؛ ليجدَ فيها راحة له، وتنفيساً عن كربته في الغربة، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص62)

هل رجوعْ للمعنى الغريبْ للربوعْ
فالضلوع حنّت لذكر الحبيب والدموعْ
مترعات الأسى في كؤوس المسا
أحتسيها عسى تستريح الجفونْ

ومما حسُن معرفته عن العبوشيّ أنّ عشقَه وحنينَه وحبَه لوطنه رافقَه في كبره ومرضه، فقد نظمَ قصيدةً تشتمل على هذه المضامين بعنوان (يا بلادي) يصرّحُ فيها عن حبِّه وعشقه وتعلّق قلبه في بلاده، التي تشكّل رمزَ المجد والعلا، ويبدو هذا العشق لبلاده وقربها من قلب الشاعر من خلال حرف النداء (يا) التي تُستعمل لنداء القريب والبعيد، ومن خلال تكراره لكلمة (المعالي) التي تشيرُ إلى اعتزازه وفخره ببلده، ويبذلُ نفسَه وروحَه وقلبَه لأجلها، ويقدمّها رخيصةً في سبيلها، لقد طالَ ليلُ الشّاعر، وهجرَ النومُ عينيه، وتفاقمتْ جراحُه التي تختلجُ مشاعرَ الشاعر وحدَه، وقد أخفاها عمنْ حولَه، يقولُ الشاعرُ: (العبوشي، 1956، ص129 – 130)

يا بــلاداً عشقــتُ فيهــا المعالي والمعــالي أحــبُّ شــيءٍ إلَيّــا
هــاك روحــي ومهجتي وفــؤادي فاقبليهــا فمــا تعــزّ علَيَّــا
أسهــرُ الليلَ شاكيا مــن جراحي كَــمْ كتمــتُ الجــراحَ عمّــن لَديَّا

الصبرَ هو سلاحُ الشاعر الوحيد أمامَ هذه المصائب الضخمة الحجم، فيصبّر صبرَهُ احتساباً لوجه الله – تعالى – ولنيل أجر الصابرينَ، وعزاؤُه الوحيدُ أنْ يموتَ شريفاً حرّاً أبيّاً، ويقرأ السلامَ على وطنه وبلاده مستلهماً النّصَّ القرآنيَّ في قوله تعالى: « سلامٌ عليَّ يومَ ولدتُ ويومَ أموتُ ويومَ أُبعثُ حيّا « (مريم:33) يقولُ الشّاعرُ: (العبوشي، 1956، ص130)

حسبــيَ اللهُ إنَّ بــالله صــبري وعزائــي بــأنْ أمــوتَ أبيّــا
فســلامٌ عليــكِ يــومَ مماتــي يــا بــلادي ويــومَ أُبعــث حَيّــا

الحث والتحريض على نصرة جنين:

يكتملُ منهج العبوشيِّ في المقاومة الشعرية بدعوته وتحريضه على نصرة جنين ومرجها وفلسطين كلّها، ومثلُه في ذلك معظم الأدباء والشعراء والكُتاب الذين عاصروا أحداثا مريرةً طوالَ القرن الماضي والقرن الحالي؛ ليقذفوا قلوبَ الأعداء بسهام شعرهم ونثرهم، محاولينَ التعبير عن رفضهم للاحتلال، وطالبينَ التخلّص منه، ولشحذ همَّة الشعب، وتحريضهم للدفاع عن أوطانهم، ومقاومة المحتلينَ، ونيل حرياتهم.(ضيف، (د.ت)، ص127).

وفي استحضار الشاعر للتراث، وحُسن توظيفه تتنوّع الدلالات، وتشير إلى تواصل الشاعر مع الموروث، وتفاعله معه، وتأثّره به؛ لينهل من ينابيعه، ويستلهمه في التعبير عن تجربته الشعرية، وعرض قضاياه بصورة شائقة ومختزلة، وتصبح الكلمة رمز لغوي يحمل في طياته دلالات عدة؛ فيكسب عمله الفني نوعاً من الشمول.(الياسين، 2005، 169 – 170).

ويحاولُ العبوشيّ أنْ يستثيرَ همّةَ الشعبِ ونخوتَهم، ويحرضّهم على نصرة وطنهم، من خلال استحضاره للشخصيات التاريخية التي يسجل لها التاريخ الدور البطولي في القيادة والتحرير، وليسيروا على خطاهم في تحرير بلادهم مثل عمرو بن العاص وخالد بن الوليد، وصلاح الدين الأيوبي، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص44)

يا شبـــاب البـــلاد أحفـــاد عمرو ... وصـــلاح وخالـــدٍ مَـــنْ فداهـــا
إن للعُـــرب همـــة وإبـــاء ... ومضـــاء فقـــم وجالـــد عداهـــا
غايـــة العُـــرب أن يعيشـــوا كراماً ... حقَّـــق الله بالشبـــاب مُناهـــا

ويتغنّى الشّاعر بماضي الأمّة العربيّة المجيد، الذي يشهدُ له التاريخُ بالعزِّ والكرامة، وتتغنّى بهم الأجيالُ في مدارسِهم، وتنزلُ لهم القاماتُ الباسقةُ احتراما وتقديرا، يقولُ الشّاعرُ: (العبوشي، 1956، ص 47)

قـــد كنتُ أقـــرأ في التّاريخ أنَّ لنا ... مفاخراً حدَّثتْ عـــن شانها الكتبُ
وكنتُ أسمعُ مـــن أستاذ مدرستي ... بأننـــا عربٌ تعنـــو لنـــا الشهبُ

فرضت طبيعةَ الظروف والمعاناة – في تلك المرحلة من حياة الشّعب الفلسطينيّ– على الشّعراء موضوعات شعرهم؛ لتُحدث صداها وآثارها في نفوس الشعب، حتى صرنا نلمحُ ذلك في عناوين القصائد (وطن الشهيد، الأخذ بالثأر، طلب النجدة والغدر، وغير ذلك) فمثل هذه العناوين تشدُّ القارئ، وتمتلكُ أحاسيسَه، ويكونُ لها وقعٌ كبيرٌ على النفس، فتأسرُ قلوبَ السامعين. (ياغي، 2001، ص314–313).

العبوشيّ كان محرّضا على المقاومة والقتال والوحدة في عناوين دواوينه، كما في عناوين قصائده التي تحفل بالتحريض والمقاومة؛ ففي ديوانه (جبل النار) كتبَ بعد العنوان مباشرةً في صفحة الغلاف العبارة التعريفية بمضمونه الآتية: « ديوانُ القومية العربية ومصائبُها وكفاحُها « ويُذكرُ أنَّ عنوان أول قصيدة في الديوان كانَ (أمة الحرب). (العبوشي، 1956، ص43) وفي قصيدة أخرى في الديوان عينه كانتْ معنونة بـ (معركة جنين) يصوّرُ فيها سيرَ المعركة، وشنَّ هجوم المحتلِّ بغاراته الشديدة، وفيها أصيبَ الناس في الذّهول، وحلَّتْ بهمُ المصائبُ من كلِّ حدبٍ وصوْب، والموتُ يرفرفُ فوقَ تلالِهم، والطائراتُ الحربيةُ تقصفُ فوقَ رؤوسِهم؛ لتنذرَ بالخراب والدّمار، وصوتُ الرّصاص يدوّي فوقَ رؤوسِهم وينهالُ عليهمْ كالمطر الغزير؛ ليتصدّى لهم شبابُ جنينَ، ومَنْ حولَها بقوة وبسالة، وينهالونَ عليهم دونَ توقّف، ويشبهُهم الشّاعرُ بالسيل العُباب، والعبابُ (سيلانُ الماء دونَ توقّف وتنفّس) وفي الحديث الشريف ما يؤكد هذه المعاني قوله – صلّى الله عليه وسلم – : «مُصُّوا الماء مصّاً، ولا تَعبُّوا الماء عبّاً» (معجم المعاني، مادة(عب) ويتعالى هديرُ أصواتهم؛ ليقفوا في وجه أعدائهم، ويصدونهم بقوة عزمهم، وسلاحهم البسيط، أمامَ

هجمات العدو بالنار، والمدافع والطائرات الحربية، والناسُ تتراكضُ من هنا وهناك؛ ليهجروا أوطانَهم ذعرا ورهبة، يقولُ الشاعرُ: (العبوشي، 1956، ص63)

بينمـــا النـاسُ في أســـىً واكتئاب ... والمنايـــا تطـــوف فـــوق الروابي
وذوات الجنـــاح تُلقـــي علينـــا ... لَهَـــبَ النـــار منـــذراً بالخـــراب
وأزيـــز الرَصَاصِ ينهـــل كالغيـ ... ـــث ولاحَ الوجـــوم في كل بـــاب
وشبـــاب الحمـــى تساعـــوا أُسوداً ... من (جنـــين) وحولهـــا كالعبـــاب
يصدمـــون الغُزاة بالعـــزم والنـــا ... ر كِرامـــاً وبالمـــدى والحـــراب
وســـلاح العـــدى حَديـــدٌ ونـــارٌ ... وجنـــاحٌ يطـــير فـــوق السحـــاب
بينمـــا الأهـــل بـــين كَـــرٍّ وفَـــرٍّ ... ورحيـــلٍ ودهشـــةٍ وارتيـــاب

واكبَ الشعراءُ الحياة السياسية في فلسطين، وراقبوا نضالَها المستميتَ بعدَ تدهور حالة البلاد، وقد عاثَ فيها الاحتلالُ فساداً، وحملوا على عاتقهم مهمَّةَ التّحريض، وبثّ روح الوعي والتمرّد في نفوس أبناء شعبه؛ ليفضحوا نوايا المستعمرينَ، ويكشفوا عن دسائسهم. (ياغي، 2001، ص300 – 301)

ويستنهضُ الشّاعرُ أشبالَ فلسطينَ للمواجهة؛ ليزحفوا للقاء العدو، ويمتطوا خيولَهم، أو على الأقدام يمشونَ، وكلُّه أملٌ بأنّه حانَ النصر واللقاء في جنينَ وتلال نابلس، وقد اتّحدوا وصاروا كتلة واحدة في حماسهم في التّصدّي للأعداء وهزيمتهم، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص102)

أيهـا الأشبـال مـن قومـي ثُبوا وازحفوا خيلاً ورجـلاً وقسـيّ
قـد دنـا اليـوم الـذي يسعدنا في (جنـين) في ذرا (نابلـس)
حيـث نمشـي كتلـة واحـدة نهـزم الخصـم بأسـد حمـس

ويتوقّف تأثيرُ الشاعر في قدرة إدراكه ونفوذه، وعمق إحساسه بواقعه ليعكسَ تأثيرَه في المتلقي، وكلما زادَ وعيُ الشاعر وإدراكه لما يدورُ حولَه، ويشاهدُه بنفسه، شعرَ القارئ براحة نفسيّة؛ لأنّه يخاطبُ وجدانَه، ويعمّق إحساسَه بواقعه، ويزدادُ تأثيرُه في السامعينَ، وكأنّه يتحدَّثُ على لسانِ كلِّ واحدٍ منهم(ضيف، (د.ت)، ص141).

وفي قصيدة نظمَها الشاعرُ لمهرجانِ النصبِ التذكاريِّ في جنينَ سنة 1949م، يُسَطّر فيها مشهداً لاندلاعِ المعركة في ظلام الليلِ الحالك، وصراعِ الأبطالِ في منطقة تلِّ الخروبة التي تقعُ إلى الشمالِ من جنينَ– وتبعد عنها حوالي كيلو مترا تقريباً– في سرعتهم التي تبدو كالطائرة المجنحة، وهم يتهافتونَ، وقد انهالوا على الأعداء، ووثبوا عليهم كالبرقِ الخاطفِ دونَ خوفٍ أو وجل، يقولُ الشاعرُ: (العبوشي، 1956، ص103)

في حِندسِ الليل والابطال تصطرعُ في تَـلّ (خَرُّوبة) والحـرب تندلعُ
رأيـت جُنداً بهـالات وأجنحة على حديد سَرَوا كالبرق واندفعوا
كأنهـم سكرات المـوت قد وثبوا على العداة فمـا هابوا وما فزعوا

شكل اغتصابُ فلسطينَ وتشرّد أهلها مأساةً كبيرةً للشعبِ الفلسطينيِّ، وقد أحسَّ شعراءُ الجيلِ الأولِ من النكبة بخطورة المرحلة، فجسَّدوا الماضي في أشعارهم، من نفسٍ تمتلئُ حزناً وألماً وحسرة، من واقعِ مريرٍ عايشوه، يحرضونَ النّاسَ على المقاومة والدفاعِ عن بلادِهم. (الورقي، 2002، ص235)

ويصوّرُ الشاعرُ انقضاضَ الأبطالِ وشجاعتهم من أبناءِ جنينَ وقراها على الأعداءِ في المعركة، وقد صبروا ورابطوا دونَ فزعٍ أو خوف، وثاروا عليهم من الخلف، ومن الأمام، وأردوهم قتلى، وفي قول الشاعر: جرعوهم دلالة على شدة الإيقاع والفتك بأعدائهم، يقول الشاعر: (العبوشي، 1956، ص104)

لله أُسـد جنـين والقـرى صبروا صـبر الكـرام ولّـوا ومـا هلعوا
ثاروا على الخصم من خلفٍ ومن قُبُلٍ وأردوه هلاكـاً منـه قـد جرعوا

وما نيلُ المعالي أو النصر إلا بالتضحية والفداء، وبذلِ النفوسِ رخيصة، فالمهر شرطٌ أساسٌ للعروس، وكذا النصر فلا بد له من تضحيات بالمال والنفس. يقولُ الشاعر: (العبوشي، 1956، ص111)

ومن يبتـغِ العليا يُضَـحِّ بنفسه ويبذل نفيسـاً، لا عروس بلا مَهر

المحور الثالث: الخصائص الفنية لشعر العبوشي:

انصبَّ شعرُ شعراء الأرض المحتلة في قضيتهم، واتخذوا من شعرهم الثوريِّ وسيلة للدّفاع عن بلادهم، ومواكبة أحداثها، فرفعوا صوتهم عالياً، وصوَّرّوا قضيتهم التي عاشوها منذ طفولتهم. (السامرائي، 2002، ص81)

فالتجربةُ الشعريّةُ هي: « الصورةُ الكاملةُ النفسيةُ أو الكونيّةُ التي يصورُّها الشاعرُ حينَ يفكرُ في أمرٍ منَ الأمور، تفكيراً ينمُّ عن عميقِ شعوره وإحساسه، وفيها يرجعُ الشّاعرُ إلى اقتناعٍ ذاتيٍّ وإخلاص فنّيّ، لا إلى مجرّد مهارته في صياغة القول بعبثَ بالحقائق، أو يجاري شعورَ الآخرينَ لينالَ رضاهم». (هلال، 1997، ص383)

كانَ شعرُ العبوشيّ انعكاساً لتجاربه، وطبيعة حياته، فقد خاضَ أحداثَ بلاده، فأخذ يحثُّ ويحرضُ على مقاومة المحتلّ، والدفاعِ عن الوطن، واستعادة مجد الأمة وتاريخها، ومن هنا امتازَ الشاعرَ بالأسلوب الخطابيِّ التقريريِّ المباشر، ويشبهه كمال فرهود بشعرِ الرجزِ الذي كان ينظمُ عندَ العربِ أثناءَ سيرِ المعركة، فينظمه الشّعراءُ للحثِّ على الحربِ. (فرهود، 1998، ص263)

جاءَ « شعرُه نتاجَ السّاعة التي أوحت بها، ولا يستقيمُ فهمُه إلا في ضوءِ العواملِ التي أحاطَتْ به ودعتْ إليه». (قبش، 1970، ص620) فكان تعبيراً صادقا عن حالته النّفسيّة، وتصويراً لواقعِ مأساة شعبه التي عايشَها منذُ اللحظةَ الأولى « إنّه الصدقُ في الانفعالِ، والصدقُ في نقلِ الانفعال». (قبش، 1970، ص 600)

والالتزامُ في الشّعرِ الوطنيِّ والقوميِّ سمةٌ أساسيةٌ من سماتِ هذا الشعر؛ لأنّه يعبّرُ فيه الشّاعرُ عن تجربة مرة تنعكسُ نتائجُها على الإنسانية ككل، فيأتي الالتزامُ نابعاً من ذاتِ الشّاعر؛ ليُحدثَ تأثيرُه في الجماهير قولاً وعملاً. (قبش، 1970، ص603–600) ومصدرُ هذه الفكرة – الالتزام – عندَ الشاعر، تأتي نتيجةُ لمعايشة الأديبِ واقعه، وإحساسه بمشكلاتِ مجتمعه ومعاناته، ومن هنا، وُصفَ الأدبُ بأنّه «نقدٌ للحياة» أو «تفسيرٌ لها»، ولذلك، لابدّ للأديب من الاحتكاك بقضايا العصر؛ ليستطيعَ أنْ يحدثَ تأثيره في خلقِ الوعي، من خلالِ قوةِ التّعبير.(إسماعيل، 1978، ص375)

استطاعَ العبوشيُّ أنْ يهزّ مشاعرَ المتلّقي من خلالِ نقلِ واقعه،

وصدق إحساسه، في ملكة شعرية تخاطبُ العامة والخاصة، ولا يتحققُ ذلك إلا في امتلاك « قدرة شعرية تفوقُ المألوف؛ لتنقلَ هذه المشاهدَ اليوميةَ إلى عالم الشعرِ بقوة الإحساس والتصوير الفنيّ». (هلال، 1997، ص387).

امتلأ ديوان العبوشي بالمفردات التي تمتلئ بالحزن والأسى على ما أصاب وطنه، نلحظ ذلك في مفردات أبيات القصيدة، وحتى في عناوين قصائده مثل: المرج الحزين/ معركة جنين/ الوطن المبيع. (عصيدة، 2012، ص159)

كانَ للظروف التي أحاطتْ بالشاعر، والعوامل النفسيّة والاجتماعيّة والزمنيّة تأثيرٌ كبيرٌ على طول النفس الشعريّ عندَ العبوشيّ. (العبوشي، 1956، ص163) ويبدو طولُ النفس الشعريّ عندَ العبوشيّ في ديوانه (جبل النّار) في غير قصيدة، ومنه على سبيل المثال، قصيدة: (الوطن المبيع، المرج الحزين، حي العراق).

ويؤكدُ العبوشيُّ مدى انتمائه لوطنه من خلال استيحائه لعناصر الطبيعة، ودمج اللون والحركة في قوله: (العبوشي، 1956، ص163) العبوشي، 1956، ص50)

مرِّغ جبينك في طُهُور تُرابه
واسجد فإنَّ الله في محرابه.

برهان الدين العبوشي شاعر ومناضل، متحمّس لقضيته، واكب أحداث بلاده في قصائده، وكان دائم السعي؛ لنصرة الوطن وتحريره من ذلّ الاحتلال. ومن أهم المحاور التي تطرّق إليها الشاعر في ديوانه (جبل النار) موضوع الدراسة: التنديد بالسماسرة – آل سرسق بالتحديد – الذين مهدوا الطريق لليهود بالسيطرة على أراضي مرج ابن عامر. والتنديد بالمستعمرات اليهودية التي أقيمت على أراضي المرج، ثم بيان قدسية المكان – جنين – في قلب الشاعر، وحث الشعب وتحريضه لنصرتها وتحريرها. ويشيد الشاعر بإخوانه العراقيين الذين هبّوا لنصرة جنين والدفاع عنها في حرب 1948م.، ويبث الشاعر مشاعر الشوق والحنين لمسقط رأسه جنين وقد حال البعد بينهما؛ ليقضي بقية حياته في العراق ويلقى حتفه فيها.

النتائج:

توصلت الدراسة من خلال الإجابة عن أسئلة الدراسة الثلاثة إلى النتائج الآتية:

– **أولا:** العبوشيُّ شاعرُ السّيف والقلم، رفعَ رايةَ الكفاح المسلّح في وجه المحتل، جاءَ شعرُه صدى لأحداث بلاده، وخلاصةَ تجارب مريرة عايشها الشاعرُ وشعبُه، يحملُ همومَ وطنه السليب أينما حلّ، معبِّراً فيه عن عواطفه، وما يجيشُ في صدره.

– **ثانيا:** شغلت جنين ومرج ابن عامر مساحةً كبيرةً في ديوان الشّاعر، فهي مسقطُ رأسه الذي نشأ فيه، وقد عبّرَ في أشعاره عن صدق انتمائه لوطنه ومجتمعه وأحبائه.

– **ثالثا:** يبدي الشّاعرُ استياءَه منَ السماسرة المتخاذلينَ الذينَ مهّدوا الطريقَ للعدو للاستيلاء على أراضي المرج، وقد فرَّطوا بأوطانهم تحقيقاً لمصالحهم الشخصيّة، وجمع الأموال.

– **رابعا:** يندِّد الشّاعرُ بالمستوطنات التي أُقيمتْ على أراضي مرجِ ابنِ عامرٍ المزدهرة اليانعة، ولم يبقوا لأصحابها غيرَ الشعاب القليلة، والأراضي القاحلة الجرداء.

– **خامسا:** تبدو ملامحُ القومية العربية الصادقة في شعر العبوشيِّ للدول العربية التي اضطرَّ للسفر إليها، والإقامة فيها مثل الشام ومصرَ والعراق، مظهراً إخلاصَه وانتماءَه لأهلها، ومُعلياً من شأنهم، ومواقفهم النبيلة معه، وبخاصة الشعب العراقيّ الذي حضّرَ جنودُه البواسل للدّفاع عن جنينَ في معركة جنينَ الكبرى 1948، وقد تركوا أوطانَهم وديارَهم لنصرة جنينَ وأهلها.

– **سادسا:** أرَّقَ البعدُ عن الوطن عامة، وجنينَ ومرجها خاصةً الشاعرَ، فأكثرَ من شعر الحنين الذي يعبِّرُ فيه الشاعرُ عن مدى الشوق الذي يعتريه، وألم الفراق الذي يكابدُه من جَرّاء البعد عنها، لتشكّلَ مصدرَ إلهام له في غيابه عنها.

– **سابعاً:** جاء شعر العبوشي انعكاساً لطبيعة حياته وتجاربه، وتصويراً لواقع شعبه ومأساته؛ فامتاز شعره بأسلوب خطابي تقريري مباشر، وملكة شعرية تخاطب العامة والخاصة، وبطول النفس الشعري في ديوانه (جبل النار). وسار على النهج التقليدي في نظمه؛ من حيث الوزن والقافية، والبحر العروضي الواحد.

– **ثامنا:** أفاد العبوشيُّ كثيرا من إمكانات التناصّ بنوعيه الدينيّ والتاريخيّ في توضيح ما ألمّ بجنين وأهلها من آلام وأحزان واحتلال. كما أنّه أكثر من أساليب الخطاب المباشر كالاستفهام والنداء وأفعال الأمر.

التوصيات:

– **أولا:** نلحظ أن الدراسات التي كتبت حول العبوشي كانت قليلة، قياساً إلى إنتاجه الأدبي، وحبذا لو يُوجّه الدارسون والباحثون عنايتهم لتناول هذا الشعر وإنصاف شاعريته.

– **ثانيا:** تقريب الذائقة العربية ولا سيما الفلسطينية من شعر العبوشيّ؛ ذلك، بأن يُقررَ شعره في الكتب التعليمية في المدارس العربية والفلسطينية والجامعات؛ من أجل فهمه وتذوقه وتقدير جهده.

– **ثالثا:** العمل على إبراز مجموعة الخطوات الوطنية والإجراءات الشعرية الأدبية التي انماز فيها شعُ العبوشيّ من غيره، وتشكّل منها منهجه الخاص به، ويمكن تحقيق ذلك، عن طريق عقد ندوة متخصصة في إظهار منهج العبوشيّ الأدبي والوطني.

– **رابعا:** دعوة الباحثين إلى دراسة دلالة أساليب الشاعر اللغوية والفنيّة دراسة مستقلة في أبحاث علمية تظهر السمات البنائية والدلالية لشعر العبوشيّ.

المصادر والمراجع:

ـ القرآن الكريم.

- إسماعيل، عز الدين. (1978). الشعر العربي المعاصر قضاياه وظواهره المعنوية، ط3، دار الفكر العربي.
- جبر، أحمد عبد الرؤوف. (2017). الاتجاه القومي في شعر برهان الدين العبوشي»، رسالة دكتوراة غير منشورة، إشراف أ. د. محمد علي الشوابكة، جامعة العلوم الإسلامية العالمية، عمان.

- دراوشة، أمين. (2018). المكان ودلالته في قصائد الفلسطيني جمال سلسع، (on-line) متاح: (www.alquds.co.uk)
- فايد، عبد الله. (2013). زرعين في إطارها الجغرافي (on-line) متاح: www.palestinermembered.com/ginin/zirin/story
- زواتي، حلمي. (1985). برهان الدين العبوشي شاعر وداعية الجهاد المقدس. مجلة الثقافة – مجلة تصدرها وزارة الثقافة والسياحة بالجزائر – السنة الخامسة عشرة، العدد (89).
- السامرائي، إبراهيم. (2002). البنية اللغوية في الشعر العربي المعاصر. دار الشروق للنشر والتوزيع: عمان، ط(1).
- شراب، محمد محمد حسن. (2005). شعراء فلسطين في العصر الحديث، الأهلية للنشر والتوزيع، ط1.
- الصباغ، رمضان. (1998). في نقد الشعر العربي المعاصر دراسة جمالية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الإسكندرية، ط(1).
- صدوق، راضي. (2000). شعراء فلسطين في القرن العشرين، المؤسسة العربية للدراسات والنشر، بيروت، ط1.
- ضيف، شوقي. (د.ت). دراسات في الشعر العربي المعاصر، دار المعارف، القاهرة، ط(9).
- عباس، إحسان. (2001). اتجاهات الشعر العربي المعاصر، دار الشروق للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ط3.
- العبوشي، برهان الدين. (1956). ديوان جبل النار. مطبعة الشركة الإسلامية للطباعة والنشر المحدودة: بغداد، ط1.
- عراق، عبد البديع. (2000). صورة الشهيد في الشعر الفلسطيني المعاصر. مؤسسة الأسوار: عكا. المطبعة العربية الحديثة، ط1.
- عصيدة، شمس الدين غنام عبد القادر. (2012). برهان الدين العبوشي أديباً. رسالة ماجستير، إشراف: أ.د.عادل أبو عمشة. جامعة النجاح الوطنية: نابلس.
- فرهود، كمال قاسم، (1998). موسوعة أعلام الأدب العربي في العصر الحديث. مكتبة كل شيء، حيفا.
- قبش، أحمد. (1970). تاريخ الشعر العربي الحديث: دمشق، (د.ن)، ط1.
- ليلى، نقاز، نبيلة نقاز. (2019). المكان في شعر فدوى طوقان. (ديوان الليل والفرسان أنموذجا) رسالة ماجستير. إشراف: د. جادي عمر. جامعة محمد بوضياف المسيلة: الجزائر.
- محمود، أ. (n.d). برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، (on-line) متاح: www.diwanalarab.com
- الصفار، أ.(n.d). العراق في شعر العبوشي. برهان الدين العبوشي شاعر السيف والقلم، (on-line) متاح: www.diwanalarab.com
- الورقي، السعيد. (2002). لغة الشعر العربي الحديث مقوماتها الفنية وطاقاتها الإبداعية. دار المعرفة الجامعية، الإسكندرية، ط1.
- الياسين، إبراهيم منصور محمد. (2005). استيحاء التراث في الشعر الأندلسي (عصر الطوائف والمرابطين) 400 – 539هـ. رسالة دكتوراة: جامعة اليرموك، إشراف: أ. د. حسين خريوش.
- ياغي، عبد الرحمن. (2001). حياة الأدب الفلسطيني الحديث من أول النهضة .. حتى النكبة، منشورات وزارة الثقافة الفلسطينية، ط(2).

English References:

**Holy Quran*

- *Ismael Izzadin. (1978).Alsha'r Ala'rbi Alma'asr. Kdhayah Wthwahrh Alfniah Walma'nouiah,Dar Al Fikr,(3rd edition).*
- *Jaber, Ahmad Abdera'of. (2017)."The Nationalist trend in Burhan Adin Alaboushi", PHD dissertation, supervised by Pro. Mohammad Ali Ashwabkeh, The World Islamic Science &Education University, Amman.*
- *Darawsheh, Amin. The place and its implications in the poetry of the Palestinian poet Jamal Sala', 29. Janunaey.18 (websit)(alquds.co.uk).*
- *Zir›in and its Geographical framework,Abdallah Fayad, 15th .Decemeber,2013. www.palestinermembered.com/ginin/zirin/ story*
- *Zawati, Helmi, Burhan Adin Alaboushi a Poet and a Preacher of the Holy War, a research published in Athaqafah Magazine.*
- *A magazine that is issued by Ministry of Culture and Tourism in Algeria-issue 89,Moharram 1405H-1406H, 1985.*
- *Asamarai, Ibrahim. (2002).The Linguistic structure of the Modern Arab Poetry, Dar Al Shoroq for Publishing and Distribution, Amman, (1stedition(.*
- *Shurrab, Muhammad. (2005). Muhammad, Hassan, poets of Palestine in the Modern Era, Al Ahleya for Publishing and Distribution, 1st, edition.*
- *Asabbagh, Rmadan.(1998). An Artistic study in the Modern Arabic Poetry Criticism, Dar Al Wafaa for Printing and Publishing, Alexandria, 1st edition.*
- *Sadoq, Radi. (2000). Palestinian Poets in the 20th Century, Arab Institute for Research and Publishing, Beirut, 1st edition, 2000.*
- *Dayf, Shawqi. (n.d) Studies in Modern Arabic Poetry, Dar Al Maaref, Cairo, 9th edition.*
- *Abbas, Ihsan. (2001). Trends of Modern Arabic Poetry, Dar Al Shoroq for publishing & Distribution, Amman, Jordan, 3rd edition.*
- *Al-Aboushi, Burhan Al-Din. (1956). Jabal Al-Nar Diwan, Limited Islamic Firm for Distribution & Printing, Baghdad,1st edition.*
- *Iraq, Abdelbadie. (2000). The Image of martyre in the Palestinian Modern Poetry, Al Aswar Institution, Akka, Modern Arabic Press, 1st edition.*
- *Qubash, Ahmad. (1970). The History of Modern Arab Poetry, Damascus, (D,N) 1st edition.*
- *Asida, Shams Adin Ghannam Abdelkqader. (2012). Burhan Al-Din from a Literary Perspective, master dissertation supervised by Dr. Adel Abu- Ashma. Al Najah National University, Nablus.*
- *Farhoud, Kamal Qasem. (1998). Encyclopedia of Modern Arabic Literature figures, Kul Shee, Haifa.*
- *Laila,Nqaz, Nbila Naqaz. (2019). The places in Fadwa Tuqan's Poetry (Alail wa Alfursan as a model), master dissertation supervised by Dr. Jadi Omar, University of Mohammad Boudiaf- Msila, Algeria.*
- *Mahmoud. I. (Burhan Adin Alaboushi a Poet of a pen and sword), Al Saqqar, Ibtisam Marhon, Iraq in Alaboushi poetry, a paper written by Ibtisam Tahrir and edited by Dr. Kaled Jber and Dr. Nabil*
- *Hasneen in Petra University symposium./Website: diwanalarab.com/.*

أَثَرُ الاتِّجَاهِ النَّفْسِيِّ فِي انْحِرَافِ التَّنَاصِّ الدِّينِيِّ عِنْدَ الشَّاعِرِ أَحْمَدَ مَطَر..(رُؤيَةٌ وَصْفِيَّةٌ تَحْلِيلِيَّةٌ)

The Effect of Psychological Attitude on the Deviation of Religious Intercourse in Ahmed Matar›s Poetry (Descriptive and Analytical Perspective)

عَطِيَّة مَحمُود حَسَّانِين
أستاذ مساعد /جامعة الأزهر/ مصر

Atia Mahmoud Hassanin
Assistant Professor, Al-Azhar University, Egypt.
Ammohammad@ju.edu.sa

تاريخ الاستلام: 6/ 10/ 2019م، **تاريخ القبول:** 3/ 5/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 6/ 10/ 2019, **Accepted:** 3/ 5/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-002
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص :

تتبعت هذه الدراسة أثر الشحنة النفسية في انحراف التناص الديني عند الشاعر أحمد مطر ، ولقد قامت – في منهجها– على مواجهة النصوص الشعرية والبحث عما تنطوي عليه نفسية صاحبها، وما لديه من بواعث تؤهله لأن يكون ساخراً أو غاضباً أو يائساً ، وسلطت الضوء على نفسيتي الشاعر والمتلقي معاً ، وما يمكن أن تثيره النصوص المتفارقة والمتحاورة من مشاعر وأحاسيس ، غير مشاعر الضحك والاستهزاء حيناً ، والألم والحزن أحياناً ، والحماسة والمقاومة حيناً آخر ، وبحثت في استعدادات الشاعر لتلقي ما ترمي إليه النصوص المنحرفة ، وحاولت متابعة ما يحدث له من مادة إدراكية حول علاقة الواقع بالنظريات النفسية ؛ لتستظهر ما وراء الإدراك الخارجي من الناحية النفسية.

الكلمات الدالة: الاتجاه النفسي ، التناص الديني ، الانحراف ، أحمد مطر، رؤية وصفية ، رؤية تحليلية.

Abstract:

This study traces the impact of psychological charge in the deviation of religious intercourse of the poet Ahmed Matar. The study analyzed the poems to reach the psychology of the poet and the incentives that qualify him to be sarcastic or angry or desperate, and highlighted the psychology of the poet and the recipient as well. The study also investigated how these interactive poems have produced different feelings other than laughter and mockery at a time, pain and sadness at times, and enthusiasm and resistance at another time. Moreover, the study examined the poet›s ability to receive the meanings of deviant poems, and tried to trace what is happening to him perceptually regarding the relationship between reality and psychological theories.

***Keywords**: Psychological attitude, religious intercourse, displacement, Ahmed Matar, descriptive Perspective, analytical Perspective.*

مقدمة :

الحمد لله الذي لا يليق بالحمد أحد سواه ، والصلاة والسلام على نبيه ومصطفاه ، أنزل القرآن بلسان عربي مبين ، ونزَّه نبيه عن الشعر والتأويل . .. وبعد

فمما لا يحتاج إلى إنكار أن للعوامل الخارجية تأثيراً إيجابياً أو سلبياً على الجوانب النفسية للشاعر ، بل على تعبيره وتذوقه واختياره للكلمات وتركيبه للجمل حسب ما يجد صداه في نفسه .

فبين قداسة النص الديني وتنزيهه، ومقاصد الإبداع في الشعر المعاصر وما يتحقق بينهما من تداخل، إثر تناص أو تضمين أو اقتباس شيء من كتاب الله تعالى أو سنة نبيه – صلى الله عليه وسلم – في السياق الشعري ، تبرز لنا إشكالية مهمة في علاقة الشعر بالعقيدة ، والمساحة المتاحة للشاعر في هذا المضمار، وخاصةً في هذه الأيام التي تطور فيها الشعر العربي الحديث وتزيَّن بأنواع التناص المختلفة ما بين الأسطوري ، والتاريخي ، والديني وبخاصة ما يُسمى في الأخير بالتناص القرآني ، نظراً لتعامل الشعراء مع القرآن والأخذ منه بصور وأشكال مختلفة لكل منها جوانبه السلبية والإيجابية من جهاته اللفظية والمعنوية، فتطاول كثيرون منهم على قداسة لغة القرآن الكريم ومضامينه ، ووقعوا بقصد أو بغير قصد في امتهانه ، غافلين عن كونه كتاباً محفوظاً له حدودٌ يجب مراعاتها عند تفسير نصوصه أو ترجمتها .

أهمية الدراسة :

ترتكز هذه الدراسة على علاقة الاتجاه النفسي وأثره في انحراف التناص الديني ، وبيان الجوانب السلبية التي يقع فيها الشاعر في كثير من المزالق والامتهانات والأخطاء ؛ والعوامل التي حدت به لإغفال التقدير لكتاب الله عز وجل وسائر أنبيائه ورسله عليهم السلام ، وإدراك ما فعلته الحداثة الغربية ودعواتها الهدامة المشككة التي لم تبق لشيء قداسة أو خصوصية تنأى به عن معول الهدم والتشويه والتشكيك تحت عباءة حرية التعبير والإبداع ، أو تحت دعاوى التحرر الإبداعي والفكري، أو خلف لافتات التحديث ومجاراة العصر وتداخل الثقافات.. إلى غير ذلك، حتى طال ذلك كتاب المسلمين الأول، فتم اختراقه وامتهانه والتجاوز في حقه من وجوه متعددة بغرض قطع الصلة بين المسلم ودينه ، أو لغرض قضية ما، أو تشكيكه في تلك المعجزة الإلهية الخالدة التي تحدَّى بها المولى –عز وجل– فصحاءَ العرب على مر الزمان فأعجزهم.

بل أضافوا النصوص الشعرية إلى السرد القرآن، ووصفوا القرآن بالشعر، وسموا بعض قصائدهم باسم سور القرآن وآياته... وغير ذلك ، وفي غفوة من شاعرنا – لبواعث نفسية متغلبة عليه ، ونزعات مكبوتة متعارضة مع الأنا –وقع في هذه الشراك .

هدف الدراسة :

تهدف هذه الدراسة إلى الوقوف على الأثر النفسي ومعرفة حدوده، وبيان مخاطر بواعثه من الغضب والهم والحزن والقهر والكبت والاضطهاد على الإنسان مما يجعله غير متنبه لخطورة الأمر، وإذا تنبَّهَ غلبته المقاومة ، ومدى ارتباطها بالسيرة الأخلاقية التي تتحول إلى دراسة سيكولوجية أو تشخيصية أو تحليلية ، وبيان ذلك في نماذج متعددة من الشعر، بحثاً عن الوصول للغاية المثلى في التعاطي مع النص الديني، والاستغلال الأمثل للتفاعل مع الأساليب الدينية والألفاظ القرآنية .

منهج الدراسة :

اعتمدت في دراستي لهذا البحث على المنهجين النفسي والفني، للإسهام في الكشف عن هذه الظاهرة، واستحضار العلاقة الوطيدة بين الجانب النفسي، والجانب الفني الأدبي.

الدراسات السابقة :

هناك دراسات كثيرة حول الشاعر أحمد مطر، منها:« شعرية السرد في شعر أحمد مطر » للباحث عبد الكريم السعيدي ، و« الخطاب الشعري في لافتات أحمد مطر » للباحث محمد وليد محمد

، و« التناص في شعر أحمد مطر » للباحث عبد المنعم جبار عبيد ... وغيرها من الدراسات التي تتجاوز عشرين بحثاً وأطروحة، ظهرت بعضها في صلب هذا البحث ، إلا أن الدراسات السابقة لم تتناول أثر الجانب النفسي عند أحمد مطر في انحراف التناص الديني خاصة ، وظهور الأنا وأثر الهو في مضامينه أو إيحاءاته .

حدود البحث :

في سبيلي لهذه الغاية جاء البحث في مقدمة، وثلاثة محاور، وخاتمة، بَيَّنْتُ في المقدمة دوافع اختيار هذا الموضوع، وأهمية دراسته، وتقسيمه، وفي المحور الأول: (حياة قلم) تناولت التحليل النفسي لشخصية مطر وفق حياته الأدبية، ودرست في المحور الثاني: (عوامل التأثير النفسي)، وبَيَّنْتُ في المحور الثالث: (الجانب الفني)، وفي الخاتمة عرضت أهم النتائج والتوصيات التي استخرجتها من البحث، والله أسأل أن أكون قد وفقت فيما عرضت .. فهو حسبي ونعم الوكيل .

المحور الأول: (**حياة قلم**)

التحليل النفسي لشخصية مطر وفق حياته الأدبية

أحمد مطر، شاعر عراقي، له تسعة من الإخوة والأخوات، وهو الرابع بينهم، وهو شاعر فحل، ثريٌّ بفكره ولغته وصوره، من شعراء النضال والثورة استطاع بقلمه أن يخلق المقاومة، ولد سنة 1956 م ، في قرية التنومة، إحدى ضواحي شط العرب في البصرة، عاش فيها طفولته قبل أن ينتقل مع أسرته في مرحلة الصِّبا، لتقيم عبر النهر في محلة الأصمعي(مطر،2011 :41).

فمكان مولده وصباه تتضح فيه بساطة القرية من بيوت الطين، وأشجار النخيل، والأنهار والبساتين، مما يؤكد صفاء نفسه، وسلامة فطرته، ولكن سرعان ما غرقت بلاده في الاحتلال الذي يدمر الأخضر واليابس، فألقى بنفسه في دائرة المقاومة لما كشفته له نفسه من خفايا الصراع بين السلطة والشعب، فدخل المعترك

شُكـراً عَلَـى التَّأبِـين وَالإطـرَاءِ ... المَوْتَـى ، وَنَاجِـي آخِـرُ الأَحْيَاءِ

عَفْـواً ، فَـإنِّي إنْ رَثَيْـتُ فإنَّمَـا ... أَهْلُ الكروشِ القَابِضِينَ عَلَى القُرُوشِ

أَرْثِـي بِفَاتحَـةِ الكِتَـابِ رِثَائِـي ... مِـنَ العُروشِ لِقتْـلِ كُلِّ فِدَائِي

عَفْـواً ، فَـإنِّي مَيـتُ يـا أَيُّهـا ... الهَارِبِـينَ مِنَ الخَنَـادِقِ وَالبَنَادِقِ

وهي قصيدة طويلة يعيش فيها الشاعر مأساةً داخلية حقيقية تتمثل في الهم والحزن والاضطهاد، وسيطرة فكرة العدم ، ومأساة خارجية تتمثل في هموم الأوطان والأمة، وطلب الكرامة والعدالة، والمقاومة والنضال، وسيطرة فكرة العجز حين يشعر أنه لا يؤثر في الآخرين، لذا تتحكم العوامل الخارجية في الشحنة النفسية التي تصنع القرار أولاً .

ومنذ عام 1986 استقر أحمد مطر في لندن، ليمضي الأعوام الطويلة بعيداً عن وطنه ، فكان الاغتراب عاملا من العوامل المؤثرة نفسياً عليه ، فعاش في صراع نفسي مع الحنين والأسى والحزن مُرَسِّخاً في كل لافتة يرفعها وصيته النضالية .

السياسي بإلقاء قصائده في المحافل العامة؛ ولذلك لم تدعه السلطة يهنأ بعيش .

الأمر الذي اضطر الشاعر في النهاية إلى توديع وطنه ومرابع صباه متوجهاً إلى دولة الكويت هارباً من مطاردة السلطة، وفي الكويت عمل أستاذاً للصفوف الابتدائية في مدرسة خاصة، حيث مضى– خلال تلك الفترة وكان آنذاك في منتصف العشرينيات من عمره – يُدَوِّنُ قصائده التي أخذ نفسه بشدة من أجل ألا تتعدى موضوعاً واحدا ، وراح يكتنز هذه القصائد، وكأنه يدوِّن يومياته في مفكرته الشخصية ، ولكنها سرعان ما أخذت طريقها إلى النشر، فكانت جريدةُ القبس التي عمل محرراً ثقافياً لها، الثغرةَ التي منها عادت أفكاره النضالية مره ثانية في انطلاقة شعرية انتحارية ، حيث سُجِّلتْ لافتاته دون خوف، وأسهمت الجريدة في نشرها بين القُرَّاء، وفي رحاب القبس عمل مطر مع ناجي العَلِيّ الرسم الكاريكاتيري، ليجد كل منهما في الآخر توافقاً نفسياً، فقد كان كلاهما يعرف أن الآخر يكره ما يكره، ويحب ما يحب قلبياً دون التصريح، فكثيراً ما كانا يتوافقان في التعبير عن قضية واحدة دون اتفاق مُسبق، فالروابط التي كانت بينهما تقوم على الصدق والعفوية والبراءة، ووحدة الشعور بالمأساة، ورؤية الأشياء بعين مجردة بعيدة عن مزالق الإيديولوجيا وانغلاقات الأقطاع الطاحنة للشعوب من قبل خذلان حُكَّامها وضعف قوتهم ؛ لذلك سرعان ما تكررت المطاردات والاضطهادات من السلطات؛ فزادت مأساة الشاعر، وتأثرت نفسه الصافية، حيث إن لهجته الصادقة، وكلماته الحادة، ولافتاته الصريحة أثارت حفيظة مختلف السلطات العربية، مثلما أثارتها ريشةُ ناجي العلي في جريدة القبس؛ الأمر الذي أدَّى إلى صدور قرار بنفيهما معا من الكويت، حيث ترافق الاثنان من منفى إلى منفى، وفي لندن فَقَدَ أحمدُ مطر صاحبَه الذي اغتيل بمسدس كاتم للصوت، فظل بعده نصف ميت، وعزاؤه أن ناجي ما زال معه نصفه الحيّ؛ لينتقم من قوى الشر بقلمه ، فقال يرثيه في قصيدة حزينة بعنوان «ما أصعب الكلام»:(مطر،2011 :6 – 9)

وينشر حالياً في جريدة الراية القطرية تحت زاوية «لافتات » و «حديقة الإنسان» بالإضافة إلى مقالات في « استراحة الجمعة ».

وتحمل لافتاته كل معاني النضال والثورة ضد الفساد، وعدم الحرية والظلم، مطالباً بالمساواة، ومقاومة القمع السياسي والشمولية وغيرها من الديستوبيات التي أمرضت الشعوب العربية وأصابتها بفوبيا الاستسل ام؛ فأضعفت كيانها في الأوساط العالمية .... تحمل هذه اللافتات انحرافاً من الشاعر أحمد مطر في الاقتباسات القرآنية والعقائدية متأثراً بما أصابه من أثر نفسي انصدع به كيانه الوجداني، وظهر صدى ذلك في ديوانه الشعري،

فحملت كلماته التي في قصائده والمعاني التي حوتها لافتاته تصريحاً وتلميحاً لذلك، وإن كانت ناصرته نظرية «الفن للفن»– الداعية للشعر الخالص– بما تمنحه من حرية لرُوَّادها، ولكن لا ينبغي أن نغالي فيها، فالدرس الأخلاقي من أهم مقاصد طبيعة الأدب ووظيفته، وأما التغيير الذي يعتري هذا الدرس فهو تغيير في وجوه الإنسانية، فالفن لا يمنع الأدب أن يكون هادفاً وبناءً ومفيداً وخلَّاقاً في آن واحد .

ومن أهم الدوافع النفسية التي ترتب عليها غياب «الأنا» في بعض الأحيان عند مطر، فقدان صديقه ناجي العلي ، وظهور معترك نفسي في معاني لافتاته وألفاظها وتراكيبها، ألجأته إلى نقائض ومفارقات وانحرافات قرآنية .

ولقد لقبه بعض الكُتَّاب بملك الشعر فقال: « إن كان أحمد شوقي هو أمير الشعراء، فأحمد مطر هو ملكهم »(مطر،2011 :5).

فالأهمية الأولي – بجانب الدراسة النفسية لأي شاعر – تكون لمقاصد العقيدة، ورؤى الدين، وهما نظام متراكب ، وأجزاء متكاملة، وهما في أمَّتنا أساس الأدب وقواعده، وأفضل أوجه الدراسة الحديثة – من وجهة النظر الخاصة – هو مجانبتنا للتفكير الحر الذي يفقدنا هويتنا ، إن كنا نتفق أن هناك اختلافات قومية، وحواجز عقائدية ، ومفارقات اجتماعية بين الأمم، ليست حدود جغرافية وتصنيفات لغوية فحسب، «إن الدين والأخلاق والشعور الاجتماعي– وهي العناصر الأساسية لما هو أسمى ما في الإنسان – إنما كانت في الأصل شيءٌ واحدٌ»(فرويد، 1982 :61).

فمع اعتلاء الشاعر قمة أنواع التناص ، وهو التناص الديني، إلا أنه أحضره في صور مخالفة، مُطلقاً العنان بلا حدود للزمان، أو المكان، أو الأجناس، أو الأعراف، أو التقاليد الدينية حاملاً حالة من الانفتاح تحت تأثير النزعات والرغبات المكبوتة التي تعكس أحاسيسه وخيالاته .

وقد تشير هذه المخالفات والانحرافات إلى تناقض وجداني عند الشاعر، وهذه ظاهرة أساسية ناتجة عن المزاج العصبي الخاص أو الشعور الجمعي .

المحور الثاني : عوامل التأثير النفسي

إن التفسير النفسي يمكنه المطابقة بين حياة الشاعر الواقعية، وأحاسيسه الداخلية، وأعماله، إذ ليست العلاقة بين حياة الشاعر الخاصة وبين أعماله مجرد علاقة السبب بالنتيجة أو الجزء بالكل، فالأحاسيس والآراء والفضائل والرذائل في أعمال الشاعر، تنطبق على «الأنا» التي تتحدث عنه في القصيدة، فالعمل الفني يجسد حياة الشاعر الواقعية والسلوكية، أو قد يكون القناع أو الحلم أو الذات الضد (anti-self) التي تختفي وراءها شخصيته الحقيقية، وهذا بلا شك ما نلحظه في أشعار أحمد مطر، مما يؤكد أن هناك عوامل أثَّرتْ في تقلبات الشاعر الدينية، دعته إلى «الهو» وعدم الامتثال «للأنا الأعلى»، مما جعله بين لوم واستقامة حينا، وخارج نطاق الاستقامة حينا آخر، تمور به حركات كثيرة ودوافع تجعله مضطرباً، محاولاً كسر القيود التي ظلت عالقة في قلبه .

من أهم هذه العوامل النفسية المؤثرة في انحراف التناص الديني عند أحمد مطر :

1. الرفض: (Rejection)

عاش أحمد مطر رافضاً للواقع الذي يحمل الذل ويدعو إلى المهانة، رافعاً الاستقلالية والخروج شعاراً، يتحمَّلُ الوقوف منفرداً، مخالفاً لثرثرة الآخرين ، لتظهر هنا النرجسية في كثير من نصوصه، أعني «حالات الإعلاء والتسامي بواسطة الأنا» (فرويد، 1982 :50).

وفيه يتحايل «مطر» على النص القرآني ليصنع نصاً جديداً يُضاهي قضيته الواقعية، المعبرة عن المؤامرات الرخيصة الخادعة، رافضاً الاستكانة، مُعلناً (أنا اللهيب)، فلن تُعيدَ العروبةَ المؤتمراتُ الباردةُ التي تعج بالمصالح الشخصية، فيقول في قصيدة بعنوان « عاش .. يسقط»: (مطر،2011 :27)

يا قدسُ معذرة ومثلي ليس يعتذرُ
ما لي يدٌ في ما جرى فالأمرُ ما أمروا
.....
وأنا اللـهيبُ ... وقادتي المطرُ
فمتى سأستعرُ ؟!
....
وأقداحٌ يُعَرِّشُ فوقها الخَدَرُ
وموائدٌ من حولها بَقَرُ
... ويكونُ مؤتمرُ!
هزيٌ إليك بجذع مؤتمرٍ
يُسَاقط حولك الهَذَرُ
عاش اللـهيبُ
... ويسقطُ المطرُ!

يصنع الشاعر هنا صورة شعرية، معززاً إياها بالنصوص القرآنية دون حذر منه للانحراف، معتمداً على الإيقاع القرآني لحرف الراء الوارد في سورة «المدثر» مما له من انتشار صوتي واسع، واستغلاله كقافية لمقطوعته الشعرية، خالطاً بينها وبين سورة مريم ، وكأنه يريد أن يجعل لنفسه مرجعية تراثية .

فالرفض من القضايا النفسية التي شغلت الشاعر، والرفض في المنظور النفسي، هو: «إمكانية تملك الرغبات لدى الفرد تدفعه إلى المطالبة بحقوقه، مما سيقوده إلى الاصطدام بواقعه وعدم الاعتراف به من جهة، وعدم الاستسلام والتنازل عن نفسه من جهة أخرى» (لا بلاش، 1985 :262).

فالرفض مصطلح واسع يشمل: رفض الظلم، ورفض الاستسلام، ورفض الاستغلال، ورفض كل ما يبثُّ الآلام للإنسان.

وفي قصيدة أخرى يُعبر فيها الشاعر عن رفضه، عبر انحراف التناص الديني في معناه ومضمونه، يَدلُ على ذلك عُنوانُ قصيدتِه «قِلَّة أَدَب»: (مطر،2011 :13).

قرأتُ في القُرآنْ :
" تَبَّتْ يَدَا أَبي لـهَبْ "
فأعلنتْ وسائلُ الإذعانْ :
" إنَّ السُكوتَ من ذهبْ "
أَحبَبتُ فَقري ... لم أَزَلْ أَتْلُو :
وَتَبّ

" مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لَه وَمَا كَسَبْ "
فَصُودرَتْ حَنجَرَتي
بجُرمِ قلَّة أَدَبْ
وَصُودرَ القُرآنْ
لأنَّه .. حَرَّضَني عَلَى الشَّغَبْ !.

إن التعامل مع النص القرآني يجب أن يتسم بالحذر ، ويحتاج إلى ثقافة عالية متأنية في الاختيار الذي لا يتجاوز حدود التقديس والدين، ولكنه في هذه القصيدة التي «حاول فيها أن يقتبس من النص القرآني (تَبَّتْ يَدَا أَبي لهَب)، محاولا إعلان حالة الرفض، موضحا الصورة المقابلة التي قامت على الإذعان، بقوله (وسائل الإذعان)، تعبيراً عن الخضوع والتذلل للسلطة الحاكمة ، وقد اختار لوسائل الإذعان المقولة المشهورة (السُّكُوتُ مِنْ ذَهَب)، ... ويظل الشاعر يستمر في تناصِّه وفي رفضه أيضا ، رفض الواقع عبر آيات القرآن ، فيظل يقول (وَتَبَّ) ،(مَا أَغْنَى عَنْهُ مَا لُه وَمَا كَسَبَ)، إلا أن النتيجة الحتمية للرفض هي المصادرة، سواء مصادرة الحنجرة (الصوت)، أو القرآن (الدليل)» (الخفاجي، 2018: 198)، فكان الرفض والسخط في حالة السكوت والخنوع مُحفِّزَين لحالة المقاومة والثورة .

فالشاعر يستخدم بعض القصص التي جعلها متكئاً لرفض الخضوع والاستكانة، فيحرض أبناء الأمة على الثورة والمقاومة، معتمداً على الأنباء التي تكتظ بالأحزان والشكوى التي تغلغلت في وجدانه ووعيه، فجاء الرفض في صورة قوة وتهديد، فيقول في قصيدة «رؤيا إبراهيم» التي تشتمل على قصة فداء إسماعيل عليهما السلام: (مطر،2011 :23)

يا مَولانا إبرَاهيمْ
اغمدْ سكينَك للمقبض
واقبضْ أجرَك من أصحاب الفيلْ
لا تأخذْك الرأفةُ فيه
بدين البَيت الأبيَض
نفِّذْ رؤياك ولا تجنحْ للتأويلْ
لن ينزل كبشٌ... لا تأملْ بالتبديلْ
يا مولانا
إن لم تذبحْهُ نذبحْكَ
فهذا زمنٌ آخر
يُفدى فيه الكبشُ
بإسماعيلْ !

فالقصيدة تحمل أفكاراً تُوحي بجانب نضالي وثوري يرفض الاستكانة والخنوع، وبها أفكار أخرى غير ممنهجة من الناحية العقائدية، أو النزعات الدينية في صورة كبت لأفكار حقيقية ، كان متنفسها الوحيد انحراف الشاعر عن الأصل، كقوله: (واقبض أجرك من أصحاب الفيلْ – بدين البيت الأبيض)، مما يؤكد على ثنائية الأنا، «فبينما يقوم الأنا على الأخص بتمثيل العالم الخارجي، أي الواقع ، يقوم الأنا الأعلى على العكس من ذلك ، بتمثيل العالم الداخلي ... لكي نفهم أن الصراع الذي ينشب بين الأنا، والأنا المثالي، إنما هو يعكس في نهاية الأمر الخلاف بين ما هو واقعي، وما هو نفسي، أي بين العالم الخارجي والعالم الداخلي» (فرويد،1982: 60).

ولكي يبرهن على قضيته النضالية ، أتى بصورة جديدة من استخدام التناص القرآني، وهو تناص الضِّدُّ، فلقد استعمل قصة الفداء على عكس صورتها القرآنية ، فالحماسة جعلت الشاعر يقلب الحقائق وفق قضيته خلافاً لواقع النص القرآني، فحبُّ الوطن لا يعطي الشاعر الحق في قلب الحقائق القرآنية، وإن كان هذا يعد من صور الابتكار الجديدة لأحمد مطر .

فمن أجل أن يضفي على نصه لمسة جمالية، أو يمنحه عنصر المصداقية، يأتي مازجاً بين النصوص القرآنية وكلماته النضالية، ويخوض في السور لاستعمال الآيات القرآنية، ووضعها في غير موضعها، مبرراً ذلك بعنصره النفسي، وما يحمله من هموم الأمة والرفض للواقع ، فيقول مستخدماً الاستفهام في صورة الرفض، في قصيدة «إذَا الضَّحايَا سُئِلَتْ»: (مطر،2011 :58)

إذَا الضَّحايا سُئِلَتْ
بأَيِّ ذَنب قُتِلَتْ ؟
لانتفضتْ أشلاؤها وجَلْجَلَتْ :
بذنب شَعب مُخلص
لقائد عَميلْ

يلاحظ من خلال النص ما تحمله الأفكار من عملية الكبت ، فنذهب إلى «أن القوة التي سبَّبت الكبت وعملت على استمراره إنما تظهر لنا في أثناء التحليل في صورة مقاومة» (فرويد،1982: 27 – 28)، فعندما يعرض الشاعر النص القرآني أو يستشهد تجده غير مقصود لذاته ، وإنما أراد ظهور أفكار مكبوتة نفَّس عنها من خلاله .

2. الغضب والتمرد :(Anger and rebellion)

الغضب والتمرد من العناصر الخاصة التي أشعلت غريزة الانتقام، والثورة لتعزيز الشحنة النفسية المتجهة نحو قضية المقاومة، وهذا يؤكد وجود مراحل سابقة تحوَّل فيها الحب إلى غضب وتمرد وكراهية ، وهذا «التحول يحدث عن طريق نقل الشحنة النفسية على سبيل رد الفعل، وبهذا التحول تنسحب الطاقة من دافع الحب وتنضم إلى دافع العدوان»(فرويد،1982: 71).

فهو شاعر نضالي يعلن تمرده وغضبه صارخاً بأعلى صوته معلناً الثورة والمقاومة، يؤمن بالتمرد لا الخضوع، ويلجأ إلى المقاومة لا الهروب، يفجِّر قضايا واقعية صادقة، ومن هنا أخذ يخاطب الأمة بأسلوب ساخر غاضب ، يغلب عليه الوضوح والإيجاز والبساطة، «وقد نجح الشاعر في التماهي مع نصوص من القرآن الكريم، لخلق مفارقة بين الأجواء النفسية للآيات والجو النفسي لواقع الحُكَّام» (فؤاد، 2004: 13).

فيقول ساخراً غاضباً في قصيدة «الثَّورِ والحَظِيرة»: (مطر،2011 :21)

الثَّورُ فرَّ من حَظيرة البقرْ
الثور فرْ
فثارت العجول في الحظيرةْ
تبكي فرار قائد المسيرةْ
وشُكِّلتْ على الأثرْ
محكمةٌ ... ومؤتمرْ
فقال قائلٌ : قضاءٌ وقدرْ
وقائل : لقد كَفَرْ
وقائل : إلى سَقَرْ

فالشاعر يعيش مأساة داخلية حقيقية تتمثل في الحزن والغضب، ومأساة خارجية واقعية تتمثل في هموم الأمة، لذا تجده يقحم الآيات القرآنية – كما هنا في سورة المدثر – داخل نصه الشعري ليكسبه مصداقية .

ففي هذا النص تتضح روح الثورة والغضب، ويبدو ألمه وامتعاضه من الحُكَّام الذين يتساهلون ولا يبالون، يخدعون الناس لترويج مفاسدهم، أو للخضوع والاستسلام، محاكياً لغة القرآن، التي لا ضير، ولكنها لا تزيد السامع إلا قلقاً واضطراباً لإقحامها داخل النص الشعري، فقيرةً إلى الإبداع والجمال، أقل ما يقال فيها : استخدام غير ناجٍ للنص المقدس من اللبس والخلط .

ويستحضر في قصيدة أخرى تناصاً منحرفاً يحمل مدلولا يكسب شعره التداخل والمفارقة، متمثلا آخر سورة الكهف، صانعاً من آياتها حواراً يجريه على لسانه كي يصنع لنفسه مجْداً مقتبساً من السرد القرآني في قالبه الشعري، فيقول في قصيدته بعنوان «إعجاز» (مطر،2011 :107)

لَو البِحَارُ أصبحتْ
جميعُها دواةٌ
لو شجرُ الغابات
صارتْ جميعاً قلماً
ما نَفَدَتْ إفادتي
لدى المخَابَرات !.

«ويتميز أحمد مطر بشجاعة نادرة يفسرها بهستيريا الحرب التي تعتري أجبن الناس في ميادين القتال، فطول معاشرته للخوف جعله داجنًا بالنسبة إليه يتجاهل وجوده ويسخر منه» (فؤاد، 2004: 21).

فالشاعر – في هذه القصيدة – يجاهد في إثبات الذات «الأنا» دون الاعتراف بالعجز أو الهزيمة أو التنازل عن مبدئه الذي سلكه في المقاومة والنضال .

ويقول في قصيدة عَنونَ لها – مُتعمِّداً – بآية قرآنية، وهي لا ﴿أقسم بهذا البلد﴾ متجاوزا حدَّ التقديس والتنزيه، ليس هذا فحسب بل يعنون لها بآية من سورة (البلد)، ويتلاعب بألفاظ من سورة (الطور)، بصورة تحمل من الخلط والعبث ما يدعو الدَّاعي إلى الغضب الديني، قائلاً: (مطر،2011 :126)

والطُّورْ
والمخْبر المسعُورْ
والحَبْلِ والسَّاطورْ
ونَحْرنَا المشنُوق والمنحُورْ
خُطَى المنايا في البَرايا دائِرةْ
....
والزُّور
والحاكمينَ العور
وشعبنا المغدور
إنَّ المنايا في البَرايا دائِرةْ
.....
والسور
والوطن المأسور
والدم والدِّيْجور
إنَّ المنايا في البَرايا دائِرةْ
.....

فلقد تغلب «الهو»– في هذه القصيدة – على شخصية الشاعر، فجعل نزعته الانحرافية غالبة على أعماله الطبيعية في النص القرآني، فمن الإنسانية مراعاة طبيعة القران الكريم، «فالهو لا يقيم وزنا للمنطق والتفكير العقلاني، بل يتسم بالبهيمية التي لا تعترف بالواقع أو العقلانية» (طه ،1978).

فهو في هذه اللافتات يعبر عن حالته النفسية، وما يطرأ على ساحتها من اليأس والغضب والهم والحزن، محاولاً استنهاض الهمم، محذراً تارة ومستنجداً تارةً أخرى .

ويلتمس أحد الباحثين له عذراً فيقول في وصف استلهامه بعض نصوص القرآن وكيفية توظيفها: «وإنما كان توظيفه لنصوص وآيات ومفردات قرآنية توظيفاً جديداً ... فلم يستعمل المفردة أو النص أو القصة القرآنية لتقوية معانيه الشعرية فقط ، وإنما كان يخرج من خلال ذلك الاستعمال إلى دلالات جديدة، قد تكون دلالات مخالفة للمعاني القرآنية أحياناً؛ لأنها مبنية على أسلوب المفارقة والسخرية» (المنصوري، 2012 : 73)، ولكن هذا لا يعطيه الحق في جعل القرآن وعاء يجمع فيه الغث والثمين .

3. اليأس والاستسلام :(despair and surrender)

اليأس والاستسلام حالة نفسية تتخطى كل عناصر الإدراك الحسي الداخلي والخارجي والديني ، تزيد وتنقص حسب مقدار الأوجاع والإحباط والآلام التي تسيطر على الشاعر أحمد مطر، بسبب همه أو حزنه ؛ فتثور ثورته الداخلية وتشتعل شحنته النفسية، فيلجأ إلى استدعاء قصة دينية لتوظيفها في شعره من أجل خدمة الغرض دون مراعاة منه للمخالفة .

ففي قصيدة يملؤها اليأس بعنوان «قف ورتل سورة النسف على رأس الوثن» يستحضر الشاعر قصة هجرة النبي – صلى الله عليه وسلم– ومحاولة المشركين القضاء على دعوته، مستحضراً كل ملابسات الهجرة من محاولة قتله، ثم خروجه مع صاحبه، وترك عليّ بن أبي طالب – رضي الله عنه – في فراشه، ثم سيره في الصحراء ، والغار، والعنكبوت ، والحمامة، ثم استقبال الأنصار بالدفوف احتفاءً بقدومه، فيقول محوِّراً النص تحويراً يُنافي الأصل، مُسرِّبا إلى النص القرآني كلمات لا تليق بجلاله وعظمته، سواء أكان هذا مقصودا أم غير مقصود، فهذا – من وجهة نظري – لا يعد ذكاء أو تميُّزا أو فطنة منه، وإن كان قد سبقه في هذا الشأن شعراء آخرون، فالتناص لا يمنع أي شاعر من اقتباس أو تغيير أو إعادة لا تفسد المعنى أو لتتماشى وفق متطلباته الفكرية أو الجمالية، ولكن مطر أفقد النص رونقه الديني، فقال يَائساً مُحذِّراً: (مطر،2011 :49 – 50)

لا تُهاجر
كلُّ مَن حولك غادرْ
كلُّ ما حولك غادرْ
لا تدعْ نفسَك تدري بنواياك الدَّفينةْ
وعلى نفسك من نفسك حاذرْ
هذه الصحراء ما عادت أمينَةْ
هذه الصحراءُ في صحرائِها الكبرى

سَجينَةْ

.....
وقفتْ خمَسونَ قَينةْ
حَسْبَمَا تَقضي الأوامرْ
تضربُ الدُّفَ وتشدو:
أنتَ مَجنونٌ وساحرْ !
لا تُهاجِرْ
أينَ تَمضي ؟
رَقَمُ النَّاقَةِ مَعروفٌ
وَأوصافُكَ في كُلِّ المَخَافِرْ
.....
امضِ – إن شئْتَ – وَحيداَ
لا تَسَلْ : أينَ الرِّجالْ
كلُّ أصحَابكَ رَهْنُ الاعتْقالْ !
فالذي نَامَ بمأوَاكَ أجيرٌ مُتآمِرْ
ورَفيقُ الدَّربِ جَاسوسٌ ... عَمِيلٌ للدَّوائِر
وابنُ مَنْ نَامَتْ عَلَى جَمْرِ الرِّمَالْ
في سَبيلِ الله
كَافِرْ!
نَدِمُوا من غيرِ ضَغطٍ
وَأَقرُّوا بالضَّلالْ
....
امضِ – إن شئْتَ – وَحيداَ
أنتَ مَقتولٌ عَلى أيَّة حَالْ
سَتَرى غَاراً فَلا تمْشِ أمَامَهْ
ذَلكَ الغارُ كَمينٌ
يَخْتَفي حينَ تَفوتْ
وتَرَى لُغْماً عَلى شَكْلِ حَمامَهْ
وَتَرى آلةَ تَسجيل
عَلَى هَيئَةِ بَيتِ العَنكبوتْ
تَلْقُطُ الكلمَةَ حَتَّى في السُكوتْ
...
أنتَ مَطلوبٌ عَلى كُلِّ المحَاوِرْ
لا تُهاجِرْ
اركبْ النَاقَةَ واشْحنْ أَلْفَ طِنْ
قفْ كَما أنتَ
وَرَتِّلْ سُورَةَ النَّسْف.

فلقد شغلت القضية الفلسطينية الشاعر وحازت على مساحة كبيرة من مشاعره وأشعاره ، فانطوت نصوصه على دلالات إيحائية وأبعاد نفسية، «فمن تتبع النصوص القرآنية التي تناص معها شعراء المقاومة العربية يدرك أنها تتماشى مع أجواء المقاومة وأبعادها، وما يتولد عنها من واقع مؤلم يعيشه الشعب المقاوم إلى جانب ملاءمتها لمواقف الشعراء ورؤيتهم الفكرية التي يرون الإفضاء بها؛ إذ يشكل التناص القرآني في شعر المقاومة محوراً أساسياً في نسيجه» (حمدان، 2002 : 82).

ومما يحمدُ لأحمد مطر جعله القرآن الكريم هو منهله العذب لأفكاره ، والركن الرشيد لمعانيه ، والمصدر الذي منه يستلهم سواء على مستوى الدلالة أو على مستوى الصياغة بالاتفاق أو الاختلاف؛ لما يمثله القرآن الكريم من ثراء متجدد بطبيعة معانيه أو بمفارقتها.

فالقصيدة تصور جواً مأساوياً يملؤه الخوف، وتعكس ما يعانيه الشاعر من إحباط ويأس مع إصرار عميق منه على أن يكون مستقلا يعبر عن نفسه وتجربته بصدق ومواجهة وحرية، فيقارن بين حادثة تاريخية وبين وضعه الحالي، لما بينهما من أسباب متشابهة وأهداف .

وتحمل القصيدة – أيضاً–معنى الاغتراب المشترك ، يعانيه داخل نفسه ومجتمعه ، ففقدان الوطن والمطاردة والاضطهاد يُعدُّ اغترابا، سواء أكان اغترابا حسيا أم معنويا، فـ «الاغتراب معنى اجتماعي لا يمكن أن يتم من دون مشاعر نفسية» (خليفة، 2003 :32)، وفيها أيضا شكوى مبطنة يبثها الشاعر ليفضح بها تصرفات أنظمة القمع التي تمنعه حتى من الحراك أو التفكير بصوت مجهور .

وفي قصيدة «الأمل الباقي « يَمتَعِضُ الشاعر من الحُكَّام، ويأس من أمرهم، ويموت الأمل الباقي عنده، فيطوف خياله خارج نطاق التقديس، فيتخطى مقاصد العقيدة، ويفوح بعطر المعاني القرآنية فيقول: (مطر،2011 :123)

وَدَعَوْنَا أنْ تَمُوتُوا
فإذَا بالموتُ منْ رُؤيَتكُمْ مَيْتٌ
وحَتَّى قَابضُ الأرواحِ
منْ أرْوَاحِكُمْ مُنْقَبِضُ
وَهَرَبْنا نَحْو بَيتِ الله منْكُمْ
فَإذَا في البَيت ... بيتٌ أَبيضُ
وإذا آخرُ دَعْوانَا... سلاحٌ أَبْيَضُ

يبلغ اليأس مداه، والمأساة ذروتها في وجدان الشاعر عندما يتداعى الخيال ، ويرسم صورة الموت من أجل تحقيق الأماني ، ولكن أنَّى له ذلك في ظل أنظمة قمع ظالمة ، تلحق التهم ، وتسلب الحقوق .

ومن قصائده التي تحمل اليأس ، قصيدة «القرصان " التي حاكى فيها قصة النبي – صلى الله عليه وسلم – في رحلة الإسراء، خارجاً على النص متأثراً بديناميته العقلية[1]، فيقول: (مطر،2011 :25)

بَنَيْنَا من ضَحايا أمْسنَا جسرا
وقَدَّمْنا ضَحايَا يَومنا نَذْرا
لنلْقَى في غَدٍ نَصْرا
وَيمَّمنَا إلى المَسْرَى
وكدنَا نَبلغُ المسْرَى
وَلكن قامَ عَبدُ الذَّات
يَدْعو قائلاً : صَبْرا
فَألْقَينَا بِباب الصَّبْر قَتْلانا
وَقُلنَا : إنَّه أَدْرَى
.....
وعَبدُ الذَّات
لم يُرجِعْ لَنا من أرضنَا شبرا

(1) الدينامية العقلية: تعني التفاعل بين القوى والدوافع المختلفة في الإنسان، وما ينتج عن ذلك من تأثير في السلوك. انظر: فرويد، سيجمند، الأنا والهُو، صـ 27.

ولمْ يَضْمَنْ لِقَتْلانَا بِها قَبْرا
ولمْ يُلْقِ العِدا في البَحْرِ
بَلْ أَلْقَى دمَانا وَامْتطَى البَحْرَا
فَسُبْحَانَ الذي أسْرَى
بِعَبْدِ الذَّاتِ

فهو يستحضر بهذه القصة صورةً معاصرة أراد التعبير عنها بأسلوب معاكس لما جاء في الأصل، وكأنه يعقد مقارنة بين الماضي والحاضر في صورة سلبية، وهو أسلوب يرفضه النقد الديني، إلا أن الشاعر عبَّر عن يأسه، واستهجن المستعمر، ولام أبناء وطنه على الغدر والخيانة (لم يُرجِعْ لَنا من أرضنَا شبرا – أَلْقَى دمَانا وَامْتطَى البَحْرَ)، ويُبدي ألمه إلا أن النصوص المعبرة قابلة للنقد؛ لعدم مناسبتها لموقفها الغائب، ومخالفتها له شكلا ومضمونا .

فنجد أحمد مطر يجنح أحيانا إلى أفكار تتعلق بضرورات دينية، يجب عليه أن يتجنبها ، كعملية التشخيص لذات النبي – صلى الله عليه وسلم – ووصفه بعبد الذات في الأبيات السابقة، معبراً تعبيراً مغالطاً لما ورد في أصل النص .

4. السخرية : (Irony)

قد يلجأ الشاعر إلى السخرية عن وعي وتعمُّد، فقد تكون السبيل الأوحد لتصوير حالة ما، فهي تمتلك بُعداً نفسياً خاصاً لدى المبدع والمتلقي، قد تشعر عند قراءتها أنك حيال نكتة أو نتفة أدبية، في إيحائها عدوانية أو كراهية، في باطنها حالات من اليأس والحزن والأنين الذي ينفذ إلى العقل والقلب معا .

هي «طريقة من طرق التعبير، يستعمل فيها الشخص ألفاظا تقلب المعنى إلى عكس ما يقصده المتكلم حقيقة، وهي صورة من صور الفكاهة، تعرض السلوك المعوج أو الأخطار، التي إن فطن إليها وعرفها فنَّانٌ موهوب تمام المعرفة وأحسن عرضها تكون حينئذ في يده سلاحاً مميتاً» (حسين، 1978 : 13).

وما الصور الكاريكاتيرية التي نراها على صفحات المجلات إلا نوع من هذا النسيج الأدبي الصامت الساخر، ولا يستبعد أن يكون مطر اكتسب هذه الموهبة من زميله وصديقة ناجي العلي الرسام الكاريكاتيري الموهوب، أو على الأقل كان له يد في تطورها عنده.

وقال كاتب آخر «هي طريقة في التهكم المرير والتَّنَدُّر أو الهجاء، الذي يظهر فيه المعنى بعكس ما يظنه الإنسان، وربما كانت أعظم صور البلاغة عُنفاً وإخافةً وفتكاً» (حسين، 1978 : 14).

وقد أبان المازني عن أن الهزل، الذي تتسم به السخرية إنما يحمل في باطنه الجد، وأن الساخر لا يقصد إلى الهزل في ذاته، فإن هزله أبداً مبطنٌ بالجد (المازني، 2012: 252)، ويعبر عن حالة نفسية داخلية للشاعر، تحمل بواعث ودوافع مقصودة .

ولا يغيب أن للشاعر أحمد مطر منتدى يسمى (الساخر)، له فيه لقاءات مع الموقع، رد فيه على أسئلة بعض السائلين عن سخريته وغربته ووطنه ونضاله .... وغيرها .

فقد يظهر مطر هادئا من الخارج عند سخريته، وفي باطنه بركان يغلي من الحزن والغضب، يحدثنا في حوار ساخر عن اليهود في علاقتهم بأصحاب الديار من الفلسطينيين: أن اليهود قرروا ألا يعطوا الفلسطينيين سوى شبرين من أرضهم: أحدهما للشرطة، والآخر للمسلخ لتوضع فيه أسلحة الحراسة، فيقول في قصيدته بعنوان «الدولة»: (مطر،2011 :198)

قَالتْ خَيْبرْ
شبران .. ولا تَطلُبْ أكثَرْ
لا تَطمَعْ في وَطَنٍ أكبَرْ
هَذا يَكفي
الشُّرطةُ في الشِّبرِ الأيمَن
والمسلَخُ في الشِّبْرِ الأيسَرْ
إنَّا أعطيناكَ " المخفَرْ "!
" فَتَفَرَّغْ لحمَاسِ وانحَرْ "
إنَّ النَّحرَ على أيديكَ ..سيَغدُو أيسَرْ

إن تناول الشاعر للكلمات القرآنية بهذا الأسلوب الساخر دون مراعاة منه قداسة النص، أو المحافظة على أصله دون قلب أو خلط ، ومع ما تحمله الأبيات من مخالفة دينية لجرأة الشاعر على النصوص القرآنية ، إلا أنه يصور وجوه التناقض على أرض الواقع، فالمالك لا يملك ، والمحتل يسيطر.

وفي قصيدة أخرى بلغ الشاعر مبلغا كبيرا في السخرية بالحكَّام، سخَّر كل طاقاته الإبداعية والفنية في الوصول إلى هذه الغاية ، فاختار منذ البداية عنواناً ساخراً «وَصَايَا البَغْلِ المسْتَنيْرِ» جاعلاً البغل المستنير ناصحاً للبغل الفتيِّ ، ولكنه تجاوز الحدود، وتعدى خصائص التقديس، ففيها يتناول نبيّاً من الأنبياء في موطن استخفاف، واستهزاء وسياق ساخر هزلي، فيُسيء توظيف النص متعمداً ذلك لغرض خدمة مناخ قضيته، وترويج بضاعته المطروحة، وفكرته في الإسهام الوطني دون أدنى مراعاة لموروثه الديني، مخالفاً بذلك كل مقاصد العقيدة ورؤى الشريعة، إذ كيف يجرأ على نقل الكلام على لسان بغل ينصح بغلا آخر، ولا شك أن التعمد في مثل هذه المواقف قد تضع الشاعر في دائرة الشك في معتقده، لعدم احترامه قداسة اللفظ، ووضعه في مواضع الامتهان والسخرية، فيقول: (مطر،2011 :199)

قَالَ بَغْلٌ مُسْتَنيرٌ وَاعِظاً بَغْلاً فَتِيّا :

يَا فَتَى اصْغ إلَيّا ..
إنَّما كَانَ أبُوكَ امْرأ سَوْء
وكَذَا أُمُّكَ قد كانتْ بَغِيّا
أنتَ بَغْلٌ
يَا فَتى .. والبَغْلُ نَغْلٌ[1]
فَاحْذَرِ الظَّنَّ بأنَّ اللهَ سَوَّاكَ نَبِيّا
يَا فَتَى .. أنتَ غَبِيٌّ
حكمةُ اللهِ ، لأمرٍ ما، أرادَتْكَ غَبِيّا
فَاقبلِ النُّصْحَ
تَكُنْ بالنُّصْحِ مَرضِيّا رَضِيّا

فكان لابد على أحمد مطر أن ينتقي شخصياته المُعبِّرة عن مواقفه، «لذلك لم يأت التواصل بشخصيات الأنبياء عشوائيا، بل برز فيه عنصر الانتقاء بحيث تنجح الشخصية المنتقاة في التعبير عن أبعاد التجربة والمعاناة التي يمر الشاعر بها على الصعيدين الفردي والاجتماعي» (الخضور، 2007: 58).

(1) والنَّغْلُ: يقال نغُل المولود: إذا ولد عن زنى، وولد نغِلٌ: فاسد النسب، ونغل الجرح: فسد.

فلقد استخدم الشاعر شخصية عيسى – عليه السلام – استخداماً مغالطاً، سالكاً طريقاً يتعارض مع النص الأصلي في السياق القرآني، وكأنه يعيد قصة قديمة امتصَّ أحداثها ليصوِّر موقفاً عصرياً اندلع بداخله، أراد أن يحكي عنه بأسلوبه وفلسفته في ظل المقاومة، فيستعيد أحداث القصة في صورة مقلوبة الأبعاد لتجسيد قضيته .

فكان على أحمد مطر أن يجعل «الدين في هذا السياق نظاماً تصويرياً رمزياً يبلوره الذهن للتكيُّف مع مجموع القيم المشتركة» (أكوافيفا، وإنزوباتشي، 2011: 66)، ولكنه لم يفعل، لذلك جاءت هويتُه الدينية مُشَتَّتةً، رغم إثرائها وتعاظم دلالتها الثورية.

ويستمر تجرُّؤ الشاعر فيتعمد محاكاة النسق القرآني، وعرضه داخل نظمه الشعري في صورة متشابكة متلاحمة مع تغيير دلالته في نسيجه الأصلي دون حاجةٍ إلى مثل هذه التبادلات أو التلاحمات، فيستمر في السخرية من الحُكَّام، فيقول في قصيدة بعنوان «إِنْصَافُ الأَنْصَاف»: (مطر،2011 :160)

الأسى آس لما نَلْقَاهُ
والحزنُ حَزِينْ
نَزرَعُ الأرضَ .. ونَغفُو جَائعينْ
نَحمِلُ الماءَ ... ونَمشِي ظَامِئينْ
.....
وَأميرُ المؤمنينْ
مُنصفٌ في قِسْمَةِ المالِ
فَنصفٌ لجواريه
ونَصفٌ لَذَوِيه الجَائرينْ
وابنُهُ – وَهْوَ جَنينْ–
يَتَقاضَى رَاتباً
أكبرَ من راتبِ أَهْلِي أجمعينْ
في مَدَى عَشْرِ سِنِينْ
رَبَّنا .. هَل نحنُ من مَاءٍ مَهِينْ
وابنُهُ من بيبسي كُولا ؟!
رَبَّنَا .. هَلْ نَحنُ من وَحلٍ وَطِينْ
وَابنُهُ من « أسْبِرِينْ «؟.
رَبَّنا .. في أيِّ دِينْ
تَملكُ النُطفَةَ في البَنكِ رَصيداً
وألوفُ الكَادحينْ
يَسْتدينونَ لِصَرْفِ الدَّائنينْ ؟

فكثيراً ما يُهاجم أحمد مطر القادة ويهجو تخاذلهم ومساندتهم للاحتلال ، مستنداً على آيات قرآنية كضرب من ضروب الإقناع، محرِّفاً معناها ومناقضا لمحتواها، معتقدا وظيفة يريد بها تقوية النص، فـ «الأدب بكل مكوناته الشعرية والنثرية لم يكن بمنأى عن أجواء المقاومة وتجلياتها...في الوقت الذي فضح فيه الوجه البشع للاحتلال، وسياسته التدميرية، وانتقاد مفاسد الواقع، وانحراف القادة عن الهدف» (حمدان، 2002 : 82).

فالقصيدة هنا تعبر عن وضاعة الفعل وتحقيره، وتبرز السخرية في صورة تناصية منحرفة، تتباين أهدافها الاجتماعية عن طريق انعكاس الأحاسيس والخيالات داخل الشاعر .

«إن السخرية حس أصيل في الإنسان، قد تبرزها العوامل الخارجية موهبة، إن استثمرها صاحبها ووجهها الوجهة الأدبية التي تستحق، والمتلقي من جهة أخرى، يكون طرفا آخر في إبداع السخرية، فلابد له من تملك الحس الساخر ومعرفة مراميه، لتكتمل لديه اللوحة الساخرة، بكل ظلالها وتفاصيلها» (العفيف، 2016: 2445).

5. القلق والاضطراب :(Stress and disorder)

كان الاضطهادُ، والمطاردة، والاغتراب من الدوافع التي أدَّت إلى التوتر، والاضطراب عند مطر، فحاول إثبات ذاته عن طريق المخالفة الحقيقية للنص القرآني؛ للفت الانتباه أو للرد بقسوة عما في نفسه من توتر وقلق.

والقلق ينشأ حين يكون «الأنا» تحت الضغط، فالقلق الحقيقي هو الخوف من مخاطر الحياة، وهو كعلامة تحذير يخدم الشخص، ويعلن أن الموقف داخل الشخصية ليس كما ينبغي أن يكون (زارع، و كوثري، 2018: 410).

ففي قصيدة «عَلامَات عَلى الطَّرِيق»، يعبر عن التيه والقلق ، مصوراً مشهداً أمام جحافل الغزاة، الذين قمعوا الحريات، فيقول: (مطر،2011 :41)

تُهْتُ عَن بَيتِ صَدِيقي
فَسَألتُ العَابِرِينْ
قيلَ لي : امْشِ يَساراً
سَتَرى خَلْفَكَ بعضَ المخبرينْ
حدْ لَدى أوَّلهمْ
سَوفَ تُلاقي مُخْبراً
يَعْمَلُ في نَصْبٍ كَمينْ
اتَّجِهْ للمخبرِ البَادي أمَامَ المخبرِ
الكَامِن
واحْسَبْ سَبعةً ... ثمَّ تَوَقَّفْ
تَجِد البَيتَ وَرَاءَ المخبرِ الثَّامِنِ
في أَقْصَى اليَمينْ
حَفِظَ اللهُ أميرَ المُخبرينْ
فَلَقَدْ أَتْخَمَ بالأَمْنِ بِلادَ المُسلمينْ
أيُّها النَّاسُ اطمَئِنُّوا
هذه أبوابُكُم محروسةٌ في كُلِّ حِينْ
فادْخُلوها بسلَام .... آمنينْ !.

فالشاعر هنا يُوصلُ الإحساس الداخلي بحلقات ربط خارجية، ماثلة في الاضطراب الذي يمثل الإدراكات الحسية الخارجية، من خلال اللفظ الخارجي الذي يعبر به الشاعر عن حالته الوجدانية بالصورة اللفظية، فلقد «أصبح الدور الذي تلعبه الصورة اللفظية واضحا، فبوساطتها تتحول العمليات الفكرية الداخلية إلى إدراكات حسية ...وفي بعض الأحيان تزداد شدة الشحنة النفسية الخاصة بعملية التفكير، وفي هذه الحالة تُدرَك الأفكار في الواقع – كأنها آتية من الخارج – وهي تؤخذ تبعا لذلك على أنها إدراكات حسية حقيقية» (فرويد،1982: 39 – 40).

وفي قصيدة عنون لها بآية من آيات القرآن الكريم ﴿أَيْنَ المَفَرُّ﴾، يقول معبراً عن الاضطراب النفسي بسبب فقدان الإرادة، فكل

شيء مُؤَمَّم حتى القضاء والقدر: (مطر،2011 :43)

لَيْسَ منَ الموْتِ مَفَرْ
يَا رَبَّنَا
لا تَلُم الميتَ في أوطاننَا إذا انتَحَرْ
فَكُلُّ شَيءٍ عندَنا مُؤَمَّمٌ
حتَّى القَضَاءُ وَالقَدَرْ !

ويقول في قصيدة أخرى يملؤها القلق والاضطراب بعنوان «يوسف في بئر البترول «مستخدماً قصة يوسف عليه السلام في عرض قضيته، معبراً باللفظ القرآني ودورانه في القصة، ناقلاً للمعنى من حقيقته إلى معنى جديد...:(مطر،2011 :92 – 93)

سَبعُ سنابلَ خُضْرٍ من أعوامي
تَذوي يَابسةً
في كفِّ الأملِ الدَّامي
تضحكُ صُفرتُها من صَبري
وتموتُ فتَحيا آلامي
يا صاحبَ سجني نبِّئني
ما رُؤيا مأساتي هذي ؟!
فأنا في أوطان الخير
مَمنوعٌ مُنذ الميلاد منَ الأحلام
وأنا أسقي ربيِّ خَمراً
بيَدي اليُمنى
ويدي اليُسرى تتلقى أمرَ الإعدام

فالقلق والتوتر من البواعث التي أوغلت صدر الشاعر، فقمع الحريات، والقهر والاضطهاد، والخوف وعدم الشعور بالأمان ... وغيرها من الأمور التي داهمت الشاعر في كل مكان، جعلته يعيش حالة نفسية مضطربة، لا يشعر معها بالانطلاق أو السعادة التي تفتقدها لافتاته بسبب السنين العجاف التي تعيشها أمتنا الإسلامية.

فـ «الهو» إذا سيطر على الإنسان، ووافق اتجاهه النفسي وشعوره الداخلي، صنع المخالفات وجاء بالمهاترات دون أن يُبالي أو يراعي قداسة أو تراث أو أعراف أو تقاليد، فلقد وظَّف الشاعر قصة يوسف عليه السلام مع ما تحمله قصته من هجاء وسباب توظيفاً مخالفاً لقداسة القرآن الكريم .

ومع ما بها من صورة شعرية تحمل وجدانيات ملتهبة، إلا أنها تُعبر عن تحوُّل الشاعر من المعنى القرآني الغائب (البعيد) الذي يدل على قصة السيارة مع يوسف عليه السلام، إلا أن السيارة هنا (الحاضر) لا تعبأ به، بل تنهب خيراته وتتركه يدمي، وهو تصور فريد لتحوير المعنى ومفارقة الأصل إلى الضد .

فالشاعر هنا أساء تارة إلى النص القرآني وأحسن تارة أخرى، فـ « هناك توظيفات جاءت إيجابية ومنسجمة مع سياق القصيدة وكأنها لبنة من لبناتها، وأدت دورها في تعميق التجربة، وإكساب الموقف والشخصيات مزيداً من التكثيف والإيحاء، وهناك توظيفات أخرى وردت سلبية وسخيفة، لم تخدم فاعلية السياق أو الموقف على الصعيد الدلالي، فقصرت عن بلورة مواقف الشعراء، ورؤاهم الإنسانية» (ضرغام، 2009: 11).

المحور الثالث: الجانب الفني

لقد شاع استخدام التناص بجميع صوره، التي أحرزت منزلة رفيعة في الأدب المعاصر واستخدمها كثير من الشعراء عنصراً فنيّاً يضفي على الشعر بهاءً وصفاءً ومصداقية، ولا ينكر منكر أن مطر انحرف بتناصه، واستحضر بنصوصه المختلفة فضاءً جديداً أو علاقة توالدية مشفوعة بوجهة جديدة تدفعنا إلى النظر إلى ما تحمله هذه المعاني ومدى فاعليتها إيجاباً أو سلباً اتفاقاً أو اختلافاً، ولقد تعددت مصادر التناص وعناصره لديه بحكم تنوع المصادر التي نهل منها .

ومن أهم هذه المصادر :

1. **الأثر الديني: الذي يتمثل في** :

أ. **القرآن الكريم**: فالقرآن الكريم مصدرٌ غنيٌّ للتناص وللإلهام الشعري عند أحمد مطر على مستوى الدلالة والرؤية والمفارقة والانحراف.

ب. **الحديث النبوي**: سجل التناص في الحديث النبوي حضوراً غير بارز مقارنة بالتناص في القرآن الكريم.

ت. **قصص الرسل والأنبياء**: لقد شكلت القصة القرآنية منبعاً ثرياً، وعطاءً متجدداً، وملاذاً خصباً لأحمد مطر في لافتاته الشعرية للتعبير عما يجيش بخاطره من أفكار؛ فلجأ إليها يستلهم معانيها وأحداثها المختلفة محاولاً ربط أحداث حياته المعاصرة بها مما يعطي أشعاره القوة والتأثير رغم المغالطة والمخالفة .

ث. **الشخصيات الدينية** : إن استدعاء الشخصيات الدينية من أبرز صور التناص الديني في لافتاته ، بما تحمله من أبعاد دلالية وفنية وقيم إنسانية ، وبما تمثله الشخصية الدينية كرمز ديني مقدس من حضور في وجدانه مع قدرته على انتقاء الشخصيات المؤثرة البارزة .

2. **أثر المخالفة في التأثير والتأثر** :

تأثر كثير من الشعراء في العصر الحديث بالأفكار المطروحة على الساحة المعاصرة، ورُبطتْ محنةُ الإنسان بالخطاب الديني والإغراق في التأمل الدلالي بوصفه رمزاً من رموز المصداقية، فاستوحى أحمد مطر، وأحمد دحبور، وصابر عبد الدايم الأسلوب القرآني لتصوير ذلك، فاختاروا نصاً من سورة «العصر»، ثم انتقل كل منهم إلى سياق آخر في سورة أخرى ، مع خلط غريب بين السور، فينتقل مطر إلى سورة «التكوير»، ودحبور إلى سورة «الفجر»، متأثرا كل منهم بالآخر في صورة الانحراف المزدوج والتحوير المشترك، ويجمع مطر ودحبور قضية النضال الثوري، وعبد الدايم يرصد مسيرة الزعيم أحمد عُرابي، وتحديه للمستعمر الغاشم، والسلطة الظالمة، فيقول مطر في مقطوعته بعنوان «إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْر» (مطر،2011 :42)

وَالعَصْر
إنَّ الإنسانَ لَفي خُسر
في هَذا العَصرِ
فَإذا الصُّبحُ تَنَفَّسَ
أذَّنَ في الطرقَاتِ نِبَاحُ كلابِ القَصر
قَبلَ أذانِ الفَجْر

ويقول «دحبور»:(دحبور، 1973: 110)

وَالعَصر
وَلَيَالي عمَّان الأَيلُولِيَّات العَشْر
لَن يَفرحَ بالماء الظَّمْآن
مَادَامَتْ بِئرُكَ هَذي البِئْر

وصابر عبد الدايم : في نهاية قصيدته «المنفى داخل الوطن» يقول: (عبد الدايم، 1983: 41)

نُقْسم .. نُقْسم .. ثم نَعْبُد
وَالعَصْر إنَّ الإنسانَ لَفي خُسْر
إلَّا مَنْ وصَّى بالحقِّ وَحَاربَ من أجْلِ
النَّصر

فكل منهم أراد محاكاة الواقع وتصويره في أسلوب يحمل صورة تعكس نصاً تراثياً .

ويسلك مطر الدرب نفسه مشاركاً صابر عبد الدايم البُعد التجديدي، وما يدعو له أصحاب نظرية «الفن للفن»، في صورة تفتقر إلى البعد الديني، وتدعو إلى الاستغراب والتعجب، إذ كيف يجرؤ أي شخص على خلط كلامه بكلام الله تعالى، من أجل مقاومة، أو بُعد تجديدي، أو مشاركة الحداثة ؟! فيقول مطر في قصيدة بعنوان «لا أقسم بهذا البلد»(مطر،2011 :126)

وَالطُّورْ
والمخْبر المسْعُورْ
والحَبْل والسَّاطُورْ
ونَحْرنَا المَشنوق والمنْحُورْ
خُطَى المنَايَا فيَ البَرايَا دَائرةْ

ويقول صابر عبد الدايم من قصيدة «الفزع الأكبر» :(عبد الدايم، 1983: 38)

وَالطُّور * وكتَاب مَّسْطُور * في رَقٍّ
مَّنشُور
وَالْبَيْت الْمَعْمُور * وَالسَّقْف الْمَرْفُوع*
وَالْبَحْر الْمَسْجُور
والشَّعب المقْهُورْ
والأقْصَى المهْجُورْ
والقُدس المشْطُورْ
قَد جَاءَ الأمرُ وفَارَ التَّنُّورْ

فالنصوص الشعرية هنا تتداخل مع السرد القرآني، متضمنة بُعدا واقعيا يُعبر عن الشحنة النفسية المتجهة نحو القضية، وما تحمله من معاني القهر والذل في صورة دلالية جديدة .

ويتأثر صلاح عبد الصبور بالهجرة النبوية من مكة إلى المدينة، سالكاً درب أحمد مطر في انتزاع المعاني، والخروج عن المضمون، وتحوير الحادثة، وامتصاص دلالة المخالفة من بين الأحداث ، فيقول صلاح عبد الصبور :(عبد الصبور، 234 – 235)

لم أَتخيَّرْ وَاحداً من الصَّحَاب
لكَي يفْديني بنَفسه
فَكُلٌ مَا أُريدُ قَتلَ نَفسي الثَّقيلَة
ولمْ أُغادرْ في الفرَاشِ صَاحبي يُضللُ
الطُّلاب
فَليسَ مَن يَطلبني سوَى «أنَا» القَديم
سوخي إذَن في الرَّمل سيقَانُ النَّدَم
لا تَتبعيني نَحو مَهجَري، نَشدتك
الجَحيم

ويقول مطر في قصيدة له سبقت : (مطر،2011 :49 – 50)

امض – إن شئْتَ – وَحيداً
لا تَسَلْ : أَينَ الرِّجالْ
كلُّ أصحَابكَ رَهْنُ الاعتْقالْ !

فالشاعران هنا يستوحيان قصة الهجرة في إطار مخالف، ليعبرا عن المأساة في صورة مقطع سلبي يحمل البعد القديم في شكل متناقض متأثر كل منهما بالآخر .

ويستلهم أحمد مطر شخصية نبي الله موسى – عليه السلام – في قصيدته «أقزام طوال»، فيتعدى كل جرأة ، ويأتي بما لا يليق أن يصف به إنساناً عادياً فضلاً عن كونه نبيًّا من أنبياء الله له من التبجيل والتوقير والاحترام ما له، متأثراً بالدوافع الغريزية تجاه قضيته العدوانية، التي كُبِتَتْ في اللاشعور تَقِيَّةً ، فلجأ إلى طرائق أخرى للتنفيس عنها، «فالدوافع الغريزية في الواقع ما هي إلا ناتجٌ عن حالة من التوتر ينتج عنها إحساس بالألم» (فرويد،1982: 18)، ويشاركه في هذا التوظيف الشاعر «نزار قباني» في قصيدته «منشورات فدائية على جدران إسرائيل» كاسراً كل حدود التقديس، يقول مطر: (مطر،2011 : 76)

وَمُوسَى فَلَقَ البَحْرَ بأشْلاء العيالْ
وَلَدى فرعونَ قدْ حَطَّ الرِّحَالْ
ثُمَّ ألقَى الآيةَ الكُبرى
يداً بَيضاءَ ... من ذُلِّ السُّؤالْ
أَفْلَحَ السِّحْر .

يقول نزار :(قباني، 1983: 11)

لأنَّ مُوسَى قُطعتْ يَدَاه
ولمْ يُتقنْ فَنَّ السِّحْر
لأنَّ مُوسَى كَسرتْ عَصَاه
ولَمْ يَعُدْ بوسعه شَقَّ ميَاهَ البَحْر
لأنَّكُم لَستُمْ كأَمْريكَا وَلَسْنَا كَالهنُود
الحُمْر
فَسوفَ تُهلكُونَ عَن آخركُمْ
فَوقَ صَحاري مِصْر .

فمع مخالفة هؤلاء الشعراء، إلا أنهم أرادوا الاستناد على أدبيات وقواعد حية تقوم بتحريك بواعث الشعوب .

3. **الانحراف في الشكل** :

يتمثل الانحراف هنا في عناوين القصائد والعناوين العامة التي أطلق عليها اسم (لافتات)، وهي تحشد طاقة ثورية، وإشعال نيران المقاومة، وهذه المسميات جديدة في عالم الشعر تشير من طرف خفي إلى خطورة القضية، وما تحمله من رمزية وإيحاء، وما تتكبَّدُه من هموم وأحزان حقيقةً ومضموناً.

ومن المستهجن أن يعنون بعض لافتاته بآيات قرآنية، كعنوانه «إنَّ الإنْسَانَ لَفي خُسْر» (مطر،2011 :42)، وعنوانه «أَيْنَ المَفَرُّ» (مطر،2011 :43)، وعنوانه «لا أُقْسمُ بهَذَا البَلَد» (مطر،2011 :126)، وبعض الآيات التي يجعلها عنوانا يحوِّر

في جزء منها، كعنوانه «إِذَا الضَّحَايَا سُئِلَتْ» (مطر،2011 :58)، وعنوانه «فبأي آلاء الشعوب تكذبان» (مطر،2011 :48)، فهو لا يقصد بالمخالفة ذاتَ القرآن الكريم، بل محاولة منه لمعالجة الواقع في صورة تجذب الانتباه وتلفت الأنظار، والشاعر في مثل هذه التناقضات يتبع «الهو»؛ لأن «الهو لا يتبع قواعد الأخلاق على الإطلاق» (فرويد،1982: 87)، فالعنوان هنا يعبر عن أبعاد نفسية أسيرة بألفاظ دينية مختارة بمهارة، تحمل لوناً من الانحراف والخروج الديني، وتحمل في الوقت نفسه مسحة ثورية في سياقات تعبر عن النفس والوجدان .

وقد يلجأ مطر أحيانا إلى تكرار صور تحمل المعنى نفسه، مستمداً لها من واقع حياته المؤلم المأسوي ، فتجده يفتتح لافتاته 1 بعنوان «مدخل 1/12، ولافتات 2 بعنوان «البيان الثاني 2/52 ، ولافتات 3 بعنوان «الفاتحة 3/102، ولافتات 4 بعنوان «المبتدأ 4/141، ولافتات 5 بعنوان «إلى من لا يهمُّه الأمر، ولافتات 6 بعنوان «قبل أن نبدأ 6/222، ولافتات 7 بعنوان «المنطلق 7/265، تتوالى العناوين التي تعبر عن معنى واحد في العقل الباطن، فله في بداية كل لافتة معنى تناص ، يحركه شعور داخلي قبل الظهور، يعبر عن رغبته الخفية – في كل مرة – عن تَمَنِّيهِ «بداية حياة جديدة» دون اضطهاد أو خوف أو مطاردة أو محتل أو مغتصب، ومدى انعكاس الأحاسيس والمشاعر والخيالات داخله ، لتشابه الأحداث وتكرار الأفكار، وإن اختلف نص التناص إلا أنه يحاول تعزيز فكرته ، وإن كان لا يهتم بالمخالفة أو المغالطة بين النص القرآني (الغائب) ونص التناص (الحاضر)، كأنه يريد تفريغ طاقته الشعرية دون النظر لما يسود النص من إساءة وعدم تقديس، معبرا عن حالته النفسية وما تحمله من كراهية وغضب داخل نسيج الشاعر النفسي، «فهو منقاد لضغط نفسي يدفعه لتكرار الحديث عن قضية مرة بعد مرة أخرى؛ ليجد في ذلك نوعاً من التفريغ والتنفيس عن همومه» (الكبيسي، 1982: 182).

فليست العوالم الخارجية فقط هي التي تصنع لافتات أحمد مطر، بل العوالم النفسية تعيد صياغتها قبل خروجها لعالم الواقع، في صورة يشعر معها المتلقي بمدى الحزن والمواساة والألم المتدفق من أعماق القلوب، فتكرار الألفاظ واضح عند الشاعر مع وضوح الكلمات ودقة المعاني .

4. **الانحراف في التفعيلات** .

ركَّز الشاعر على استعمال البحور ذات التفعيلات القصيرة التي تروق للشعر الحر وشعر التفعيلة، وهي البحور التي تحمل سواكن كثيرة لتسمح للشاعر بحرية التحرك وبساطة التَّنفُّس، فالزحافات والعلل كثيرا ما تدخل هذه البحور .

ومما يحمد لأحمد مطر في لافتاته التقيُّدُ بتفعيلة واحدة داخل القصيدة وإن كان لا يتقيد بعدد محدد من التفعيلات في الشطر الواحد (أو كما يقال السطر الواحد)، فنجد التفعيلة ، أو التفعيلتين، أو ثلاث تفعيلات في الأشطر المختلفة، وهذه سمات الشعر الحر، وبهذا يحافظ على الموسيقا الشعرية من خلال تكرار التفعيلة نفسها، وهذه التفعيلة التي تتكرر قد تكون :

1. فاعلاتن – بحر الرمل – ولقد ظهرت في العديد من قصائده التي تحمل تناصا دينيا منحرفا عن طبيعته الغائبة في الأصل ، كما في قصائده (أقزام طوال 2/75 – الأمل الباقي 3/123 – إنصاف الأنصاف 4/160 – وصايا البغل المستنير 5/199)، وغيرها من القصائد.

2. مستفعلن – بحر الرجز– ، كما في قصائده (أين المفر 1/43– إذا الضحايا سئلت 2/58 – إعجاز 3/107) ... وغيرها.

3. مستفعلن مفعولات – بحر السريع ، كما في قصيدتيه (قلة أدب 1/13 –رؤيا إبراهيم 1/23)

4. متفاعلن – بحر الكامل – كما في قصيدتيه (عاش .. يسقط 1/27 – فبأي آلاء الشعوب تكذبان 1/48)

5. مفاعيلن – بحر الهزج– كما في قصيدته (القرصان 1/25).

استطاع من خلالها أن يقدم تجربته، وينشر قضيته، ويتجاوز المآزق بسيطرة «الأنا» على مجريات التفعيلة، من خلال تجربته الخاصة وما يصنعه من (تضمين بلاغي) لتفعيلاته ، فتجد الشطر لا يستقل بتفعيلاته بل يحتاج إلى الشطر الذي يليه لاستكمال التفعيلة، نلاحظ ذلك في كثير من قصائده، منها على سبيل المثال، قصائد (القرصان – أقزام طوال – فبأي آلاء الشعوب تكذبان) وغيرها، يقول في القرصان: (بحر الهزج)

- البيت الأول : وَلكن قا / مَ عَبدُ الذَّا / تِ
  مفاعيلن / مفاعيلن / مـ
- البيت الثاني : يَدْعو قا / ئِلاً : صَبْرا
  ـفاعيلن / مفاعيلن

وفي قصيدة أقزام طوال : (بحر الرمل)

- البيت الأول : وَلَدى فر / عونَ قدْ حـطَّ/ الرِّحَالْ
  فعلاتن / فاعلاتن / فاعلاتْ
- البيت الثاني : ثُمَّ ألقَى الـ/ آيةَ الكُبـ / ـر
  فاعلاتن / فاعلاتن / فـــ
- البيت الثالث : يداً بَيـ / ـضاءَ مِن ذُلٍّ/ السُّؤالْ
  ـعلاتن / فاعلاتن / فاعلاتْ
- البيت الرابع : أَفْلَحَ السِّحْـ/ ـر .
  فاعلاتن / فـــ

وفي قصيدة «فبأي آلاء الشعوب تكذبان»: (بحر الكامل)

عَفَتِ الحَرَا / ئِقُ ..
متفاعلن / متـــ
أَسْبَلَتْ / أَجْفَانَها / سُحْبُ الدُخَانْ
ـفاعلن / متفاعلن / متفاعلان
الكلُّ فانْ / متفاعلان

حاول الشاعر معالجة قضيته متسلِّقاً الموسيقا العربية، متحرراً من قيود البحور؛ مما أعطاه فرصة الإبداع الفني، كما تحمل قصائده مساحة من الانفتاح العروضي تجعله في فضاء دلالي جديد، مشفوع بوجهة نفسية وشحنة داخلية غير مسبوقة .

الخاتمة

الحمد لله رب العالمين ، والصلاة والسلام على خاتم الأنبياء وعلي آله وصحبه، ومن سار على دربه واقتفى أثره إلى يوم الدين . وبعد

إذا ما استعرضنا لافتات أحمد مطر الواردة في هذا البحث تطالعنا بعض النتائج والتوصيات ، منها:

1. حمل مطر على عاتقه القضية العربية ، فهي بؤرة الحدث الأهم الذي يريد التعبير عنه، رغبة منه في التأثير واستقرار المعنى في ذهن المتلقي ، فجاءت مخالفاته تحمل شحنة عالية وطاقة أكبر .

2. مال أحمد مطر إلى الشعبية في المعاني والأساليب والأوزان، والرغبة في السخرية والاستهزاء، وانحرافه الكامل من الفردية إلى الجماعية، وكثرة طرق المعاني السياسية والدينية والعقدية، وجنوحه إلى الهجاء الساخر «الكاريكاتيري «الذي شاع وانتشر في القرن العشرين .

3. جاء أحمد مطر بألفاظ قليلة نابية في بعض قصائده، وبتغَيُّرات إيمائية زجَّ بها في نصه الشعري خالطاً بينها وبين شحنته النفسية واللفظ القرآني المقدس .

4. شحذ الهمة في شعره إلى متابعة النضال، والمقاومة، وتعزِّيه بفقد بعض الأبطال والبلاد، والحث على البسالة واستمرار القتال والحماسة لاستعادة الأرض واسترداد المسلوب ، واستنهاض الهمم معتمداً على التناص القرآني المقلوب .

5. خرج جُلُّ شعره – شكلاً ومضموناً – عن أساليب الشعراء لولا أن البواعث في هذا العصر قد اختلفت عن بواعث القدماء، ولولا ذلك لخرج شعره عن الشاعرية .

6. عمد أحمد مطر إلى استدعاء اللفظ القرآني في سياق بيته الشعري مع التغيير والتحوير والانحراف أو التدخل الذي يمس قدسيته إلا أنه لم يقصد بالمخالفة ذات القرآن الكريم ، بل يعي جيدا ما يحرك شعور الشعوب، فقد كان حريصا على تناص الصورة مع صورة تراثية دينية لإقناع القارئ بالمضمون وتنبيهه لخفايا الأحداث التي من أجلها جاء التناص في صورته المقلوبة.

7. كان للافتات أحمد مطر دور فعال في نفسه، وفي إدراكه الداخلي بشعور المتلقي، فقد دعا إلى رفض الذل والمهانة، وأشار إلى مسؤولية الحكام تجاه الأمة، والسخرية والغضب والقلق، وغيرها من العوامل النفسية التي تركت أثرا نفسياً بسبب الشحنة الداخلية لدى الشاعر .

التوصيات :

1. ما زالت دلالات انزياحات التناص الديني وعدوله عن مرجعيته الدينية والتاريخية والقصصية إلى دلالات مستحدثة وسياقات جديدة مبتكرة مع تجنب الامتصاص المقلوب والاقتباسات المخالفة ، بحاجة ماسة إلى وضع الأصول التي يجب أن تراعى عند التطبيق ، وعلى الأديب المسلم ألا يتعدى بالاعتماد على المصطلح الغربي حدود كتاب الله تعالى.

2. إن التعامل مع التناص القرآني يجب أن يتسم بالحذر ، ويحتاج إلى ثقافة عالية متأنية من المبدعين في الاختيار الذي لا يتجاوز حدود التقديس والتدين مع مراعاة الانفتاح الدلالي المعاصر.

3. ما زالت هذه الظاهرة تحتاج إلى الدرس عند كثير من الشعراء المحدثين مثل أمل دنقل، ومحمود درويش، ونزار قباني، ومحمد الماغوط، وكثير من الشعراء المعاصرين أمثال صلاح عبد الصبور، وصابر عبد الدايم .

المصادر والمراجع:

- أكوافيفا، سابينو و إنزوباتشي. (2011م). علم الاجتماع الديني الإشكالات والسياقات، (ترجمة عز الدين عناية)، ط1، أبو ظبي: للثقافة والتراث.
- حسين ، طه. (1978). السخرية في الأدب العربي حتى نهاية القرن الرابع الهجري، ط1 ، القاهرة : دار التوفيقية.
- حمدان، عبد الرحيم. (2002 م). التناص في مختارات من شعر الانتفاضة المباركة. مجلة جامعة الشارقة للعلوم الشرعية والإنسانية ، 3: 412 – 440.
- الخضور، صادق عيسى. (2007). التواصل بالتراث في شعر عز الدين المناصرة، ط1، عمان : دار مجدلاوي للنشر والتوزيع.
- الخفاجي، ابتهال سامي. (2018). صورة الرفض في الشعر العراقي، "محمد مهدي الجواهري وأحمد مطر أنموذجا ". مجلة كلية التربية الأساسية للعلوم التربوية والإنسانية / جامعة بابل ، (41) ، –1988 1993.
- خليفة، عبد اللطيف محمد. (2003). دراسات في سيكولوجية الاغتراب ، القاهرة : دار غريب للطباعة والنشر.
- دحبور، أحمد. (1973). ديوان طائر الوحدات ،بيروت: دار العودة.
- زارع ، آفرين و كوثري، فاطمة. (2018). التحليل النفسي لشخصية عنترة في رحاب أشعاره . مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية، 8 (4)، 403 – 429.
- ضرغام، عادل. (2009). في تحليل النص الشعري، ط1 ، الدار العربية للعلوم ، منشورات الاختلاف.
- طه، فرج عبد القادر.(ب.د.ت). معجم علم النفس والتحليل النفسي، (د. ط)، بيروت : دار النهضة العربية.
- عبد الدايم، صابر. (1983). ديوان المسافر في سنبلات الزمن، (ط . د)، مصر: مطبعة الأمانة.
- عبد الصبور. صلاح ، ديوان أحلام الفارس القديم ،(دار العودة – بيروت، ط 3 ، د . ت).
- العفيف، فاطمة حسين. (2016). الجانب النفسي للسخرية في الشعر العربي المعاصر: محمد الماغوط ومحمود درويش وأحمد مطر نموذج. مجلة دراسات العلوم الإنسانية والاجتماعية ، الجامعة الأردنية، 43 (3)، 2435 – 2447 .
- غنيم، كمال. (1998). عناصر الإبداع الفني ، ط1 ، القاهرة: مكتبة مدبولي .
- فؤاد، محمد والسلطان، ديب. (2004). الغضب والتمرد في شعر أحمد مطر، مجلة جامعة الأقصى ، فلسطين، 8 (1)، 1 – 39.

- فرويد، سيجمند. (1982). الأنا والهُوَ، (ترجمة محمد عثمان نجاتي)، ط 4، دار الشروق.
- قباني، نزار. (1983). الأعمال الشعرية الكاملة، ط5 ، بيروت: منشورات نزار قباني.
- القرآن الكريم .
- الكبيسي، عمران. (1982). لغة الشعر العراقي المعاصر، ط1 ، الكويت : وكالة المطبوعات.
- لا بلاش، جان. (1985). معجم مصطلحات التحليل النفسي، (ترجمة مصطفى حجازي)، المؤسسة الجامعية للدراسات .
- مطر، أحمد. (2011). المجموعة الشعرية، ط 1، بيروت : دار الحرية.
- المنصوري، حافظ كوزي عبد العال. (2012). التوظيف القرآني في شعر أحمد مطر، مجلة كلية الآداب جامعة الكوفة، 5 (13)، 70 – 108.
- المازني، إبراهيم عبد القادر. (2012). حصاد الهشيم، القاهرة: مؤسسة هنداوي للتعليم والثقافة.

Translated References

- *Aquafiva, Sabino, & Inzobache .(2011.(Religious Sociology "Problems and Contexts",(translation: Ezz El-Din Enaya),1th , Abu Dhabi : Culture and Heritage edition*
- *Hussain, Taha. (1978).irony in Arabic literature until the end of the fourth century. ,1th , Cairo: Dar Al-Tawfiqiya., edition,*
- *Hamdan, Abd al-Rahim .(2002).Ttanasas in an Anthology of Poetry of the Moarta Intifada, University of Sharjah Journal of Sharia and Human Sciences, Vol. 3, 412-440.*
- *EL.khadour, Sadiq Issa.(2007).Communication with Heritage in the Poetry of Izz Al-Din Al-Manasrah, 1 th, Amman: Dar, Majdalawi for Publishing and Distribution edition.*
- *Khafji, Ibtihal Sami. (2018AD).The image of rejection in Iraqi poetry, "Muhammad Mahdi Al-Jawahery and Ahmed Matar as a model" , Journal of the College of Basic Education for Educational and Humanities / University of Babylon, NO 41, 1988-1993.1988-1993.*
- *khalifa , Abdel Latif Mohamed. (2003). Studies in Psychology of Alienation , Cairo : Dar Gharib.*
- *Dahbur, Ahmed. (1973). Diwan of the Birds of Units, Beirut : Dar Al-Awda.*
- *Zarea, Afrin, & Kothari, Fatima. (2018). Psychoanalysis of the Antara Character in the Rehab of His Poems, Journal of the Babel Center for Humanities, 8, (4) , 403-429.*
- *Dergham, Adel. (2009). The analysis Of The poetic Text, 1 th, EL.dar: the Arab for Science, publications of difference.*
- *Taha, Faraj, Abdul Qadir. (D.T. th). Lexicon of Psychology and Psychoanalysis, Beirut: Dar Al-Nahda Al-Arabiaiya.*
- *Abduldayem, Saber. (1983). The Court of the Traveler in Sanabelat al-Zaman, Egypt: Al-Amanah Press, E.d.*
- *Abdul Sabour, Salah. (D.T. th). Diwan of the Dream of the Ancient Knight, 3 th, Beirut: Dar Al-Awda.*
- *Afif, Fatima Hussein.(2016).The Psychological Side of Irony in Contemporary Arab Poetry: Muhammad Al-Maghout, Mahmoud Darwish and Ahmed Matar Model, Journal of Humanities and Social Sciences Studies, University of Jordan, vol. 43, No 3,2447-2435.*
- *Ghoneim, Kamal. (1998). Elements of Artistic Creativity,1Th, Cairo: Madbouly Library Edition.*
- *Fouad, Muhammad & the Sultan, Deeb. (2004). Anger and Rebellion in Ahmed Matar's Poetry, Al-Aqsa University Journal, Palestine, 8,(1),1-39.*
- *Freud,Sigmund. (1982).The Ego and the Passion,(Translated: Muhammad Othman Najati) , 4 th, Dar Al-Shorouk.*
- *Qabbani, Nizar. (1983).Complete Poetic Works, 5 th, Beirut : Nizar Qabbani Publications.*
- *The Holy Quran.*
- *Al-Kubaisi, Imran. (1982). The Language of Contemporary Iraqi Poetry,1Th, Kuwait: Publications Agency –Edition.*
- *Laplash, Jean. (1985). Lexicon of Psychological Analysis,(translation: Mustafa Hijazi), University Institute for Studies.*
- *Matar, Ahmad.(2011).The Poetic Collection ,1Th edition, Beirut: Freedom House.*
- *Mansouri, Hafez, Kouzi Abdel-Al. (2012). Quran Recruitment in the Poetry of Ahmed Matar, Journal of the College of Arts, University of Kufa, 5, (13) , 70-108.*
- *Al Mazni, Ibrahim Abdul Qadir. (2012). Hasad Al-Hashim, Cairo : Hindawi Foundation for Education and Culture.*

أثر أحكام الطعن على الحقوق القضائية للمكلفين بضريبة الدخل في فلسطين

The impact of the provisions of appeal on the judicial rights of those charged of income tax in Palestine

وائل يوسف خليل نصار
محاضر- غير متفرغ / جامعة الإسراء-غزة/ فلسطين

Weal Youssef Khalil Nassar
Part-time lecturer/ Isra University-Gaza/ Palestine
w-nssar@live.com

تاريخ الاستلام: 20/ 1/ 2020م، **تاريخ القبول:** 13/ 7/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 20/ 1/ 2020, **Accepted:** 13/ 7/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-005
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص

تتناول هذه الدراسة موضوع حماية المكلفين بضريبة الدخل في فلسطين، سواء في قانون ضريبة الدخل رقم (17) لسنة 2004م الساري فعليًا في قطاع غزة أو القرار بقانون رقم(8) لسنة 2011م الساري في الضفة الغربية.

وقد اعتمدت الدراسة على المنهج المقارن القائم على التحليل للمواقف التشريعية التي تنظم الحماية القضائية للمكلفين، وتظهر التباين التشريعي في مستوى الحماية التي يوفرها لهم المشرع الفلسطيني وغيره من المشرعين، كما تبين الدراسة مدى تحقق التوازن المطلوب بين طرفي العلاقة الضريبية، سواء أكان التوازن في مرحلة الاعتراض الإداري أم في مرحلة الطعن القضائي، لما لذلك من أثر مباشر في رفع مستوى الامتثال الضريبي، وخفض مستويات التهرب الضريبي.

وقد خلصت الدراسة إلى عدد من النتائج، أهمها: أن المشرع الفلسطيني لم يوفر الحماية الكافية للمكلف بالضريبة على الدخل، ولم يحقق التوازن بين طرفي العلاقة الضريبية. كما انتهت إلى عدد من التوصيات، أهمها: ضرورة إجراء التعديل التشريعي اللازم لإعادة بناء منظومة القضاء الضريبي بحيث يتم: تشكيل محكمة بداية ضريبية ذات اختصاص عام، وتشكيل محكمة استئناف ضريبي، وتشكيل نيابة ضريبية، وتأهيل المحاكم والنيابة الضريبية للنظر في الجوانب الضريبية كافة، جزائية كانت أو حقوقية أو إدارية، مع تأهيل الكادر تأهيلًا علميًا كافيًا للاضطلاع بهذا الدور.

الكلمات المفتاحية: الطعن الضريبي– ضريبة الدخل– حقوق المكلفين.

Abstract

This study connects with the issue of protecting those charged with income tax in Palestine, whether in the Income Tax Law No. (17) for the year 2004 that is actually applied in the Gaza Strip, or the decision of Law No. (8) for the year 2011 applied in the West Bank.

The study relied on the comparative approach based on the analysis of legislative positions regulating the judicial protection of the taxpayers, and it shows the legislative variation in the level of protection provided to them by the Palestinian legislator and other legislators. The study also shows the extent of achieving the required balance between the two parties of the tax relationship, whether the balance is in the stage of objection Administrative or in the stage of judicial appeal, as this has a direct impact on raising the level of tax compliance and reducing levels of tax evasion.

The study concluded a number of results, the most important of which are that the Palestinian legislator did not provide adequate protection for the taxpayer, and the balance between the two sides of the tax relationship was not achieved. It also ended with a number of recommendations, the most important of which are: the necessity of making the necessary legislative amendment to rebuild the tax judiciary system so that: a formation of a tax court of general jurisdiction, the formation of a tax appeal court, the formation of a tax prosecution, and the rehabilitation of the courts and the tax prosecution office to consider all tax aspects, are criminal Or legal or administrative, with staff sufficiently qualified to carry out this role.

***Keywords**: appeal on tax- income tax- Rights of the taxpayer.*

تمهيد

1. مدخل الدراسة:

مما لا شك فيه، أن غاية المشرع الضريبي هو الوصول إلى التقدير النهائي العادل، الأمر الذي يتطلب توفير الحماية للمكلفين من تعسف الإدارة، مع ضمان امتثالهم لسيادة القانون وحماية حقوق الخزينة العامة، وهو ما يتحقق من خلال فتح المجال أمام المكلف لتقديم تقديره الذاتي المدعم بالمستندات، وفي ذات الوقت إعطاء فرصة للإدارة الضريبية لتدقيق التقدير، مع منحها حق تعديله بما تملكه من أدلة على عدم دقة التقدير الذاتي، وإذا لم يتفق المكلف مع هذا التقدير الإداري فإنه يملك حق الاعتراض الإداري بداية، ثم اللجوء إلى الطعن القضائي بعد ذلك.

وللاعتراض الإداري وحيادية النظر فيه أهمية كبيرة من نواح عديدة؛ فقد خلص البنك الدولي في إحدى دراساته الخاصة بالمنازعات الضريبية إلى أنه: «غالبًا ما تكون المراجعة الداخلية هي الخيار الواقعي الوحيد لدافعي الضرائب، ويمكن لهذه العملية إذا ما كانت موثوقة وشفافة وسريعة، أن تعزز الامتثال الضريبي، وغالبًا ما تكون المراجعة الداخلية أكثر مصداقيةً ومقبوليةً لدافعي الضرائب إذا كانت هيئة المراجعة مستقلة عن جهة التقدير، كما أن إصلاح هذه العملية يمكن أن يولد إيرادات إضافية للحكومة؛ ظظرًا لأن الطعون ستعلق دفع الضرائب المختلف عليها». (The Administrative Review Process for Tax Disputes,World Bank Group:128).

ولاجرم أن التشريعات المقارنة حين أوجبت على المكلف اللجوء إلى الاعتراض الإداري قبل السير القضائي في الدعوى، إنما سعت من ورائه إلى إتاحة الفرصة للحل التوافقي بين الإدارة الضريبية والمكلف، من خلال إعطاء الفرصة للإدارة الضريبية في مراجعة تقديرها، أو اقناع المكلف بأسباب التقدير. كما هدفت التشريعات من إتاحة الفرصة لوزير المالية أو من يفوضه خطيًا بإعادة النظر والتقدير في ملف ضريبي عن فترة ضريبية سابقة، إلى ضمان امتثال الإدارة الضريبية والمكلف بالضريبة، وتصويب الأخطاء التي جرت في تلك الفترة.

لذا، فإن تحول إجراءات التقدير الإداري أو إعادة التقدير إلى

أداة للتغول على المكلفين، أو حرمانهم من الحقوق التي كفلتها لهم الدساتير والتشريعات، يؤثر تأثيرًا سلبيًا مباشرًا على إنفاذ قواعد العدل والإنصاف وتحقيق التوازن بين الإدارة الضريبية والمكلفين، على الرغم من تساوي مركزيهما القانوني.

وتتخذ هذه الدراسة من الحماية التشريعية للمكلفين في فلسطين غايةً، ومن نيل حقوقهم القضائية عند الفصل في المنازعة الضريبية محورًا، ومن إجراءات التقدير وإعادة النظر والطعن وأثرها على الحقوق القضائية للمكلفين موضوعًا؛ لذا فقد حملت عنوان: «أثر أحكام الطعن على الحقوق القضائية للمكلفين بضريبة الدخل في فلسطين».

2. إشكالية الدراسة:

تدور إشكالية هذا البحث حول مدى توفير الحماية للمكلفين بالضريبة على الدخل في فلسطين؟ ويتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة عديدة فرعية:

- ما الاتجاهات التشريعية في توفير الحماية للمكلفين بضريبة الدخل؟
- هل الأحكام التي وضعها المشرع الفلسطيني تحقق التوزان المطلوب بين الإدارة الضريبية والمكلفين بضريبة الدخل؟
- ما المطلوب لتوفير الحماية التشريعية والقضائية للمكلفين بضريبة الدخل؟

3. أهمية الدراسة:

لم يتوقَّ القرار بقانون رقم 8 لسنة 2011م، الإشكاليات التي اتَّرع بها قانون رقم 17 لسنة 2004م، الخاصة بإجراءات التقدير وإعادته والاعتراض والطعن عليه، في قانون الضريبة على الدخل في فلسطين.

وأمام إصرار المشرع الفلسطيني على تبني أحكام هجرتها التشريعات المقارنة في الضريبة على الدخل؛ رغم ما فيها من مساس بحقوق المكلفين التي كفلتها النصوص ورسختها الأحكام وأجمع عليها الفقه الضريبي، فقد برزت لنا أهمية البحث في هذه الأحكام، والوقوف على مدى تأثر حقوق المكلفين في فلسطين بها، وتحديد أسباب الخلل وسبل علاجه.

4. فرضيات الدراسة:

تقوم هذه الدراسة على عدد من الفرضيات، وهي:

1. يوجد ثلاثة اتجاهات تشريعية رئيسة في تحقيق التوازن بين حقوق الخزينة العامة والمكلفين، هي:

- اتجاه يأخذ بتخفيف القيود الواردة على الإدارة الضريبية في تقديرها النهائي، مع توفير حماية قضائية كاملة للمكلف.
- اتجاه يقضي بزيادة القيود الواردة على الإدارة الضريبية، ويعطي سلطة البت في التقدير النهائي للجان إدارية محايدة، مع توفير حماية قضائية أقل للمكلف.
- اتجاه مهجور يأخذ بتخفيف القيود على الإدارة الضريبية، وفي ذات الوقت يوفر حماية قضائية أقل للمكلف.

2. تبنى المشرع الفلسطيني في قانون 17 لسنة 2004م، والقرار بقانون لسنة 2011م، الاتجاه الثالث المهجور؛ حيث وضع الإدارة الضريبية في مركز قانوني أفضل من المكلف؛ فخفف من القيود المفروضة على الإدارة الضريبية من جهة، وزاد من القيود المفروضة على المكلف عند لجوئه إلى الطعن القضائي من جهة ثانية، بل وقيد المحكمة المختصة في نظر الدعوى من جهة ثالثة.

3. لا يستطيع القضاء توفير حماية قضائية لطرف لا تحميه التشريعات.

5. المنهج البحثي للدراسة:

اعتمد الباحث في هذه الدراسة على المنهجين: التحليلي والمقارن، حيث يحلل نصوص التشريعات الوطنية، ويقارب بينها وبين مواقف بعض التشريعات الوضعية الأخرى.

6. بيان مفردات عنوان الدراسة:

- **أثَر**: بقيّة ما ترى من كلّ شيء) الفراهيدي، 1410هـ :236) وأثّرَت فيه تأثيرًا جعلت فيه أثَرًا وعلامة (المقري:4).
- **أحكام**: مفردها حُكْم وهو القضاء، ويقال حكم عليه: إذا مُنِعَ من خلافه ولم يقدر على الخروج من ذلك (المقري:145)، وهنا يقصد بها تلك الأحكام التي قضى بها المشرع لإتاحة المجال أمام المكلف للطعن القضائي على التقدير الإداري النهائي.
- **الحقوق القضائية**: مراكز قانونية للأفراد تمكنهم من مطالبة السلطة بالامتناع عن القيام بعمل أو الالتزام بالقيام بعمل أو توفير السياسات الملاءمة في مجالات معينة (راضي، عبد الهادي: 40 – 44).
- **المُكلف**: «كل شخص طبيعي أو معنوي يخضع للضريبة بموجب أحكام هذا القانون» وفقًا لنص (م1) تعريفات، من قانون ضريبة الدخل رقم 17 لسنة 2004م. «كل شخص ملزم بدفع الضريبة أو اقتطاعها أو توريدها بموجب أحكام هذا القرار بقانون.» وفقًا لنص (م1) تعريفات، القرار بقانون رقم 8 لسنة 2011م.

7. تقسيم الدراسة:

جرى تقسيم هذه الدراسة إلى مطلبين:

- **المطلب الأول/** الاتجاهات التشريعية في تحقيق التوازن بين مصالح الخزينة العامة والمكلفين.
- **المطلب الثاني/** مقاربة تشريعية حول حماية الحقوق القضائية للمكلفين.

المطلب الأول

الاتجاهات التشريعية في تحقيق التوازن بين مصالح الخزينة العامة والمكلفين

لاجرم أن المنازعة الضريبية لها ذاتيتها وخصوصيتها، فالقاضي الضريبي وإن كان يفصل في دعوى تتجاذبها مصلحة عامة متمثلة في حقوق الخزينة العامة، ومصلحة خاصة متمثلة في حقوق المكلفين، إلا أنه فعليًا يحمي مصلحتين عامتين: المصلحة الأولى تتعلق برافد رئيسي من روافد الخزينة العامة وهي الضريبة، والمصلحة الثانية تتعلق بنشاط القطاع الخاص الذي يُمثّل أحد

الروافد الرئيسية للاقتصاد القومي، وبالتالي فإن الإضرار بأي من هاتين المصلحتين يعتبر مساسًا مباشرًا بالدولة ومكوناتها وأدواتها.

وحرصًا على تحقيق التوازن المطلوب بين هاتين المصلحتين، ترسخت العديد من المبادئ الضريبية التي حرصت المحاكم على تنفيذها، منها: وجوب تطبيق الضريبة بإنصاف، تمكين سيادة القانون (Thuronyi,1996:1).

غير أن الاتجاهات التشريعية اختلفت حول سبل تحقيق هذا التوازن، ومما لاشك فيه أن مستوى تقدم الدولة ووعي مواطنيها يسهم بشكل كبير في ذلك، وعلى هذا فإننا نبين الاتجاه التشريعي في مجال حماية المكلفين في الدول المتقدمة ونأخذ الولايات المتحدة الأمريكية مثالًا، وكذلك الاتجاه التشريعي في مجال حماية المكلفين في الدول النامية ونأخذ مصر والأردن وفلسطين أمثلةً، ثم نتوقف عند الآثار المترتبة على الاتجاه الذي تبناه المشرع الفلسطيني، وذلك على النحو التالي:

أولًا/ الاتجاه التشريعي في مجال حماية المكلفين في الدول المتقدمة:

أدى تبني السياسة التشريعية المتوازنة وتطور الإدارات الضريبية وارتفاع مستوى الوعي المجتمعي إلى مساعدة الدول المتقدمة في تحقيق أهدافها الضريبية؛ حيث جرى فرض عقوبات شديدة على التهرب الضريبي، بالاتساق مع توفير الحماية التشريعية الكاملة للمكلفين، ويعتبر النموذج الأمريكي رائدًا في هذا الاتجاه، حيث سن قانون حقوق دافعي الضرائب (TBOR) عام 2015م في القسم A/7803، من قانون الإيرادات الداخلية، وذلك لضمان تحقيق التوازن المطلوب عند تعامل المكلف مع الإدارة الضريبية، حيث نص هذا القانون على عشرة حقوق أساسية هي: 1- الحق في الاطلاع. 2- الحق في جودة الخدمات. 3-الحق في دفع مبلغ لا يزيد عن مبلغ الضريبة الصحيح. 4-الحق في الطعن على موقف دائرة الإيرادات الداخلية والاستماع إليه. 5- حق الاستئناف على قرار دائرة الإيرادات الداخلية في جهة مستقلة. 6- الحق في نهائية «التقدير». 7- الحق في الخصوصية. 8- الحق في السرية. 9-حق الاحتفاظ بالتمثيل. 10- الحق في نظام ضريبي عادل ومنصف (Roberson,2018: 23 - 22).

وإلى جانب النص على هذه الحقوق، تسعى الإدارات الضريبية في الدول المتقدمة إلى تحسين عمليات تحصيل الضرائب، من خلال تقليل تكاليف الإدارة والامتثال إلى الحد الأدنى، وباتت أكثر الأنظمة فعالية في تحصيل الضرائب، تلك التي تحفز الغالبية العظمى من المكلفين على الالتزام الطوعي؛ كي يركز مسؤولو الضرائب جهودهم على المكلفين غير الممتثلين. **وتشير الدراسات (Okello,2014:4) إلى أنه غالبًا ما يمتثل المكلف طوعًا عندما:**

1. تعتمد الإدارة الضريبية خدمةً مميزةً لدافعي الضرائب، وتثقيفهم ومساعدتهم في الوفاء بالتزاماتهم.
2. تخلق رادعًا قويًا لعدم الامتثال من خلال برامج التدقيق الفعالة والاستخدام المناسب للعقوبات.
3. يتسم عملها بالشفافية والأمانة والنزاهة والعدالة في تنفيذها للقوانين الضريبية.

ثانيًا/ الاتجاه التشريعي في مجال حماية المكلفين في الدول النامية:

نظرًا، لتدني المستوى التكنولوجي في إدارة العلاقة الضريبية، وضعف الوعي المجتمعي، فإن تحقيق التوازن بين طرفي العلاقة الضريبية في الدول النامية ليس بالأمر الهين. وقد برز اتجاهان تشريعيان رئيسيان في هذا الشأن، ويمكن الإيجاز في عرضهما على النحو التالي:

أ. اتجاه يغلب عليه الميل نحو الإدارة الضريبية:

يتأسس هذا الاتجاه على قاعدة أن الضريبة فريضة مالية تهدف إلى تحقيق مصالح عامة يستفيد منها المكلف ذاته؛ لذا فإن الأهم فعليًا ألا تتأثر موارد الخزينة العامة، وأن يتحقق استقرار المراكز الضريبية، من خلال سرعة الفصل في أي نزاع قد ينشأ فيها، من خلال إسناد الفصل في المنازعات الإدارية إلى لجان اعتراض إدارية بحته، وجعل الطعن القضائي من اختصاص محكمة استئنافية خاصة وليس محكمة ابتدائية، مع وضع قيود اختصاص على هذه المحكمة.

تبنى المشرع الفلسطيني هذا الاتجاه، متأثرًا بالمشرع الأردني في مسلكه القديم، ويمكن تبيان أهم سمات هذا الاتجاه على النحو التالي:

1. عدم حيادية لجنة الاعتراض:

اعتبر المشرع الفلسطيني الاعتراض الإداري طريقًا إجباريًا لمن أراد أن يسلك سبيل الطعن القضائي، حيث لم يجز للمكلف اللجوء إلى محكمة الاستئناف المختصة إذا لم يسبق له الاعتراض على التقدير الإداري الصادر عن جهة الاعتراض، أو التقدير الناتج عن إعادة النظر من قِبَل الوزير أو من يفوضه، أو المطالبات المتعلقة بأية مبالغ يتوجب خصمها أو دفعها أو اقتطاعها كضريبة نهائية أو دفعها على حساب الضريبة. وهو في ذلك لم يشذ عن موقف غالبية التشريعات، غير أن الإشكالية تكمن في أمرين:

الأمر الأول: أنه اتسم بالجمود في هذه الأحكام، حيث لم يضع استثناءات توجب مد مدة الاعتراض لما قد يستجد من وقائع، على نحو تملّك المكلف دليلًا -لم يكن قائمًا- على وجود حقوقٍ مالية له عند الإدارة الضريبية، أو على عدم تمكّنه من الاعتراض لسبب خارج عن إرادته خلال فترة الاعتراض؛ حيث اعتبر قبول التمديد جوازيًا في كل الأحوال.

الأمر الثاني: أن المشرع الفلسطيني لم يأخذ بالصورة التشريعية الكاملة، فالمشرع المصري -على سبيل المثال- وإن قيد سلطة المحكمة الابتدائية في نظر الدعوى، إلا أنه ضمن حيادية لجنة الطعن قبل اللجوء إليها، وفتح المجال للطعن بالاستئناف على حكمها أمام المحكمة الابتدائية. كما أن المشرع الأردني في قانون 2009م، وإن جعل هيئة الاعتراض ذات طبيعة إدارية بحتة، إلا أنه مع ذلك تكفل بحماية المكلف من خلال فتح المجال أمامه للجوء إلى محكمة بداية ضريبية ذات ولاية عامة على كل ما يتعلق بالمنازعات الضريبية، علاوة على إمكانية الطعن على أحكامها أمام محكمة الاستئناف الضريبي.

ومن هنا، فإننا نهيب بالمشرع الفلسطيني، أن يضفي على أحكامه طابع المرونة التي تتناسب مع طبيعة العلاقة الضريبية

من جهة، وأن يسبغ على لجان الاعتراض المزيد من ضوابط الحيدة والكفاءة في تشكيلها، والموضوعية والتقيد بالقانون والأنظمة عند نظرها في الاعتراضات والفصل فيها.

2. انضواء إجراءات التقدير وإعادة النظر على أحكام تمس بحقوق المكلفين:

يعني مبدأ الثقة العامة عدم منح الإدارة الضريبية ميزات غير عادلة في تعاملها مع دافعي الضرائب.

وبالمخالفة لهذا المبدأ، انضوت إجراءات التقدير وإعادة النظر التي وضعها المشرع الفلسطيني، على منح الإدارة الضريبية ميزات غير عادلة في تعاملها مع المكلفين، وهو ما من شأنه أن يمس بمبدأ الثقة العامة، ومما يزيد الوضع سوءًا، أن بعضًا من هذه الميزات تمتد آثارها على الحقوق القضائية للمكلفين، ومن صور ذلك:

- حصر حق الاعتراض في من فرضت عليه الضريبة، وهذا من شأنه المساس بالحقوق القضائية لبعض المكلفين، على غرار أصحاب العمل بشأن الضريبة المفروضة على عُمّالهم، حيث يصبح إثبات هذه الصفة لتحريكهم الدعوى محل نزاع إضافي بين المعترض والإدارة الضريبية.

- السلطة الجوازية للمقدِّر في بناء قناعته الخاصة بتمديد مدة الاعتراض، دون إلزامه بقبول السبب في أحوال معينة كالسبب القاهر، وهذا من شأنه المساس بحقوق المكلفين في الطعن القضائي، في حال عدم قبول المقدر للسبب الموضوعي أو السبب القاهر لتجاوز مدة الاعتراض.

- عدم وجود نص صريح يوجب إعادة النظر بناء على طلب المكلف في التقدير المخالف للقانون، وهذا فيه مساس بحقوقه القضائية، حيث إن إجراء إعادة النظر جوازيًا للوزير أو من يفوضه خطيًا، وهو ما قد يحرم المكلف من إجراء إعادة النظر، وبالتالي حرمانه من التوجه إلى المحكمة المختصة.

ولعل المشرع الفلسطيني في هذا الاتجاه، قد تأثر بالمشرع الأردني في اتجاهه القديم، ذلك أن القانون الأردني كان ساريًا بالضفة الغربية قبل الاحتلال الإسرائيلي سنة 1967م ثم جرى تطبيقه بعد قيام السلطة الفلسطينية سنة 1994م وحتى صدور أول قانون ضريبي وطني سنة 2004م، وبالتالي فإن الأخذ بهذا الاتجاه أضفى حالة من الاستقرار على أعمال الإدارة الضريبية والسلطة القضائية والمكلفين على السواء.

وقد بات من نافلة القول خطأ المشرع الفلسطيني في تبنيه هذا الاتجاه، لاسيما بعد عدول المشرع الأردني ذاته عنه، كما أن خصوصية الوضع في فلسطين تؤكد هذا الخطأ؛ فالعلاقة بين المكلف الفلسطيني والإدارة الضريبية اتسمت فترة الاحتلال بالعدائية بسبب ممارساته، وقد رأى المواطنون أن الضرائب صورة من صور العقاب، وتخدم المصالح الاقتصادية الإسرائيلية (النقيب،1996: 2)، كما أنها أداة لتمويل النفقات العامة دون مراعاة لظروفهم الاقتصادية والاجتماعية، وقد نتج عن ذلك انخفاض نسبة الامتثال الضريبي، وارتفاع مستوى التهرب الضريبي، وضياع الكثير من الأموال العامة (Giovanna,2015).

وحين تكون المسافة بين دافعي الضرائب والسلطة الضريبية كبيرة على هذا النحو، فإن الحل يكمن في جسر الهوة بين المكلفين والإدارة الضريبية، وهو ما يتم من خلال تعزيز مبادئ العدالة وسيادة القانون، وشرعية الضريبة ورضائيتها، وهذا الأمر يتوقف على مدى مراقبة شرعية الضريبة من خلال المنظورين: الإجرائي والموضوعي (Thuronyi,1996).

لذا كان ينبغي على المشرع الفلسطيني أن يتبنى الاتجاه التشريعي القادر على إعادة بناء الثقة بين الإدارة الضريبية والمكلفين من جهة، وإضفاء المزيد من الحماية القضائية للمكلفين لإنجاح المنظومة الضريبية بكاملها من جهة أخرى. وهذا ما فعله المشرع الأردني حديثًا بتبنيه الاتجاه التالي.

ت. اتجاه يغلب عليه تحقيق التوازن:

يتعامل هذا الاتجاه مع المكلف باعتباره الطرف الأضعف في العلاقة الضريبية، لذا فإنه يعمل على توفير سبل الحماية الإدارية والقضائية له بصورة أكبر، من خلال تشكيل اللجان الإدارية الداخلية البحته، مع لجان الطعن الإداري المحايدة، وكذلك فتح الطريق أمام المكلف للجوء إلى قاضيه الطبيعي في كل درجات التقاضي بدءًا من محكمة البداية ومرورًا بمحكمة الاستئناف وانتهاء بمحكمة النقض.

وقد تبنى هذا الاتجاه المشرع المصري قبل صدور حكم المحكمة الدستورية العليا سنة 2015م –على نحو ما سنبين–، كما عدل المشرع الأردني في تشريعاته الجديدة عن تبني الاتجاه السابق ليتبنى بموجبها هذا الاتجاه.

المطلب الثاني

مقاربة تشريعية حول حماية الحقوق القضائية للمكلفين

تتكفل التشريعات على اختلاف اتجاهاتها بتوفير الحماية القضائية للمكلفين، غير أنها تتباين في مستوى هذه الحماية. وهذا ما يظهر من خلال جوانب عديدة، أهمها:

أ. درجات التقاضي في القضايا الضريبية:

القاعدة الراسخة، هي أن التقاضي على درجتين يمنح الطاعن فرصة ثانية لتقديم ما فاته من دفوع وأوجه دفاع، من خلال عرض موضوع الدعوى كليًا أو جزئيًا على محكمة الدرجة الثانية، لتصحيح الخطأ أو إكمال النقص في الحكم الابتدائي (الفرا،2014: 306)، وهو ما يعزز ثقته في منظومة التقاضي في ضريبة الدخل.

غير أن المشرع الفلسطيني أعطى الولاية القضائية للمحكمة المختصة ذات الطبيعة الاستئنافية مباشرة، وهذا اتجاه متروك حتى بالنسبة للمشرع الأردني المأخوذ عنه هذا التشريع.

وطالما أن المشرع الفلسطيني قد أخذ بالرأي القائل بضرورة إسناد المنازعات الضريبية لمحاكم ضريبية مستقلة عن المحاكم العادية والإدارية، كونها تتمتع بذاتية خاصة (عطيه،1960: 155)، فإنه كان يتوجب عليه أن يبني هذا النظام على نحو متكامل ودون انتقائية تشريعية، فذاتية القضاء الضريبي لا تعني حرمان الأطراف من حق التقاضي على درجتين (بداية واستئناف)، لذا لا بد أن يستكمل البناء من خلال إنشاء محكمة بداية لقضايا ضريبة الدخل على غرار النظام الأردني، فهذه الدرجة من شأنها تأهيل القضاة الضريبيين المتخصصين، وإعطاء الفرصة لإبراز ذاتية القضاء الضريبي.

ب. قيود الاختصاص:

يؤثر اختصاص المحكمة في مستوى الحماية التي توفرها للمكلفين، ويمكننا إيضاح هذا الأمر على النحو التالي:

1. اختصاص محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل في فلسطين، والقيود الواردة عليها:

نظمت (م28) من قانون سنة 2004م، وكذلك (م29) من القرار بقانون لسنة 2011م، الطعن لدى محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل، باعتبارها المحكمة المختصة بنظر الطعون التي حددها المشرع.

وتكون هذه المحكمة ضمن ملاك السلطة القضائية وتنعقد برئاسة قاضٍ لا تقل مرتبته عن قاضي محكمة عدل عليا وعضوية قاضيين لا تقل مرتبة كل منهما عن قاضي محكمة استئناف، وجميعهم يخضعون للأحكام والأوضاع القانونية التي تسري على القضاة النظاميين، وتباشر هذه المحكمة اختصاصها اعتبارًا من التاريخ الذي يعينه رئيس مجلس القضاء الأعلى، وتعطى القضايا المستأنفة صفة الاستعجال، وتكون جلساتها علنية إلا إذا أمرت المحكمة بخلاف ذلك.

ويتولى تمثيل الدائرة لدى محكمتي الاستئناف والنقض بما في ذلك المدافعة والمرافعة عنها في القضايا المتعلقة بضريبة الدخل كافة أحد موظفي وزارة المالية الحقوقيين أو أكثر وبتفويض خطي من الوزير، فيما يتولى المقدر تبليغ المكلف خطيًا بمقدار الضريبة المستحقة عليه وفقًا لقرار المحكمة.

ويكون كل حكم أو أمر تصدره محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل، قابلًا للطعن أمام محكمة النقض خلال ثلاثين يومًا من تاريخ تفهيمه أو تبليغه، وفقًا لنظام استئناف ونقض قضايا ضريبة الدخل.

وإذا قام المكلف باستئناف القرار الصادر من قبل وزير المالية أو الموظف المفوض من قبله خطيًا، وكانت المحكمة تنظر في الاستئناف المقدم من قبله على قرار مأمور التقدير ولنفس الفترة الضريبية، فإنه يتعين على المحكمة تكليف المستأنف بدفع الفرق بين الرسم المترتب على هذا الاستئناف والرسم الذي دفعه عن الاستئناف المقدم ضد مأمور التقدير، وإسقاط الاستئناف المقدم ضد مأمور التقدير والنظر في الاستئناف الجديد.

أخيرًا، فإن المشرع الفلسطيني في القرار بقانون لسنة 2011م، أجاز للمدير أو من يفوضه خطيًا، الاتفاق مع المستأنف أو الطاعن بالنقض حل أي من القضايا المنظورة مصالحةً قبل صدور الحكم القطعي بها، مع إخضاع الاتفاق في هذه الحالة للتصديق من قبل المحكمة، وهو ما يعد أحد التعديلات المهمة التي أوردها القرار بقانون، بعد خلو نص قانون سنة 2004م منه.

وتختص محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل في فلسطين وفقًا لقانون سنة 2004م، بالنظر في الاستئنافات المقدمة للطعن على قرارات التقدير وإعادة النظر في التقديرات التي يجوز استئنافها بموجب أحكام هذا القانون، وأضاف القرار بقانون لسنة 2011م إلى هذه الاختصاصات، النظر في المطالبات المتعلقة بأية مبالغ يتوجب خصمها أو دفعها أو اقتطاعها كضريبة نهائية أو دفعها على حساب الضريبة.

وفي ضوء الاختصاص المبين، نجد أنه جرى تضييق اختصاصات محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل الفلسطيني لأقصى درجة؛ وعلى الرغم من أنها محكمة استئنافية، **وليست محكمة أول درجة، إلا أن الاختصاصات التي حددها المشرع لها تنحصر في:**

أ. النظر في الاستئنافات المقدمة للطعن في قرارات المقدِّر، وفقًا (لقانون 2004م والقرار بقانون لسنة 2011م).

ب. النظر في الاستئنافات المقدمة للطعن في قرارات إعادة النظر في التقديرات، وفقًا (لقانون 2004م والقرار بقانون لسنة 2011م).

ت. النظر في المطالبات المتعلقة بأية مبالغ يتوجب خصمها أو دفعها أو اقتطاعها كضريبة نهائية أو دفعها على حساب الضريبة، (وفقًا للقرار بقانون لسنة 2011).

وفي ضوء هذه الاختصاصات، لا تختص هذه المحكمة إلا بالنظر فيما صدر فيه قرارات بالتقدير أو بإعادة التقدير، مع إضافة القرار بقانون حالة الاختصاص بالنظر في بعض المطالبات المالية المحددة حصرًا، وهي لا تضمن كافة المطالبات المالية مثل: حالات التعويض القانوني، وغرامات التأخير وغيرها.

وعلى هذا، لم يتطرق المشرع صراحة إلى صلاحية هذه الدرجة القضائية في التصدي للأمور القانونية المتعلقة بفرض الضريبة ونطاقها وسعرها والخضوع لها، وما لا يجوز الاتفاق على مخالفته، إذا لم يكن قد عُرِضَ بداية أمام لجنة الاعتراض أو إعادة النظر، والتي هي بالأساس جهات إدارية بحته وليست مؤهلة للفصل في الأمور القانونية.

فالمشرع الفلسطيني لم يمنح هذه المحكمة، الاختصاصات التي منحها المشرع الأردني لمحكمة البداية الضريبية؛ ليعوض الطبيعة الإدارية البحتة للجان الاعتراض؛ بهدف تحقيق التوازن المطلوب لحماية الإدارة الضريبية والمكلف على السواء.

زد على ذلك، أن المشرع الفلسطيني قيد المستأنف في دعواه الاستئنافية، حيث لم يجز له إثبات أية وقائع لم يدع بها أمام الشخص الذي صدر عنه قرار أو أمر التقدير المستأنف، في حين أنه ألزم المستأنف بإقامة الدليل لإثبات ادعاءاته، وبالتالي فقد حرم الطاعن الاستفادة من نص (م220) من قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية رقم 2 لسنة 2001م: «تنظر محكمة الاستئناف على أساس ما يقدم لها من بينات ودفوع جديدة، وما كان قد قدم من ذلك إلى محكمة أول درجة».

وواقعيًا، فإن هذه الاشتراطات الموضوعة على المستأنف تعدمه كل سبيل يؤدي إلى إثبات صحة دعواه بما يستجد من وقائع بعد الاعتراض وإعادة النظر، بل إن المشرع بهذه الاشتراطات، تجاهل حقيقة أن هذه اللجان ليست محكمة أول درجة، وإنما هي جهات إدارية بحته، ولا تتوافر فيها أبسط قواعد الحيدة والعدالة والنزاهة القضائية.

ورغم كل ما سبق من مساس بحقوق قضائية للمكلف، إلا أن المشرع الفلسطيني لم يترك للمكلف الاستفادة من المبدأ العام الوارد في (4/م191) من قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية رقم 2 لسنة 2001م، بأن «لا يضار الطاعن بطعنه»، حيث أعطى

لمحكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل أن تقر التقدير أو تزيده أو تخفضه أو تلغيه أو أن تعيد القضية إلى المستأنف عليه لإعادة التقدير، وفقًا للتعليمات التي تستصوبها، ولها في جميع الأحوال التي تقرر بها رد الاستئناف أو رد أي جزء منه أن تحكم في نفس الوقت بإضافة (10 %) من المبلغ الذي لم يسلم به المستأنف من الضريبة المحكوم بها عن كل سنة بقيت فيها القضية لدى المحكمة وتعتبر أي مدة سنة إذا زادت عن ستة أشهر.

4. اختصاص محكمة البداية الضريبية في الأردن، والقيود الواردة عليها:

القاعدة العامة أن هذه المحكمة تختص بالنظر في جميع الدعاوى والخلافات الناشئة عن تطبيق أحكام قانوني ضريبة الدخل والضريبة العامة على المبيعات والأنظمة والتعليمات الصادرة بمقتضاهما، ومهما كانت قيمتها وبغض النظر عن طبيعتها جزائية أو حقوقية أو إدارية، وسواء كانت المطالبة موضوع الدعوى متعلقة بالضريبة أو التعويض القانوني أو غرامة التأخير أو أي مبالغ أخرى يتعين دفعها أو اقتطاعها أو توريدها أو ردها بمقتضى أحكام قانون ضريبة الدخل لسنة 2009م وتعديلاته، وبالتالي فإن الحالات الواردة في المادة 42/أ من القانون هي على سبيل المثال وليس الحصر، وقد أورد المشرع قيدًا وحيدًا على هذا الاختصاص، وهو عدم جواز النظر مباشرة بالطعون التي ترد على قرارات التدقيق والتقدير الإداري؛ لأنه يطعن عليها أمام هيئة الاعتراض، ومن ثم يكون قرار هيئة الاعتراض الصادر بهذا الشأن قابلًا للطعن أمام هذه المحكمة. وكذلك الأمر بالنسبة لبعض القرارات مثل قرار تصحيح الاخطاء الكتابيه والمحاسبيه الوارده بالقرار (الزيود، الكتروني).

ولا تختص هيئة الاعتراض الإداري إلا بالنظر في الاعتراض المقدّم من المكلف، على القرار الذي يُصدره المدقق في حال تعديل الإقرار الضريبي دون موافقة المكلف على التعديل. وكذلك بالنظر في الاعتراض المقدم بخصوص قرار التقدير الإداري الذي يصدره المدقق في حال عدم قيام المكلف بتقديم الإقرار الضريبي.

ومن ثم، فإن أي قرار يصدر عن الإدارة الضريبية في مواجهة المكلف عدا القرارين المشار إليهما سابقًا، يتم الطعن عليه أمام محكمة البداية الضريبية مباشرة دون حاجة للطعن عليه إداريًا.

كما حصر المشرع الأردني الحق في الاعتراض على التقدير النهائي لدخل المكلف الذي صدر عن الإدارة الضريبية، فإن لم تستكمل الإدارة إجراءاتها في تقدير الدخل لا يمكن للمكلف تقديم اعتراضه. وعليه، لا يمكن للمكلف الاعتراض على التقدير الاحتياطي الذي تلجأ إليه الإدارة لضمان تحصيلها للدين الضريبي (أبو صباح، غرايبة، 2018).

وبناء على ما سبق، فإن قرارات التدقيق وقرارات التدقيق الإداري يجب الطعن عليها ابتداءً أمام هيئة الاعتراض، وقرار هيئة الاعتراض هو الذي يطعن عليه أمام هذه المحكمة، وبخلاف ذلك ترد الدعوى شكلًا كون الدعوى سابقة لأوانها.

كما ترد الدعوى شكلًا إذا كان المدعي (المكلف) قد قام بالموافقة على أي من القرارات موضوع الدعوى، حيث يصبح هذا الاتفاق خارج ولاية المحكمة.

وأخيرًا، نلحظ أن قانون ضريبة الدخل رقم 28 لسنة 2009م، لم يكن يجيز للمدعي إثارة أي أسباب في طعنه أمام المحكمة إلا إذا كان قد أثارها أمام هيئة الاعتراض، وقد تم إلغاء هذا النص في ظل قانون ضريبة الدخل رقم 34 لسنة 2014م، وأصبح الطعن مطلقًا أمام المحكمة.

5. اختصاص دعاوى ضريبة الدخل في مصر:

تختلف أحكام الاختصاص في نظر دعاوى ضريبة الدخل منذ صدور حكم المحكمة الدستورية العليا بتاريخ 25 يوليو 2015م في القضية رقم 70 لسنة 35 قضائية «دستورية» عن أحكام الاختصاص قبل صدوره، ويمكن أن نبين ذلك على النحو التالي:

أ. الاختصاص القضائي قبل صدور حكم المحكمة الدستورية العليا:

كانت المحكمة الابتدائية في مصر تختص بنظر الدعوى الضريبية أيًا كانت قيمة الضريبة، حتى وإن انحصر النزاع في تحديد مقدار الخسائر الجائز ترحيلها، وحتى لو لم تبلغ نصاب المحكمة الابتدائية، وفي هذا خروج على قواعد الاختصاص القيمي للمحكمة (مقبل، 1999: 455).

كما كان اختصاص المحكمة الابتدائية ينحصر في نظر الطعون الموجهة لقرار لجنة الطعن؛ بحيث لا يتعين عليها تجاوز حدود الاعتراضات التي سبق أن عرضها الممول على لجنة الطعن وأصدرت قرارًا فيها، بل إن اختصاصها بالنظر في أمر الطعن الموجه إلى قرار اللجنة لا يتعدى الوقوف على ما إذا كان القرار قد صدر موافقًا لأحكام القانون أو مخالفًا له، لأنها ليست هيئة مختصة بتقدير الأرباح ابتداء، ولا هي بداية لتحكيم القضاء في التقدير، وهذا ما ذهبت إليه محكمة النقض المصرية في أحكامها (وفا، 2005: 197).

لذا، كان في حال إصدار المحكمة حكمًا بإلغاء قرار لجنة الطعن على أساس بطلانه، تنتهي المنازعة بالقرار الذي أصدرته، وتحسم الخصومة في الطعن، ولا تملك المحكمة تقدير أرباح الممول ابتداء، وإنما لا بد من إعادة الأوراق إلى لجنة الطعن للفصل في النزاع الموضوعي (وفا: 200).

ويجب الانتباه إلى أن محكمة النقض المصرية قد أوردت استثناء على قاعدة «ما لم يسبق عرضه على لجان الطعن وبحثته، لا يجوز طرحه ابتداء أمام المحكمة»، وهذا الاستثناء يتعلق بالأمر أو الدفاع القانوني المتعلق بفرض الضريبة ونطاقها وسعرها والخضوع لها، وما لا يجوز الاتفاق على مخالفته»، حيث تختص المحكمة به ولو لم يكن معروضًا ابتداء أمام اللجنة؛ وذلك لأن الضريبة لا ترتكن في أساسها على رباط عقدي بين مصلحة الضرائب والممول، وإنما تحددها القوانين التي تفرضها، ومن حق الممول أن ينازع أمام المحكمة في مبدأ خضوعه للضريبة، باعتبار أن هذه المسألة قانونية، ولا يجوز الاتفاق على خلاف ما قضى به القانون في شأنها(وفا: 204).

والعبرة في تحديد اختصاص المحكمة كانت بما يطلب الحكم به، فلو قصر الممول طعنه في قرار اللجنة على ما قررته من تطبيق قاعدة الربط الحكمي خلال فترة معينة، ولم يتضمن الطعن فترة

أخرى، فإنه لا يجوز له أن يطعن على تلك الفترة الأخرى بعد انقضاء ميعاد الطعن لأن قرار اللجنة بشأنه يكون نهائيًا، وفي حال استأنف الحكم أمام محكمة الاستئناف فإنه لا يقبل إبداء طلبات جديدة منه، ولكن ذلك لا يمنعه من إبداء أدلة وأوجه جديدة لم يسبق طرحها على محكمة أول درجة، ما دام أن حقه في إبدائها لم يسقط (صديق، 2007: 248).

وإذا كان الطعن من قبيل الطعون الشاملة في التقدير، والتي يعترض فيها على ما جاء في قرار ربط المأمورية جملة وتفصيلًا، فإن هذا الطعن يجيز له أن يثير دفوع ولو لأول مرة أمام المحكمة، لأنها تدخل ضمن الطعن العام الشامل في التقدير(وفا: 205).

كما كان يدخل في اختصاص المحكمة إجراء تصحيح الأخطاء المادية والقانونية الواردة بقرار لجنة الطعن؛ حيث يترتب على الطعن في قرار اللجنة نقل موضوع النزاع برمته إلى المحكمة الابتدائية التي تنظر الطعن مع أسانيده القانونية وأدلته الواقعية، فتكون لهذه المحكمة –بما لها من ولاية في نظر النزاع– تدارك ما قد يكون ورد في القرار المطعون فيه من أخطاء مادية أو قانونية، ولا يحاج بشأنه بقاعدة ألا يضار الطاعن بطعنه (وفا: 203).

ب. الاختصاص القضائي بعد صدور حكم المحكمة الدستورية العليا:

صدر حكم المحكمة الدستورية العليا بتاريخ 25 يوليو 2015م في القضية رقم 70 لسنة 35 قضائية «دستورية»، بعدم دستورية نص المادة 123 من القانون 91 لسنة 2005، وبسحب اختصاص المحاكم المدنية بنظر منازعات الضرائب، وانعقاد الاختصاص أصالةً لمحكمة القضاء الإداري (مجلس الدولة)، وقد أسست حكمها على أن نص الإحالة إلى المحكمة الابتدائية الوارد في المادة (123) من قانون ضريبة الدخل المشار إليه يخالف نصوص المواد (74، 75، 168، 174) من الدستور الصادر في 25/12/2012م، والتي عهدت إلى مجلس الدولة دون غيره الاختصاص بالفصل في كافة المنازعات الإدارية، والتي تدخل ضمنها منازعات الضرائب (الجريدة الرسمية: ع31 مكرر ج).

ولما كانت المادة (190) من الدستور الحالي تنص على أن: «مجلس الدولة جهة قضائية مستقلة، يختص دون غيره بالفصل في المنازعات الإدارية.....»، وإذ كان المشرع الدستوري بنصه في عجز المادة (97) من الدستور الحالي على أن «ولا يحاكم شخص إلا أمام قاضيه الطبيعي»، فقد دل على أن هذا الحق في أصل شرعته هو حق للناس كافة تتكافأ فيه مراكزهم القانونية في سعيهم لرد العدوان على حقوقهم والدفاع عن مصالحهم الذاتية، وأن الناس جميعًا لا يتمايزون فيما بينهم فى مجال حقهم فى النفاذ إلى قاضيهم الطبيعي، ولا في نطاق القواعد الإجرائية أو الموضوعية التى تحكم الخصومة القضائية، ولا في مجال التداعي بشأن الحقوق المدعى بها وفق مقاييس موحدة عند توافر شروطها، إذ ينبغي دائمًا أن يكون للخصومة الواحدة قواعد موحدة سواء فى مجال اقتضائها أو الدفاع عنها أو الطعن في الأحكام التي تصدر فيها، وكان مجلس الدولة قد غدا فى ضوء الأحكام المتقدمة قاضى القانون العام، وصاحب الولاية العامة دون غيره من جهات القضاء فى الفصل فى كافة المنازعات الإدارية، عدا ما استثناه الدستور ذاته بنصوص صريحة ضمنها وثيقته... .

وحيث إنه لما كان ذلك، وكان النص المطعون فيه يمثل إخلالًا باستقلال السلطة القضائية، وينتقص من اختصاص مجلس الدولة، باعتباره صاحب الولاية العامة دون غيره بالفصل في كافة المنازعات الإدارية وقاضيها الطبيعي... .

فلهذه الأسباب، حكمت المحكمة :

– **أولا**: بعدم دستورية نص المادة (123) من قانون الضريبة على الدخل الصادر بالقانون رقم 91 لسنة 2005.

– **ثانيًا**: سقوط عبارة «أمام المحكمة الابتدائية» الواردة بعجز الفقرة الثانية من المادة (122) من القانون ذاته.

الخاتمة

من خلال العرض السابق، يختتم الباحث هذا العمل البحثي بعدد من النتائج والتوصيات:

أولًا/ النتائج:

1. تأثر المشرع الفلسطيني عند سنه لقانون ضريبة الدخل رقم (17) لسنة 2004م، بالتشريع الأردني رقم (25) لسنة 1964م بشأن ضريبة الدخل، والذي كان ساريًا في الضفة الغربية قبل سريان ونفاذ القانون الوطني، ورغم مراجعة المشرع الأردني مواقفه وتصحيحها، إلا أن المشرع الفلسطيني لم يقم بخطوة مماثلة رغم إصداره القرار بقانون رقم (8) لسنة 2011م.

2. لم يوفر المشرع الفلسطيني الحماية الكافية للمكلف بالضريبة على الدخل، سواء في القانون أو القرار بقانون، ولم يحقق التوازن التشريعي بين طرفي العلاقة الضريبية.

3. اتسمت اللجان المختصة بالنظر في الاعتراضات بالطبيعة الإدارية البحته، ولم يراعِ في تشكيلها الاختصاص القانوني في أي من أعضائها، ومع ذلك فإن المشرع الفلسطيني لم يتعامل في إجراءات الطعن عليها على أنها قرارات إدارية، فلا هو جعل اختصاص الطعن عليها أمام المحكمة الإدارية على غرار الحال في مصر بعد صدور حكم المحكمة الدستورية العليا، ولا هو جعل اختصاصها أمام محكمة ضريبية ابتدائية على غرار ما أخذ به المشرع الأردني.

4. حرم المكلف الفلسطيني في قضايا الضرائب من التقاضي على درجتين.

5. جرى تقييد سلطة المحكمة المختصة في نظر الدعوى بقيود عديدة، تجعل قدرة المكلف على الاستفادة منها محدودة.

6. لم يحدد المشرع طرقًا للطعن في المسائل القانونية المتعلقة بهذه الضريبة.

ثانيًا/ التوصيات:

يخرج الباحث من هذه الدراسة بعدد من التوصيات، أهمها:

1. نوصي المشرع الفلسطيني بتعديل مواقفه الخاصة بتحقيق التوازن المطلوب بين المكلف والإدارة الضريبية، لما له من أثر عظيم في تعزيز الثقة ورفع مستوى الامتثال الضريبي، ومن صور ذلك: النص التشريعي على تشكيل لجان الاعتراض بما يضمن حياديتها.

2. تعزيز البعد القانوني إلى جانب البعد الإداري في لجان الاعتراض.

3. عدم حصر الحق في الاعتراض فيمن فرضت عليه الضريبة فقط، وإنما إتاحته لكل ذي صفة أو مصلحة فيها.

4. ألا تكون سلطة المقدِّر جوازية في بناء قناعته الخاصة بتمديد مدة الاعتراض، وأن تصبح إلزامية في أحوال معينة كالسبب القاهر.

5. أن يكون إجراء إعادة النظر بناء على طلب المكلف في التقدير المخالف للقانون وجوبيًا وليس جوازيًا للوزير أو من يفوضه خطيًا.

6. ضرورة إجراء التعديل التشريعي اللازم لإعادة بناء منظومة القضاء الضريبي بحيث يتم:

7. تشكيل محكمة بداية ضريبية ذات ولاية واختصاص عام.

8. تشكيل محكمة استئناف ضريبي.

9. تشكيل نيابة ضريبية.

10. تأهيل المحاكم والنيابة الضريبية بالنظر في كافة الجوانب الضريبية، جزائية كانت أو حقوقية أو إدارية، مع تأهيل الكادر تأهيلًا علميًا كافيًا للاضطلاع بهذا الدور.

11. التدخل التشريعي بتعديل نص (م29) من القرار بقانون لسنة 2011م، المتعلق بالطعن لدى محكمة استئناف قضايا ضريبة الدخل، واختصاصاتها وولايتها بالنظر في الطعون، بحيث تنظر كمحكمة قانون في كل ما يتعلق بالدعوى، لا سيما وأن لجان الاعتراض هي لجان إدارية بحته ولا تملك سلطة الفصل في المسائل القانونية.

أولاً/ المصادر والمراجع العربية:

- قانون ضريبة الدخل الأردني رقم 34 لسنة 2014م
- القرار بقانون رقم 8 لسنة 2011م بشأن ضريبة الدخل وتعديلاته.
- قانون ضريبة الدخل الأردني رقم 28 لسنة 2009م وتعديلاته.
- قانون الضريبة على الدخل المصري رقم 91 لسنة 2005م
- قانون ضريبة الدخل رقم 17 لسنة 2004م.
- قانون أصول المحاكمات المدنية والتجارية رقم 2 لسنة 2001م.
- الجريدة الرسمية – مصر (ع31 مكرر ج) بتاريخ 2 أغسطس 2015م.
- أبو صباح، أحمد – غرايبة، محمد، الاعتراض الإداري على وعاء الضريبة، مجلة المنارة، المجلد 24، ع2، 2018م.
- الفرا، د/ عبد الله، الوجيز في أصول المحاكمات المدنية والتجارية، ج2 الخصومة والحكم، ط1، 2014م، مكتبة القدس، غزة– فلسطين.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد، كتاب العين، ج8، مؤسسة دار الهجرة، ط2، 1410هـ.
- المقري، أحمد بن محمد بن علي الفيومي، المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، دار المعارف– القاهرة، ط2.
- النقيب، فضل، تقييم أولي للنظام الضريبي في الضفة الغربية وقطاع غزة، معهد أبحاث السياسات الاقتصادية الفلسطيني (ماس)، تشرين ثان 1996م.
- صديق، د/ رمضان، بعض النصوص الضريبية المشتبه فيها دستوريًا على ضوء الأحكام الحديثة للمحكمة الدستورية العليا، مجلة البحوث المالية والضريبية، الجمعية المصرية للمالية والضرائب، مصر، ع66، 2010م.
- صديق، د/ رمضان، الأحكام العامة لقانون الضريبة على الدخل رقم 91 لسنة 2005م، دار النهضة العربية– القاهرة، ط2007م.
- عطية، قدري نقولا، ذاتية القانون الضريبي وأهم تطبيقاتها، ط1960م، بدون دار نشر.
- علاونة، د/ عاطف، الأمر العسكري 1342 بين تشجيع الاستثمار والمتطلبات الأمنية، مؤسسة الأفق، نابلس، 1992م.
- مقبل، د/ عبد الهادي، من تشريعات الضرائب المصرية، ج1، مكتبة جامعة طنطا، 1999م.
- وفا، د/ عبد الباسط، المنازعات الضريبية وفقًا لأحكام قانون الضريبة على الدخل رقم 91 لسنة 2005م، دار النهضة العربية، بدون سنة نشر.
- الأبعاد الاجتماعية للضريبة في قطاع غزة، مركز الميزان لحقوق الإنسان، غزة–فلسطين، يوليو 2011م.

ثانياً/ ترجمة المصادر والمراجع العربية:

- *Jordanian Income Tax Law No. 34 of 2014*
- *Decision of Law No. 8 of 2011 regarding income tax and its amendments.*
- *Jordanian Income Tax Law No. 28 of 2009 and its amendments.*
- *Egyptian Income Tax Law No. 91 of 2005*
- *Income Tax Law No. 17 of 2004.*
- *Civil and Commercial Procedures Law No. 2 of 2001.*
- *The Official Gazette - Egypt (p 31 bis c) on August 2, 2015.*
- *Abu Sabah, Ahmad - Gharaibeh, Muhammad, the administrative objection to the tax base, Al-Manara Magazine, Volume 24, p2, 2018.*
- *Al-Farra, Dr. Abdullah, Al-Wajeez in the Origins of Civil and Commercial Trials, Part 2 Dispute and Governance, 1st Floor, 2014 AD, Al-Quds Library, Gaza - Palestine.*
- *Al-Farahidi, Khalil Bin Ahmed, Kitab Al-Ain, Vol. 8, Dar Al-Hijrah Foundation, 2nd edition, 1410 AH.*
- *Al-Maqri, Ahmed bin Muhammad bin Ali Al-Fayoumi, the enlightening lamp in Gharib Al-Sharh Al-Kabeer, Dar Al-Maaref - Cairo, 2nd floor.*
- *Al-Naqeep, Fadl, preliminary evalu-tion of the tax system in the West Bank and Gaza Strip, Palestinian Economic Policy Research Institute (MAS), November 1996.*
- *Sedeeq, Dr. Ramadan, some cons- titutionally suspected tax texts in the light of recent rulings of the Supreme Constitutional Court, Journal of Financial and Tax Research, Egyptian Association for Finance and Taxes, Egypt, p. 66, 2010.*
- *Sedeeq, Dr. Ramadan, General Pro- visions of the Income Tax Law No. 91 of 2005 AD, Arab Renaissance House - Cairo, 2007 AD.*
- *Attia, Qadri Nicola, Subjective Tax Law and its Most Important Applications, 1960 AD, without publishing house.*
- *Alawneh, Dr. Atef, Military Order 1342 Between Investment Promotion and Security Requirements, Al-Ofoq Instit- ution, Nablus, 1992.*
- *Muqbel, Dr. Abdel Hadi, from the Egyptian Tax Legislation, Part 1, Tanta University Library, 1999 AD.*
- *Wafa, Dr. Abdul Basit, Tax disputes in accordance with the provisions of the Income Tax Law No. 91 of 2005, the Arab*

Renaissance House, without a year of publication.

- *Social Dimensions of Tax in the Gaza Strip, Al-Mizan Center for Human Rights, Gaza-Palestine, July 2011.*

ثالثًا/ المراجع الأجنبية:

- *(TBOR 2015),Taxpayer Rights Act in Section 7803 / A of the US Internal Revenue Code.*
- *Okello ,Andrew, Managing Income Tax Compliance through Self-Assessment, IMF Working Paper, International Monetary Fund, WP/14/41, 2014.*
- *Roberson, Andrew R. , McDermott Will & Emery LLP, The Taxpayer Bill of Rights: A Primer and Thoughts on Things to Come, ABA TAX TIMES, Spring • May 2018 • Vol. 37 No. 3.*
- *Tieghi,Giovanna, the Inaugural International Taxpayer Conference on Taxpayer Rights in Washington, DC, on November 18, 2015.*
- *Thuronyi,Victor, ed.Tax Law Design and Drafting ,volume 1; International Monetary Fund, 1996; Chapter 2, Legal Framework for Taxation.*
- *World Bank Group, The Administrative Review Process for Tax Disputes: Tax Objections and Appeals in Latin America and the Caribbean A Toolkit.*

رابعًا/ المواقع الالكترونيية:

- الزيود، د/حمد، المعهد القضائي الأردني، المنازعات الضريبية، على الرابط الالكتروني:

http://www.jij.gov.jo/sites/default/files/lhqyb_lqtsdy_2_dryb_q.d._hmd_lzywd_0.ppt

- مصلحة الضرائب الأمريكية:

https://www.irs.gov/taxpayer-bill-of-rights

سياسة حسن نوايا العرب تجاه بريطانيا وفرنسا لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة في بلاد الشام بين الأعوام (1914 - 1922م)

The Policy Adopted by Arabs to Gain their Rights to Freedom, freedom, independence, and Unity in The Levant (between 1914 and 1922)

مؤيد توفيق حيدر
أستاذ مساعد/ جامعة الزرقاء/ الأردن

Moyad Tawfiq Haider
Assistant Professor/Zarqa University-- Jordan
Moyad_tawfiq@yahoo.com

تاريخ الاستلام: 27/ 5/ 2019م، **تاريخ القبول:** 15/ 5/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 27/ 5/ 2019, **Accepted:** 15/ 5/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-006
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

ملخص:

تهدف الدراسة إلى تسليط الضوء على السياسة التي اتبعها العرب لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة في بلاد الشام بين الأعوام(1914 – 1922م)، من الطامعين ببلاد الشام خاصة بريطانيا وفرنسا. وستركز الدراسة على نتائج مراسلات الشريف الحسين–مكماهون، ومدى تحقيق ما تم الاتفاق عليه، وتجربة الأمير عبد الله بن الحسين لتحقيق استقلال شرقي الأردن. وتناولت الدراسة أيضا الجهود السياسية التي بذلها قادة الحركة الوطنية الفلسطينية في تحقيق مطالب الشعب الفلسطيني، والتي انبثقت من المطالب العربية العامة من المحتل البريطاني.كما تناولت مدى تحقيق تلك المطالب ودور نواياهم الحسنة تجاه بريطانيا لتحقيق مطالبهم، ودور الحركة الوطنية السورية واللبنانية في الغرب والنوايا الحسنة تجاه فرنسا لتحقيق استقلال بلاد الشام.

الكلمات المفتاحية: سياسة حسن النوايا، بريطانيا، فرنسا، الحرية والاستقلال والوحدة، بلاد الشام.

Abstract:

The study aims to shed light on the policy adopted by Arabs to gain their rights to freedom, independence and unity in the Levant (between 1914 and 1922) from those who had greed in the Levant, especially Britain and France. The study will focus on the results of the correspondence of Sharif Al Hussein with McMahon, the extent of achieving what has been agreed upon, and the experience of Prince Abdullah Bin Al Hussein to achieve the independence of eastern Jordan. The study also deals with the political efforts exerted by the leaders of the Palestinian National Movement in achieving the demands of the Palestinian people, which stemmed from the general Arab demands of the British occupiers. It also addresses the extent to which these demands were met and the role of their good intentions towards Britain to achieve their demands, and the role of the Syrian and Lebanese national movement in the West and good intentions towards France to achieve the independence of the Levant.

***Key words**:: Goodwill Policy, Britain, France, Freedom, Independence and Unity, Levant.*

المقدمة(1):

لم تكن هنالك علاقات عربية غربية في العصر الحديث؛ لأن العرب كانوا جزءاً من الدولة العثمانية. وعندما تم الانقلاب عليها عام 1908م من جماعة الاتحاد والترقي، لم تقم علاقات بين العرب والغرب على أساس الود الحقيقي والتناغم في ما بينهم. فقد نظر الغرب للعرب من مناظير المصالح غير المعلنة لتحقيق أهدافهم في منطقة بلاد الشام ذات الموقع الاستراتيجي والتجاري. وكان العرب ينظرون إلى الغرب بمنظور إقامة علاقات صداقة وودية قائمة على حسن النوايا،لتحقيق مطالبهم في الحرية والاستقلال والوحدة، نتيجة ظلم جماعة الاتحاد والترقي، الذين اتبعوا سياسة التتريك ضد العرب منذ أن وصلوا إلى سدة الحكم عام 1908م، وتبنيهم سياسة اضطهادية ضد العرب (الموسى، 2007؛ عبد، 2018). فجعلالعرب يفكرون بإقامة علاقات مع الدول الغربية، للتحالف معها في الحرب العالمية الأولى ضد جماعة الاتحاد والترقيللتخلص منهم، معتمدين على حسن نواياهم تجاه الغرب. ومن هنا جاءت أهمية هذه الدراسة.

أما بالنسبة لإشكالية الدراسة، يمكن تحديدها بما يلي:

- هل استفادالعرب من تجارب الدولة العثمانية في بناء علاقاتها مع الغرب؟
- لماذا تبنى العرب سياسة النوايا الحسنة تجاه الغربلتحقيق المطالب العربية في الحرية والاستقلال والوحدة؟
- هل كانت سياسة النوايا الحسنة بحجم المطالب العربية، وقادرة على تحقيق مطالبهم في الحرية والاستقلال والوحدة؟
- هل كانت سياسة النوايا الحسنة قادرة على ردع السياسة البريطانية الفرنسية تجاه العرب، بعد فشلهم في تحقيق المطالب العربية في الحرية والاستقلال والوحدة؟

مكونات الدراسة:

تكونت الدراسة من مقدمة، وتمهيد، وأربعة مباحث وخاتمة وقائمة للمصادر والمراجع. بالنسبة للمباحث، تناول المبحث الأول الشريف الحسين بن علي وحسن نواياه تجاه بريطانيا؛ لنيل حقوق العرب بين الأعوام (1914 – 1922م). وتناول المبحث الثاني الأمير عبد الله بن الحسين وحسن نواياه تجاه بريطانيا؛ لنيل استقلال شرقي الأردن بين الأعوام (1920 – 1922م). وتحدث المبحث الثالث عن قادة الحركة الوطنية الفلسطينية وحسن نواياهم تجاه بريطانيا لنيل حقوقهم بين الأعوام (1914 – 1922م). أما المبحث الرابع، فقد استعرض الحركة الوطنية السورية واللبنانية في الغرب، وحسن نواياه اتجاه فرنسا لنيل حقوقها بين الأعوام (1914 – 1922م). وفي الخاتمة، استعرضت أهم النتائج التي توصلت إليها الدراسة؛ واشتملت قائمة المصادر والمراجع على المصادر والمراجع التي استخدمت في هذه الدراسة.

أهداف الدراسة:

1. رفد المكتبة العربية بدراسة علمية حول سياسة حسن نوايا العرب تجاه بريطانيا وفرنسا؛ لنيل حقوقهم في الحرية والوحدة والاستقلال في بلاد الشام بين الأعوام (1914 – 1922م)، لتحقيق مطالب العرب، والتي لم تبحث سابقاً في أي دراسة في حدّ علم الباحث.
2. تنبيه الأجيال الحالية والقادمة إلى أن سياسة حسن النوايا يجب أن لا تكون مفرطة، ولكن يجب أن تكون منضبطة؛غايتها تقديم المصالح العربية العامة، وجعل نوايا الغرب في إطار الحذر والشك.
3. تسليط الضوء على أن الغرب ينظرون إلى العرب بمنظار المصلحة لا بمنظار إقامة علاقة ودية بينهم.

4. تنبيه الساسة العرب إلى تبني سياسة جديدة في التعامل مع الغرب.

5. خلق جيل جديد يعمل على رفض اتباع سياسة حسن النوايا تجاه الغرب بمطلقه، وجعل نواياها في إطار الشك والحذر.

6. الكشف عن جانب من السياسات الغربية المجحفة بحق العرب، رغم صدق العرب في إقامة علاقات ودية معهم.

تمهيد:

لماذا أطلقت الدراسة مصطلح "السياسة" على الوسيلة التي اتبعها العرب في التعامل مع الغرب لنيل حقوقهم؟ للإجابة على هذا التساؤل، نجد أن القيادات العربية ساست العرب لتحقيق طموحهم في الحرية والاستقلال والوحدة، من خلال وسيلة سياسة حسن النوايا تجاه بريطانيا وفرنسا بشكل خاص، والغرب بشكل عام. هذا من جهة، ومن جهة أخرى، لماذا استخدمت الدراسة عبارة حسن النوايا في تعاملهم مع الغرب، مع أن الغرب كانت علاقاتهم مع العرب سيئة مبنية على استغلال ثروات العرب؟ إذن، لماذا لم يأخذ العرب العبرة من تاريخهم في علاقاتهم مع الغرب؟ سواء الأحداث التي وقعت بين الأعوام (1099 – 1187م) أي أحداث الحروب الصليبية وماهيتها في بلاد الشام أو أحداث احتلال فرنسا لمصر وبلاد الشام عام 1798م وفشلها عام 1801م من خلال حملة نابليون، وأهدافها نحو دعوة يهود العالم، وبالأخص يهود أسيا وأفريقيا لإعادتهم إلى فلسطين (العقرباوي، 2010).

لماذا لم يستفد العرب من علاقة الدولة العثمانية مع الغرب؟ وهي التي قامت على تدخل الغرب في الشأن العثماني الداخلي، حتى وصل بهم الأمر إلى دعم محمد علي باشا بالاستقلال بمصر عن الدولة العثمانية، وصولاً إلى توسعاته التي شملت السودان، وأجزاء من ليبيا، وأجزاء من شبة الجزيرة العربية، وبلاد الشام، حتى كاد يهدد عاصمة الدولة العثمانية. فعندما شعروا أنه أصبح يهدد مصالحهم أجبروه على التراجع والعودة إلى مصر من خلال مقررات مؤتمر لندن الأول والثاني في عامي (1840 – 1841م) (أبو جبل، ومحمد، 2008؛ رافق، 1982؛ الموسى، 2007).

ولماذا لم يستفد العرب من معاناتهم واستغلال خيراتهم في البلاد التي خضعت للاحتلال الفرنسي كالجزائر عام 1830م، وتونس عام 1881م، واحتلال بريطانيا لعدن عام 1839م، ومصر عام 1882م؟ (الجميل، 1991؛ أبو جبل، ومحمد، 2008).

ألم يسمع العرب بمؤتمر الحركة الصهيونية الأول عام 1897م الذي دعمه الغرب، والهدف منه إقامة وطن قومي يهودي في فلسطين؟ عدا عن ذلك، تشجيع الهجرة إلى فلسطين وغيرها وشراء الأراضي في فلسطين خاصة، وأية منطقة عربية أخرى، حتى التقت المصلحة الصهيونية مع المصلحة الاستعمارية. وهذا ما جسده مؤتمر كامبل بانرمان (Campbell Bannerman) الذي استمرت جلساته بين الأعوام (1905 – 1907م)، الذي شخّص الحال في بلاد الشام بأنها تمتلك عناصر القوة ومنها اللغة والتاريخ والدين وغيرها. وتوصلوا إلى حل يضمن تفوق المستعمر عليها من خلال إقامة دولة عازلة تفصل الجناح الأفريقي عن الجناح الآسيوي، وتكون صديقة للغرب وعدوة للعرب. فكان أن التقت المصلحة الصهيونية مع مصلحة المستعمر (وزارة الإرشاد القومي، ج1، 1969؛ منظمة التحرير الفلسطينية، 1987).

بعد كل هذه الحقائق، لماذا أغفل العرب تلك الحقائق القديمة والحديثة التي عايشوا بعضها؟ ولماذا تبنوا سياسة حسن النوايا تجاه الغرب لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة؟

لا بد أن هناك أسباباً عدةً جعلتهم ينسون كل ذلك ليواجهوا خطراً أكبر. وبعد استقراء الأوضاع والأحداث التي عايشها العرب قبيل إعلان الثورة العربية الكبرى، **نجد أن الأوضاع والأحداث كانت كما يلي**:

- **أولاً**: وصول جماعة الاتحاد والترقي إلى سدة الحكم عام 1908م في الدولة العثمانية، الذي أدى إلى عزل السلطان عبد الحميد الثاني. وقد اتبعت سياسة عنصرية (طورانية) عرفت بسياسة التتريك ضد العرب. وكان ذلك بفرض اللغة التركية بدلاً من اللغة العربية، وتتريك وظائف الدولة وإخراج العرب من الإدارة. كما نتج عنها الوقوف ضد حرية واستقلال العرب في إدارة أنفسهم بأنفسهم، وتجنيد أبناء العرب في غير مناطقهم، واتباع سياسة القمع والإرهاب من خلال الإعدامات والنفي والقتل والتسميم لكل من يرفض سياسة جماعة الاتحاد والترقي بقيادة جمال باشا السفاح (القبلة، ع11). هذا، بالإضافة إلى تعاونها مع الحركة الصهيونية لتسهيل الهجرة وشراء الأراضي لليهود في فلسطين خاصة والمنطقة العربية عامة (طوران، 1985)؛ مما جعل العرب يطالبون بالحرية والاستقلال والوحدة، والتي تجسدت في النهاية بقيام الثورة العربية الكبرى التي انطلقت في 10 حزيران 1916م (القبلة، ع11).

- **ثانياً**: وفي عام 1915م، اشتد الخلاف بين شريف مكة، الحسين بن علي، وحكومة جماعة الاتحاد والترقي. وكان محور الخلاف قيام حكومة جماعة الاتحاد والترقي بتتريك الولايات العربية، إدارة وتعليماً؛ مما زاد الشعور القومي العربي ضدها. وكانت ولاية الحجاز إحداهن من حيث تعميق السياسة المركزية. وبذلك أصبح الحسين بن علي شريف مكة، مع الوطنيين القوميين في بلاد العرب الأخرى؛ خاصة العراق وبلاد الشام؛ صفاً واحداً لمواجهة خطر سياسة جماعة الاتحاد والترقي (وهيم، 1982).

- **ثالثاً**: أما بريطانيا فقد كانت تواجه عقبات عسكرية من تركيا وألمانيا؛ مما دفعها إلى التحالف مع الشريف الحسين بن علي ومن يقف معه؛ للتغلب على تلك العقبات. أي التقاء مصالح بريطانيا مع مصلحة العرب بقيادة شريف مكة، الحسين بن علي. واتفقا على العمل معاً من خلال مراسلات الشريف الحسين– مكماهون. وتمخّض عن ذلك ما عُرف تاريخياً بالثورة العربية الكبرى (السباعي، 1387).

- **رابعاً**: كان للأمير عبد الله بن الحسين دور كبير في إقناع والده للقيام بالثورة متعاوناً مع بريطانيا؛ لأنه كان يعلم بأن الجمعيات السرية ستتعاون مع الثورة، بالإضافة إلى المراسلات التي تمت بينه وبين السير رونالد ستورز Ronald Storrs 1881–1955م السكرتير الشرقي لدار الحماية في القاهرة، في أيلول 1914م؛ وفيها عرض مساعدة العرب لنيل حقوقهم (الدجاني، 1936)، فكان هذا عاملاً من العوامل التي شجعت الشريف الحسين بن علي الدخول في مفاوضات مع بريطانيا. والعامل الآخر قيام رجالات جمعيتي العربية الفتاة[2] والعهد[3] بعقد اجتماع سري في

آذار 1915م في منزل شكري باشا الأيوبي (1851 – 1922م)[4]. وفي نهاية الاجتماع، توصلوا إلى بروتوكول دمشق الذي نص على تحديد حدود الاستقلال العربي، وإلغاء الامتيازات الأجنبية، وعقد معاهدة تحالف دفاعي بين بريطانيا والدولة العربية (الكيالي، 1999)، وطالبوا بإعلان وقيادة الثورة لتحرير البلاد العربية من جماعة الاتحاد والترقي (سعيد، مج1، (د. ت)).

- **خامساً**: أمل العرب في الغرب أنهم قد يغيرون الحال لصالح العرب في هذه المرحلة؛ لأنهم يدركون أن الغرب بحاجة للعرب في الحرب العالمية الأولى(5).
- **سادساً**: توسع آل سعود الذي أصبح يهدد وجود الهاشميين في منطقة الحجاز. خاصة عندما قام الشريف الحسين بن علي بثورته، كان موقف عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود منها موقفاً حذراً؛ أي أقرب ما يكون إلى الحياد. وسبب ذلك أنه كان يخشى أن تصبح تلك الثورة وسيلة لتقوية الشريف الحسين بن علي مستقبلاً، فيهدد حكمه. فكان لا بد لعبد العزيز آل سعود أن يفاتح المسؤولين البريطانيين في الخليج العربي بشأنها؛ فطمأنته بريطانيا أنه لن يقع عليه أيُّ اعتداء؛ لذا تبادل عبد العزيز آل سعود الرسائل الودِّية والهدايا مع الشريف الحسين بن علي، وسمح لأتباعه بالانخراط في جنديته (الريحاني، 1981؛ إبن هذلول، 1961). لكن هذه العلاقة كانت مؤقتة؛ بسبب بقاء الخلاف الأصلي بين آل سعود مع الشريف الحسين بن علي دون حل نهائي. ويكمن هذا الخلاف بينهما في أن الشريف الحسين بن علي يعتبر واحتيْ تربة والخرمة قريتين حجازيتين، تفصل البادية بينهما وبين نجد. ويرى الأمير عبد العزيز آل سعود أنهما نجديتان؛ لأن جبل حضن (مرة حضن) هو الحد الطبيعي الفاصل بين نجد والحجاز (آل سعود، 1402هـ).

وقد زاد استمرار كل من الطرفين في سياسة حسن النوايا تجاه الغرب من حدة الخلاف بين الشريف الحسين بن علي وعبد العزيز آل سعود، وتهديد أمن مملكة الحجاز عندما أعلن الشريف الحسين بن علي الحجاز مملكة في 1 محرم 1335هـ/ 28 تشرين الأول 1916م (وهيم، 1982). فبناءً على ذلك أعلن الحسين بن علي نفسه ملكاً للبلاد العربية كلها؛ فزاد هذا الأمر من مخاوف عبد العزيز آل سعود؛ لذا قام ممثِّل بريطانيا في الخليج العربي السير برسي كوكس(Percy Cox) بدعوته إلى البصرة. وتوصل هذا الاجتماع إلى ما يلي: تخصيص مساعدة مالية شهرية له، وإمداده بشيء من الأسلحة، وضمان عدم تدخل الملك الحسين بن علي في شؤونه الخاصة أو التحدُّث باسم العرب باعتباره ملكاً عليهم (وهيم، 1982)؛ على ألاَّ يقوم عبد العزيز آل سعود بأي نشاط ضده (الزركلي، ج1، 1390هـ).

ولعل من أسباب قيام بريطانيا بذلك خشيتها من أن يفتح الأمير عبد العزيز آل سعود جبهة ضد الملك الحسين بن علي، الذي كانت تعتمد عليه كثيراً ضد جماعة الاتحاد والترقي في الحجاز وبلاد الشام والعراق (العثيمين، ج2، 2009).

وفي عام 1917م توترت العلاقات بينهما؛ بسبب الخلاف الحدودي على ملكية تربة والخرمة ورنية (إبن هذلول، 1961)، بالإضافة إلى تخوف الملك الحسين بن علي من خطر توسع آل سعود بضم الحجاز إلى المناطق التي استطاعوا السيطرةعليها كالإحساء والقطيف والهفوف في عامي (1913 – 1914م). ثم زاد تخوفه عندما دخلت عسير عام (1919م) وجبل شمر عام (1921م) تحت سيطرتهم، حيث بقيت الحجاز خارج سيطرة آل سعود(الأنصاري، 1960؛ العقيلي، 1402هـ ؛إبن هذلول، 1961).

الشريف الحسين بن علي وحسن نواياه الحسنة تجاه بريطانيا لنيل حقوق العرب بين الأعوام (1914 – 1922م):

كانت مراسلات الشريف الحسين– مكماهون مثالاً واضحاً على إقامة العرب علاقة أو تحالفاً ضد جماعة الاتحاد والترقي لنيل حريتهم واستقلالهم ووحدتهم في دولة عربية واحدة، كما نصت على ذلك المراسلات. خاصة، في الرسالة الأولى للشريف الحسين وصولاً إلى الرسالة الأخيرة التي أرسلها مكماهون للشريف الحسين، يوضح فيها موافقة بريطانيا النهائية على إقامة دولة عربية تضم الحجاز وبلاد الشام والعراق، مقابل دخول العرب الحرب العالمية الأولى إلى جانب الحلفاء(الكيالي، 1999).

لكن هذا التحالف قام من جهة العرب على سياسة حسن النوايا، فلم يُوقع العرب اتفاقية لا مع بريطانيا ولا مع دول التحالف، حتى يحفظ العرب حقوقهم كاملة، وتكون معروفة للجميع حتى لا يفكروا بفرض هيمنتهم على المنطقة.

رغم ذلك، استطاعت الثورة العربية الكبرى تحقيق أهدافها العسكرية بالسيطرة على بلاد الحجاز والأردن وسوريا ولبنان. ولكنها لم تحقق أهدافها السياسية التي بنيت على حسن نوايا العرب تجاه بريطانيا. فما أن انتهت الحرب العالمية الأولى، وعقد مؤتمر السلم العالمي (مؤتمر فرساي) في فرساي عام 1919م، شارك العرب بهذا المؤتمر ومثلهم الأمير فيصل بن الحسين على أساس نيل مطالب العرب. فتفاجأوا هناك أن دول الحلفاء لم تعترف بمطالب العرب في الحرية والاستقلال والوحدة معاً، متنكرين لما التزمت به بريطانيا حسب مراسلات الشريف الحسين– مكماهون في مطلب الوحدة؛ أي أن العرب حققوا من خلال ثورتهم جانباً من أهدافهم السياسية وهي الحرية والاستقلال، ولكن دول الحلفاء كانت ضد أن يكون العرب في دولة واحدة؛ لذا لم يحقق العرب المطلب المهم وهو الوحدة (العقرياوي، 2016)؛ أي إقامة دولة عربية في بلاد الشام والحجاز والعراق؛ لان الغرب يرى وحدة العرب خطراً عليهم. فهم لا يريدون تكرار التجارب السابقة في وحدة العرب المسلمين في عهد صلاح الدين الأيوبي، الذي استطاع توحيد هذه المنطقة (مصر والحجاز وبلاد الشام والعراق)، التي كانت الركيزة الأساسية من ركائز استراتيجيته في مواجهة الفرنجة. وقد نجح في الحد من نفوذهم، واسترد بيت المقدس من أيديهم بعد احتلال دام ما يقارب (88) سنة (محاسنة والطراونة والرويضي والعمايرة 2002).

لذلك حاربت فرنسا الأمير فيصل وأخرجته من سوريا بعد معركة ميسلون في تموز 1920م (محاسنة، 2010)، واقتصروا على إقامة حكومتين بقيادات هاشمية في شرق الأردن والعراق. وهكذا انتهت آمال العرب عبر هذا المخطط الغربي الذي بني على الخداع والكذب والتنكر، مقابل قيام العرب بتحقيق مطالبهم عبر نواياهم الحسنة تجاه دول الحلفاء عامة، وبريطانيا خاصة، عبر مراسلات الشريف الحسين– مكماهون السرية مع بريطانيا.

أما فرنسا، فقد برزت أطماعها من خلال ما ذكر في تلك المراسلات، في رسالة هنري مكماهون (Henry McMahon) في 13

كانون الأول 1915م رداً على رسالة الشريف الحسين. وفي هذه الرسالة خطورة كبيرة، عندما أعلن فيها أن ولايتي حلب وبيروت فيهما مصلحة لفرنسا داخلة فيه (الكيالي، 1999).

فكان رد الشريف الحسين في الأول من كانون الثاني 1916م على هذه الرسالة بقوله إن المناطق الشمالية وسواحلها لن يتم التعديل عليها، لكن سيتم غض الطرف عنها؛ حتى يتم تحقيق أمنيات العرب، وتتم مطالبة فرنسا بها فيما بعد (الكيالي، 1999؛ منظمة التحرير الفلسطينية، 1987). وهذا يشير إلى أن العرب سيفاوضون فرنسا فيما بعد بناءً على حسن نواياهم تجاه فرنسا. ودليل ذلك أنهم لم يشركوا فرنسا في هذه المفاوضات، فكان لا بد للعرب الجلوس مع بريطانيا وفرنسا معاً، لحل الخلافات والتوصل إلى اتفاق مكتوب ومعتمد من مجلس الحلفاء. ولكن هذه النوايا الحسنة من العرب لم تجدِ نفعاً مع بريطانيا وفرنسا في نهاية الأمر، بل يدل هذا إلى حالة الضعف العربية وعدم وجود خبرة سياسية مدعومة بقوة تأثير في المفاوضات. فسارت بريطانيا في سياستها ضد العرب بخفاء، حتى وصل الأمر إلى موافقة عصبة الأمم على تطبيق الانتداب على بلاد الشام والعراق في 24 تموز 1922م (الحروب، 2001)، فبذلك يكون العرب قد خُدعوا، ولم يحققوا مطالبهم.

الأمير عبد الله بن الحسين وحسن نواياه تجاه بريطانيا لنيل استقلال شرقي الأردن فيالأعوام(1921 – 1922م):

كان الأمير عبد الله من أبناء الشريف الحسين الذي اندفع نحو انخراط العرب في الحرب العالمية الأولى بجانب الحلفاء، فقد كان على تواصل مع الشخصيات السياسية الممثلة للعديد من الأحزاب والجمعيات السرية والعلنية في بلاد الشام، الذين يفكرون بالوقوف مع الحلفاء ضد جماعة الاتحاد والترقي، للتخلص من ظلمهم وجبروتهم، وإقصائهم للعرب (الكيالي، 1999؛ يحيى، 1959).

لكن الأمير عبد الله لم ترضه النتائج التي وصلت إليها الثورة العربية الكبرى، بتنكر الغرب لمطالب العرب. فما أن أخرج الأمير فيصل من سوريا ولبنان بقوة السلاح بعد معركة ميسلون عام 1920م، حتى أخذ الأمير عبد الله يتبنى موقفاً ضد سياسة الأمر الواقع التي تبناها الحلفاء وفرض الانتداب على بلاد الشام والعراق. ومنها سوريا الجنوبية (الأردن وفلسطين)، وبنى موقفه على تجهيز حملة عسكرية ضد الوجود الفرنسي في سوريا ولبنان. بالفعل، بدأ يترجم هذا الموقف عملياً عندما تقدم نحو الأردن وبث سيطرته عليها من خلال وصوله إلى معان في 21 تشرين الأول 1920م، وعمان في 2 آذار 1921م (الموسى، 2007).حتى هذه النقطة، يلاحظ أن الأمير عبد الله لم يبنِ موقفه وتحركاته على حسن نواياه تجاه بريطانيا وفرنسا.

لكن مؤتمر المستعمرات البريطانية في القاهرة (مؤتمر القاهرة)، الذي عقد ما بين 24–12 آذار 1921م، كان هدفه العام إيجاد حلول لمشاكل المستعمرات البريطانية، وكان من ضمنها فلسطين وشرقي الأردن. وقد ناقش المؤتمر موضوع شرقي الأردن ووضع الأمير عبد الله، وموقفه من فرنسا في سوريا ولبنان. وفي النهاية، توصل إلى إخراج الأمير بالقوة، أو التعاون معه ومفاوضته على الحكم، أو التخلص منه بالاعتماد على الحكومات المحلية في الأردن التي أسسها المندوب السامي البريطاني في فلسطين هربرت صموئيل (Herbert Samuel) (توما، 1984؛ قاسية، 1974).

كانت هذه السيناريوهات الثلاثة موضوع المناقشة. ويبدو أن فكرة مواجهة الأمير عبد الله بالقوة هي فكرة القادة العسكريين المشاركين في هذا المؤتمر. أما الثاني والثالث، فيبدو أنهما وضعا من قبل قادة السياسة من أمثال هربرت صموئيل، السياسي المخضرم والذي كان يحدد مواقفه بناءً على مصالح بلاده، ولا يريدون أن يثيروا العرب قاطبة على بريطانيا؛ خاصة أن عناصر الثورة ضدها متوفرة بعد أن عرفوها على حقيقتها، وأنها تراوغ وتكذب وتسوّف وتماطل، وتطبق مبدأ فرق تسد. وهذا تجده في سياستها التي قامت على اتفاقية سايكس بيكو 1916م ووعد بلفور 1917م، وسان ريمو 1920م.بمعنى آخر، أن على الأمير عبد الله أن يأخذ هذه السياسة بالحسبان، والابتعاد عن حسن النوايا تجاه بريطانيا، خاصة عندما قرر مؤتمر المستعمرات التفاوض مع الأمير لحكم شرقي الأردن.

لكن قبول الأمير عبدالله بإجراء مفاوضات مع ونستون تشرشل (Winston Churchill) في القدس لحل الخلافات القائمة، يشير إلى أنه بدأ يعتمد على حسن نوايا بريطانيا لاستقلال شرقي الأردن. وبالفعل استمرت بريطانيا بالمماطلة والتسويف من عام 1921م حتى عام 1946م بإعلان استقلال المملكة الأردنية الهاشمية (الجريدة الرسمية، ع، 865؛ ملكون، 1947).

قادة الحركة الوطنية الفلسطينية وحسن نواياهم تجاه بريطانيا لنيل حقوقهم بين الأعوام (1919 – 1922م):

يُعد المؤتمر الفلسطيني الأول، الذي عُقد في القدس في 27 كانون الثاني –4 شباط 1919م، أول مؤتمر فلسطيني عُقد في أجواء انعقاد مؤتمر فرساي الذي يتطلع من خلاله الشعب الفلسطيني إلى الحرية والاستقلال والوحدة (زعيتر، 1984؛ الكوكب، ع، 131؛ 140).

أقر هذا المؤتمر قرارات سياسية صيغت على شكل مذكرتين تم رفعهما إلى مؤتمر فرساي. ركزت المذكرة الأولى على تفنيد مزاعم اليهود الصهاينة تاريخياً ودينياً في فلسطين، ورفض وعد بلفور. كما اشتملت على رد على ادعاء اليهود الصهاينة بوجوب عودة فلسطين إليهم لأنهم شعوب ضعيفة. وقدم هذا البيان حججاً تجعل للعرب الحق في إعادة إسبانيا وقبرص إليهم. أما ما يتعلق بالهجرة فإن بريطانيا نفسها سنت قانوناً سنة (1912 – 1914م) يمنع هجرة اليهود إلى بلادها. إضافة إلى ذلك، رفضت الولايات المتحدة الأمريكية دخول الصينيين إلى بلادها، وحكومة استراليا تمنع الآسيويين من الهجرة إليها، وهذا يعني أن للفلسطينيين الحق أن يطالبوا بمنع هجرة اليهود الصهاينة إلى فلسطين (وزارة الإرشاد القومي، ج1، 1969).

أما المذكرة الثانية فقد ركزت على اعتبار فلسطين جزءاً من سورية مرتبطة بالحكومة العربية في دمشق، ورفض أي وعد أو معاهدة جرت بحق فلسطين، واعتبارها ملغاة ولا يقبل بها. ويدعم هذا الأمر مبادئ التي وضعها رئيس الولايات المتحدة الأمريكية ويلسون (زعيتر، 1984).

عبّرت هاتان المذكرتان عن بعض مطالب الشعب الفلسطيني، معتمدة على حسن نوايا بريطانيا والمجتمع الدولي في إنصاف الشعب الفلسطيني، والتراجع عن سياستها تجاه فلسطين.رغم ذلك،

استمر قادة الحركة الوطنية الفلسطينية في هذه السياسة، سياسة حسن نواياهم تجاه بريطانيا والمجتمع الدولي. وقدبدأت بريطانيا بنشر فكرة فلسطين للفلسطينيين فقط تحت حماية بريطانيا، خوفاً من فكرة الوحدة العربية. وأخذت تبث روح التفرقة بين المسلمين والمسيحيين؛ خوفاً من اتحادهما، حيث أخذوا يذكّرون المسلمين أن هؤلاء المسيحيين ليسوا شرقيين، بل هم من بقايا الصليبيين واليونان. لكن بريطانيا فشلت في مساعيها في شق وحدة الشعب الفلسطيني (السكاكيني، ج1، 1925).

كترجمة عملية أرسل المؤتمر وفداً إلى دمشق، هدفه مقابلة الأمير فيصل ورجالات الحركة العربية، وإبلاغهم بمطالبهم لتأييدهم ومساعدتهم. وعلى الساحة الدولية، أرسل وفد إلى باريس لإسماع الصوت الفلسطيني وتقديم ما لديهم من مذكرات، ودحض مزاعم اليهود الصهاينة (زعيتر، 1984). لكن الوفدين لم يمكّنا من السفر (دروزة، مج1، ج2، 1993؛زعيتر، 1984)، لذا تم توكيل الأمير فيصل. وكان ذلك من خلال ما أرسلته الجمعية الإسلامية – المسيحية من توكيل تضمن موافقة أعضاء الجمعية الإسلامية – المسيحية في 11 آذار 1919م بالإجماع على منح سموه توكيلاً للدفاع عن فلسطين في مؤتمر فرساي(الحروب، 2001).

أما عن موقف اللجنة التنفيذية العربية تجاه إعلان المجلس الأعلى للحلفاء إحالة قرار الانتداب إلى مجلس عصبة الأمم، فقد أصدرت بياناً إلى الأمة الكريمة بينت فيه: أنه في 15 تموز 1922م ستجتمع عصبة الأمم وتنظر في صك الانتداب، وهو الحد الفاصل بين نعيم فلسطين وبؤسها، وفيه يتقرر شقاء أبنائها أو سعادتهم؛ لذا على اللجان والجمعيات والرجال والنساء والأطفال أن يكرسوا أنفسهم وعقولهم لكل عمل جدي مشروع؛ بقي شهر على ذلك، فيجب أن يكون شهر العمل لا الكسل (فلسطين، ع 488).

لم يهتم مجلس عصبة الأمم بالحراك الفلسطيني، بل وافق على صك الانتداب البريطاني على فلسطين في 24 تموز 1922م، وأصبح بذلك التزاماً دولياً (الحروب، 2001).

كان رد الحركة الوطنية الفلسطينية على ما أعلنته بريطانيا بأنها ستقيم احتفالاً من أجل الإعلان رسمياً عن الانتداب على فلسطين في 11 أيلول 1922م، أن أصدرت اللجنة التنفيذية العربية بياناً دعت فيه إلى الإضراب في 11 أيلول 1922م في كل فلسطين احتجاجاً على الاحتفال الذي سيقام في دار حكومة الانتداب. وكان الهدف من الإضراب أن تعلن الأمة رفضها للانتداب وفكرة إنشاء وطن قومي لليهود الصهاينة في فلسطين بصورة عامة. ودعت أيضا إلى ضرورة أن يكون الإضراب سلمياً، بحيث لا يعكر صفو الأمن العام (فلسطين، ع 512).

جاء البيان الذي أصدرته اللجنة التنفيذية العربية بمستوى أقل بكثير من القرار التاريخي الذي أصدرته عصبة الأمم، مستخدمة سياسة حسن النوايا، لعل بريطانيا تنصاع لهذه الفعالية السلمية البعيدة عن استخدام القوة. فكيف إذاً ستنصاع حكومة الانتداب لمطالبهم فتكون أذناً صاغية إن لم يتم استخدام القوة بمثل هذه المناسبة؟

لم تكن المؤتمرات والاحتجاجات والإضرابات التي بنيت على سياسة حسن النوايا تجاه بريطانيا، على أمل تحقيق بريطانيا مطالبهم، قادرة على ردع السياسة البريطانية في فلسطين. ولم تستطع أن تحقق للشعب الفلسطيني مطالبه التي تمحورت حول الحرية والاستقلال والوحدة، فأقرمجلس عصبة الأمم صك الانتداب على فلسطين في 24 تموز 1922م.

الحركة الوطنية السورية واللبنانية في الغرب وحسن نواياهم تجاه فرنسا لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة بين الأعوام (1914 – 1922م):

أما الملف السوري واللبناني، فيُعد أكثر تعقيدا من ملفات مملكة الحجاز، وشرقي الأردن، وفلسطين. والتعقيد يكمن في نقطتين: أولهما، انقسام الشعب في ذلك الوقت. منه مَنْ هو مؤيد لأهداف الثورة العربية الكبرى، ومنه من وقف مؤقتاً مؤيداً للثورة العربية الكبرى حتى شارفت الحرب العالمية الأولى على الانتهاء؛ ثم أخذ يجنح إلى فرض الانتداب على بلادهم ممثلاً بالقيادات السورية واللبنانية في الغرب. وهذا موقف الحلفاء تجاه الثورة العربية الكبرى، وهو أن تغير موقف القيادات السورية واللبنانية في الغرب من تأييد الثورة العربية الكبرى وأهدافها في الحرية والاستقلال والوحدة كل دون نقصان بعد يوم أو يومينمن تخليص دمشق من جماعة الاتحاد والترقي والألمان. وخاصة، عندما بدأت القوات الفرنسية والبريطانية تصل إلى بيروت بحراً وبرافي 6 تشرين الأول 1918م (المستقبل، ع 125). وثانيهما، انقسام القيادات السورية واللبنانية في طريقة تحقيق الحرية والاستقلال والوحدة.

وهنا لن يتم الحديث عن القيادات المؤيدة لأهداف الثورة العربية الكبرى، لأن الطريقة والنتائج هي نفس الطريقة والنتائج التي توصلت إليها القيادات في مملكة الحجاز وشرقي الأردن وفلسطين. ولكن سيتم الحديث عن القيادات المؤيدة لفرض الانتداب على بلادهم لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة. وقلما تذكر المصادر والمراجع ذلك عن هذا التيار ممن ظنوا بفرنسا أنها ستنفّذ الانتداب حرفياً. وقد بني هذا الظن على حسن النوايا بفرنسا، وأثر موقفهم هذا تأثيراً سلبيا ومباشراً على مصير العرب بشكل عام في تحقيق الحرية والوحدة والاستقلال.

عرضت صحيفة المستقبل (ع، 134، ص4) في افتتاحيتها– التي تمثل الحركة الوطنية السورية واللبنانية في الغرب– ما يخص المشرق في معاهدة الصلح، مستندة إلى الخلاصة الرسمية التي وزعتها الشؤون الخارجية الفرنسية. وهي تؤيد ما جاء فيها حيث ذكرت «إن الغاية الجوهرية التي يرمي إلى تحقيقها الحلفاء هي تحسين حالة الجنس البشري. لذلك بنوا شروط الصلح على أساس «جمعية الأمم»؛ فإن عهد هذه الجمعية يؤلف الفصل الأول من فصول المعاهدة الخمسة عشر. وقد جاء في هذا الفصل أن الشعوب التي لا تستطيع في الوقت الحاضر تدبير شؤونها بنفسها يعهد في الوصاية عليها إلىالأمم الراقية،الأشد صلاحية من سواها للقيام بشؤون هذه الوصاية. وقسمت المادة 22 من عهد «جمعية الأمم» هذه الشعوب إلى ثلاثة أقسام: الشعوب التابعة للسلطنة العثمانية؛ ...أما شعوب القسم الأول، يمكن أن يعترف باستقلالها مؤقتاً. بشرط أن تستمد المشورة والمساعدة من دولة موكلة، إلى أن تصبح قادرة على إدارة شؤونها بنفسها. ولهذه الشعوب حق اختيار الدولة الموكلة...».

كان السوريون في الخارج يعتمدون دائماً على حسن النوايا تجاه فرنسا، وينفون دائماً أن هناك أطماعاً لفرنسا في سوريا

ولبنان. وهذا ما نقلته صحيفة المستقبل (ع، 134، ص4) كما يلي:نشرت «البرازيل» (29 آذار) نقلاً عن المجلة البرازيلية «جفنتودا المصورة» ما يأتي: «شاع أخيراً أن فرنسا تنوي أن تطالب مؤتمر الصلح بسوريا. وهي إشاعة فاسدة؛ لأن فرنسا لا تطمع في بلادنا أو في آسيا الصغرى أو في أي بلاد في العالم؛ لأن كل ما ستطلبه من مؤتمر الصلح هو أن تمنح سوريا استقلالها النوعي.»من المؤكد أن زعماء الأحزاب يعتبرون أن فرنسا هي الوحيدة التي يمكنها أن تؤيد سلامة البلاد من التجزئة...» «ولسوريا بناء على ما جاء في قانون ولسن ذي الأربع عشرة مادة تمام الحق بأن تختار هيئة الحكم الذي تريده وتسهر على مصالحها بنفسها».

يلاحظ مما ذكر، أن المرتكزات التي انطلقت منها هذه الآراء حول مصير سوريا ولبنان، هي مرتكزات غير واقعية. فكيف يتم الاعتماد على سياسة حسن النوايا، والتصريحات، مع أن الواقع غير ذلك؟ وكيف يتم اعتماد مبادئ ولسن وبريطانيا وفرنسا لم تقرا بها ولم تعتمداها؟

تنظر جريدة المستقبل، التي تعكس موقف القيادات السورية واللبنانية في الغرب، إلى استقلال بلاد الشام (لبنان وسوريا وفلسطين وشرقي الأردن) استقلالاً تاماً بعد تدريبها على فن الحكم والإدارة بعيداً عن حكم الحجاز. وهذا ما دعت إليه الجريدة منذ انتهاء سيطرة جماعة الاتحاد والترقي على هذه المنطقة، وبقيت تؤكد على ذلك في جميع أعدادها. وتؤكد أيضاً أن بريطانيا وفرنسا متفقتان على ذلك (المستقبل، ع، 128)، وأن مؤتمر الصلح القادم في فرساي سيؤكد على ذلك.بل وصلت العديد من البرقيات إلى الجمعية السورية المركزية من السوريين وبعض الفلسطينيين المقيمين في الخارج. وكلهم يؤكدون على بقاء وحدة سوريا، وأن تكون فرنسا هي الراعية، وتعمل على تأهيل القيادات من أجل قيادة الدولة. ومن هؤلاء: الجمعية السورية اللبنانية في القاهرة،والسوريون القاطنون في أمريكا الوسطى. وسوريو فلسطين القاطنون في أمريكا الوسطى، والاتحاد اللبناني في الأرجنتين، والجماعة الفلسطينية في شيلي التي تمثل 80،000 سوري، والسوريون في جيبوتي،والطارئات السورية في السنغال والغينة والسنغال الأعلى، وجمعية مدينة ليون المهتمة بسوريا(المستقبل، ع، 128).

وفي ما نشرته الصحف العربية تحت عنوان (أقوال الجرائد العربية)، نقلت جريدة المستقبل عن جريدة مرآة الغرب خبراً تحت عنوان (النبأ الخطير) بتاريخ 2 كانون الأول 1918م، جاء فيه ما يلي:

إن الفرنسيين غير راضين عن نصيبهم في سوريا، وأن هناك خطة ترمي إلى جعل المنطقة الفرنسية مقتصرة على الشواطئ، وأن الغرفة التجارية الفرنسية في مرسيليا تطالب الحكومة أن تحافظ على حقوق فرنسا التاريخية في سوريا، وأن السوريين باتوا يعرفون أن سوريا سيتم تقسيمها إلى مناطق، وأن هذه الخطة تكاد تكون في حيز العمل.فاليهود يطالبون باستقلال فلسطين وانفصالها عن سوريا، بينما دمشق وملحقاتها تكاد تكون تابعة للمملكة الحجازية، حتى أن حيفا ستكون منطقة مستقلة عن سوريا وفلسطين معاً، وإن تقسيم سوريا على هذه الصورة لايضر بالنفوذ الفرنسي وحده بل السوريين كلهم، سواء الذين تحت النفوذ الفرنسي أو الإنجليزي(المستقبل، ع، 124).

بالفعل، أكدت الوثائق الفرنسية التي استعرضها جوزيف حجار في كتابه «سورية بلاد الشام، تجزئة وطن»، أن فرنسا في مفاوضاتها مع بريطانيا في مفاوضات سايكس–بيكو كانت حريصة على أن تكون بلاد الشام كاملة من نصيبها، متذرعة بذرائع تاريخية تعود للاحتلال الروماني لهذه المنطقة (حجار، 1991).

بل نشرت جريدة المستقبل (ع، 115) في افتتاحيتها في 30 أيلول 1918م خبر وصول الجيوش البريطانية، والتي تؤازرها جنود فرنسية إلى حدود البقاع؛ من أجل تهيئة سكانها للحكم الذاتي التابع لفرنسا، طبقاً للاتفاق الفرنسي البريطاني عام 1916م –أي اتفاقية سايكس–بيكو–. فقد اعتبرت هذا خير بشرى يزفه المستقبل لأبناء الوطن السوري. ثم ذكرت أن الدولة الفرنسية ستقوم بمهمة تهيئة سكان سوريا ولبنان للحكم الذاتي خير قيام، إلى أن يتاح للسوريين استلام مقاليد أمورهم؛ «يومئذ تضع فرنسا في يدهم مصير بلادهم مكتفية بأن ترفق بهم كما ترفق بالولد الأمُّ الرؤوم».

المتأمل في تاريخ هذا الخبر يرى أنه جاء في نهايات الحرب العالمية الأولى، وأن تأييد القيادات السورية واللبنانية في الغرب جاء متناغماً تماماً مع سياسة بريطانيا وفرنسا تجاه المنطقة العربية في المشرق خاصة بلاد الشام والعراق. لم يبق هذا الموقف مجرد خبر في الافتتاحية، بل تطور إلى الحديث بصراحة من القيادات السورية واللبنانية في الغرب. ومنهم، حقي بك العظم الذي أعلن بصراحة موقفه الداعم للسياسة الغربية تجاه المنطقة العربية، ومعلناً نواياه الحسنة تجاه سياسة الغرب للمنطقة العربية. وقد ركّز على أن الثورة قامت من أجل الدفاع عن الحجاز والحجازيين؛ ويجب حل المسألة السورية على حدة دون خلطها بالحجازية؛ وأن السيادة الصهيونية خطر عظيم على سوريا، فكذلك السيادة الحجازية خطراً أعظم وأعمّ؛ وأن سيطرة الحجاز أو سيادته على سوريا، ولو بالاسم، تكفيان لتخريب ما بقي من العمران في بلادنا وقتل أهلها قتلاً أدبياً. فيجب على كل سوري أن يسعى بكل جهده واستطاعته لإبعاد تلك السيادة المضرة. وإن تقسيم فرنسا وبريطانيا منطقة بلاد الشام إلى مناطق نفوذ هو ضرر، ولكن لا يقل عن ضرر السيادة الحجازية على بلادنا؛ بل أراه أعظم منها شراً، وأعده نكبة هائلة تصاب بها بلادنا، لأنه يفتت سوريا إلى أجزاء يستحيل على كل واحد منها النهوض بنفسه(المستقبل، ع، 123).

يلاحظ مما سبق الانجرار نحو تطبيق السياسة البريطانية والفرنسية على بلاد الشام والعراق، ثم جاء ليؤكد على موقفه الدقيق في مصير البلاد العربية. وكان ذلك من خلال عدم تجزئة البلاد احتفاظاً بوحدتها الجنسية السورية؛ وإدارة البلاد على طريقة الاستقلال الإداري لكل مقاطعة من المقاطعات السورية، مع توسيع حدود لبنان؛ وفصل المسألة السورية عن المسألة الحجازية فصلاً تاماً؛ وأن لا يكون للحجاز ولا للمملكة علاقة بسوريا غير العلاقة الدينية فقط؛ وإشراف دولة من الدول العظمى على شؤون سوريا؛ وعدم استشارة أهالي البلاد في مصيرهم السياسي بل في شكل حكومتهم فقط(المستقبل، ع، 126).

ثم أكدت افتتاحية العدد (124، ص1) رفضها المفاوضات التي جرت بين بريطانيا العظمى وملك الحجاز. وفي افتتاحية العدد (125، ص1) أكد المسيو شكري غانم الذي يُعد رئيس حركة القيادات السورية واللبنانية في الغرب، على موقف حقي بك العظم.

مختصراً القضية السورية في وجوب إيجاد دولة سورية ديمقراطية منحصرة في دائرة حدودها الطبيعية، ومنفصلة عن البلدان العربية التي تجاورها؛ ولزوم استناد هذه الدولة الناشئة إلى دولة أوروبية راقية؛ وضرورة العهد إلى الدولة الفرنسية بالإشراف عليها؛ وطلب إلغاء اتفاقية الشريف الحسين–مكماهون التي اعتبرها مجحفة بحقوق الشعب السوري.

ثم تابع حقي بك العظم موقفه من حل القضية السورية في مقالته (الاتفاق المعقود بين إنكلترا وفرنسا بشأن سوريا). وقد حدد فيها مطالبه المعقولة والمقبولة حسب قوله، وذلك من خلال عدم تجزئة سوريا احتفاظاً بوحدتها؛ والفصل بين سوريا والحجاز من كل وجه؛ وإنشاء حكومة سورية بحتة مستقلة استقلالاً داخلياً؛ وحكم مبني على قاعدة اللامركزية الواسعة لكل مقاطعة؛ وإشراف دولة من الدول العظمى على شؤون سوريا إشرافاً أبوياً، إلى أن تتمرن وتترقى وتكون أهلاً لإدارة شؤونها دون مساعدة أجنبية(المستقبل، ع، 128).

وحقيقة الأمر أن المطالبين بانفصال سوريا عن الحجاز والمحافظة على وحدتها، استطاعوا أن يحققوا الجانب الأول، ولكنهم لم يستطيعوا أن يحققوا جانب وحدة سوريا. فقد فصل الاحتلال الفرنسي لبنان عن سورية، بقرار إداري صدر في 31 كانون الثاني 1919م أصدره وكيل الحكم العام كوبان(المستقبل، ع، 128).

أما النتائج التي توصل إليها الأمير فيصل من خلال مشاركته في مؤتمر فرساي، فقد عبر عنها عندما ألقى خطاباً مذاعاً، نشرته جريدة المستقبل نقلاً عن جريدة البرق البيروتية التي نشرته في 3 أيار 1919م. وأهم ما جاء فيه: أن مدة إقامته في فرنسا استغرقت خمسة أشهر (أي من أواخر نوفمبر 1918م حتى 21 نيسان 1919م)، وأنه أبلغ العالم المتمدن الغربي بمطالب العالم العربي. وتقرر مبدئياً استقلال البلاد، وإرسال لجنة دولية تحقق ما نقلته إلى الغربيين من رغائبكم. هذا في إطار العمل الخارجي معتمداً على حسن نيات الحكومات الأربع العظمى وصدقها في أقوالها وتمسكها بالمبادئ السامية التي جعلتها دستوراً لأعمالها طبقاً لأماني الأمة. أما فيما يتعلق بتوحيد الموقف العربي في الداخل، فسيتم عقد المؤتمر السوري العام. لذا يجب على الأمة أن تلتزم بما يصدر عنه من قرارات، وأن تبرهنوا لهذه اللجنة بأنكم تستحقون الاستقلال وقادرون على إدارة شؤونكم بأنفسكم(المستقبل، ع، 137).

رغم كل الأدلة التي تبرهن على أن الغرب قاطبة يسيرون نحو تجزئة المنطقة العربية في بلاد الشام، وإقامة الوطن القومي اليهودي في فلسطين، ورفض فكرة الوحدة العربية في الحجاز وبلاد الشام والعراق، إلاّ أن العرب ظلوا يتبعون سياسة حسن النوايا تجاه الغرب لنيل حقوقهم في الحرية والاستقلال والوحدة.

الخاتمة

كان على العرب الاتعاظ من العلاقات العربية الغربية عبر التاريخ، وأن تؤخذ هذه العلاقة بالحسبان، بحيث يتم التعامل مع المحتل بناء على أسوأ النيات؛ لأنه لا يمكن أن يُحْسَنُ الظن فيه، باعتباره جاء محتلاً من أجل غاياته وأطماعه ومصالحه في المنطقة. بل إن المحتل يعلم تماماً مدى كره الشعب العربي عليه، وأنه ليس له مكان في الوطن. كان من الخطأ تبني سياسة حسن النوايا تجاه دول الغرب منذ معرفة العرب بوعد بلفور، وبالأحرى منذ إتباعها الخداع والتآمر على العرب في الثورة العربية الكبرى من خلال اتفاقية تقسيم المشرق العربي بموجب سايكس–بيكو؛ وإقرار الانتداب قانونياً؛ ودمج وعد بلفور فيه ليصبح ملزماً للدولة المنتدبة تنفيذه.فكان ينبغي مقاتلتهم ومعاداتهم وعدم الاتصال بهم، منذ أن اتضح للشعب العربي وقياداته نوايا بريطانيا والمجتمع الدولي حقيقة مواقفهم السياسية تجاه العرب.

كانت سياسة حسن نوايا العرب تجاه الغرب غير قادرة على ردع السياسة الدولية تجاه العرب؛ لذا لم تستطع أن تحقق مطالب العرب في الحرية والاستقلال والوحدة، وكانت عرضة للاحتلال واستنزاف خبراتها، وتجزئة العرب ليكونوا ضعفاء غير قادرين على النهوض والوقوف ضد السياسات الغربية الطامعة بالعرب.

إن عدم تبني سياسة المواجهة العسكرية، مع بريطانيا وفرنسا خاصة، واعتماد العرب على سياسة حسن النوايا في تحقيق مطالبهم يُعد خطأ إستراتيجياً أوصل العرب إلى نتائج سيئة، وأدخلهم في حالة التجزئة والسيطرة الغربية عليهم، وفقدان فلسطين التي أصبحت تحت السيطرة البريطانية بموافقة دولية (عصبة الأمم)، من خلال الموافقة على صك الانتداب البريطاني على فلسطين في 24 تموز 1922م.

لذا، على الساسة العرب إعادة النظر في طريقة التعامل مع الغرب، ولو على أقل تقدير وضع نوابا الغرب في خانة الشك. وعلى الأجيال القادمة تبني إستراتيجية واضحة ودقيقة قائمة على المصالح المتبادلة دون وضع الغرب في خانة الصداقة والحذر من سياساتهم.

الهوامش

1. نشر بدعم من عمادة البحث العلمي في جامعة الزرقاء/ الأردن.
2. جمعية العهد: تأسست في 28 تشرين الأول 1913 في الآستانة من بعض الضباط أمثال عزيز علي، وسليم الجزائري، ونوري السعيد وهي جمعية سياسية سرية غايتها السعي وراء الاستقلال الداخلي للبلاد العربية على أن تكون متحدة مع حكومة الآستانة وعند دخول الأمير فيصل بن الحسين لبلاد الشام انقسمت الجمعية إلى حزبين حزب العهد العراقي تأسس عام 1919 وحزب العهد السوري والذي تأسس سنة 1919، (الدوري، 2005، ص83 – 84).
3. الجمعية العربية الفتاة: وهي الجمعية العربية السرية الثانية، وتأسست في باريس عام 1911، وكان من غاياتها العمل من أجل استقلال العرب وتحريرهم من الحكم التركي وكل أنواع الحكم الأجنبي، تطالب بالاستقلال الكامل، وفي عام 1913 أصبح مقرها بيروت ثم إلى دمشق في العام التالي، وزاد عدد أعضائها على مئتي عضو. (الكيالي، ج2، 1983، ص80).
4. سياسي وعسكري سوري، ولد بدمشق وتوفي فيها، تخرج من الكلية الحربية في استانبول، خدم في العسكرية حتى بلغ رتبة أمير لواء، من مؤسسي الإخاء العربي العثماني، اعتقل فيمن اعتقلوا بعد إعدامات 6 أيار بتهمة الخروج على سياسة الدولة مع شكري القوتلي وفارس الخوري وغيرهم، ولكن المحكمة برأتهم، فطلب جمال باشا بإعادة المحاكمة فحكم عليه وعلى اثنين آخرين بالإعدام فلم تصدق الحكومة القرار، وفي عهد فيصل

عينه حاكماً عسكرياً في حلب. (الكيالي، ج3،1983، ص487).

5. أعلنت هدنة الحرب العالمية الأولى أوائل صفر من عام 1337هـ/ تشرين الثاني 1918م، التي تضمنت جلاء العثمانيين عن بلاد العرب. أمرت الحكومة العثمانية فخري بالتسليم، لكنه لم يتمثل. ظل يقاوم حتى رأى فرق جيشه تستسلم للجيوش المحاصرة، فاضطر إلى الاستسلام في 5 ربيع الأول 1337هـ/ 9 كانون الأول 1918م، (السباعي، 1387، ص220 – 231).

قائمة المصادر والمراجع

قائمة المراجع العربية:

- الأنصاري، محمد بن عبد الله بن عبد المحسن آل عبد القادر.(1960م). تحفة المستفيد بتاريخ الإحساء في القديم والجديد، أشرف على طبعه وعلق على بعض الحواشي حمد الجاسر، ط1،ق1، الرياض: (د. د).
- توما، أميل. (1984م).جذور القضية الفلسطينية، ط3،دمشق: دار الجليل.
- أبو جبل، كاميليا ومحمد، نجاح. (2008 – 2009م).تاريخالوطن العربي الحديث (بلاد الشام والعراق).(د. ط)، دمشق: منشورات جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية.
- الجريدة الرسمية، ع، 865 17 ، حزيران 1946م،عمان.
- جريدة فلسطين، ع، 512 12 ، أيلول 1922م، يافا.
- جريدة فلسطين، ع، 488 16 ، حزيران 1922م، يافا.
- جريدة القبلة، ع، 11 21 ، ذي القعدة 1334هـ، 19 ، أيلول 1916م، مكة المكرمة.
- جريدة الكوكب، ع، 13111 ، شباط 1919م، القاهرة.
- جريدة الكوكب، ع، 140 6 ، أيار 1919م، القاهرة.
- جريدة المستقبل،ع، 115 30 ، سبتمبر 1918م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 123 30 ، يناير 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 124 10 ، فبراير 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 125 20 ، فبراير 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 126 28 ، فبراير 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 12820 ، مارس 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، 134 20 ، مايو 1919م، باريس.
- جريدة المستقبل،ع، (137) 20 ، يونيو 1919م، باريس.
- الجميل، سيار كوكب. (1991م).تكوين العرب الحديث 1516 – 1916، ط1،الموصل: دار الكتب للطباعة والنشر.
- حجار، جوزيف. (1991م).سورية بلاد الشام، تجزئة وطن، حول اتفاقات سايكس–بيكو، دراسة وملف وثائقي (باللغتين العربية والفرنسية)،ط1، دمشق: دار طلاس للدراسات والترجمة والنشر.
- الحروب، أحمد محمود أحمد. (2001م).دور الجمعيات الإسلامية المسيحية في الحركة الوطنية الفلسطينية في الفترة ما بين 1918 – 1931م، (رسالة ماجستير غير منشورة)، كلية الدراسات العليا،جامعة النجاح الوطنية، نابلس.
- الدجاني، حسن صدقي. (1936م).تفصيل ظلامة فلسطين (حقائق وأرقام، تقارير، وثائق هامة)، ط1، (د.م): المطبعة التجارية.
- دروزة، محمد عزة. (1993م).مذكرات محمد عزة دروزة سجل حافل بمسيرة الحركة العربية والقضية الفلسطينية خلال قرن من الزمن 1305هـ– 1404هـ/ 1878م– 1984م، ط1،بيروت: دار الغرب الإسلامي مج1، ج2.
- الدوري، زهير عبد الجبار. (2005م).الفكر والسياسة لدى الجمعيات والمنتديات والأحزاب العربية حتى نهاية الحرب العالمية الأولى، ط1،دمشق: الأوائل للنشر والتوزيع.
- رافق، عبد الكريم. (1982م).المشرق العربي في العهد العثماني، (د. ط)، دمشق: مؤسسة الوحدة.
- الريحاني، امين. (1981م).تاريخ نجد وملحقاته، ط5،الرياض: منشورات الفاخرية، بيروت، دار الكتاب العربي.
- الزركلي، خير الدين. (1390هـ).شبة الجزيرة في عهد الملك عبد العزيز، (د. ط)، بيروت: (د. ن)، ج1.
- زعيتر، أكرم. (1984م).وثائق الحركة الوطنية الفلسطينية 1918 – 1939، من أوراق أكرم زعيتر، أعدتها للنشر بيان نويهض الحوت، ط2،بيروت: مؤسسة الدراسات الفلسطينية.
- السباعي، أحمد. (1387هـ).تاريخ مكة، ط3،مكة: (د. د)، ج2.
- آل سعود، موضي بنت منصور. (1402هـ).الملك عبد العزيز ومؤتمر الكويت 1342 – 1343هـ/ 1924م، (د. ط)،جدة: دار تهامة.
- سعيد، أمين. ((د.ت)).الثورة العربية الكبرى تاريخ مفصل جامع للقضية العربية في ربع قرن، (د.ط)،مصر: مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، مج1.
- السكاكيني، خليل. (1925م).فلسطين بعد الحرب الكبرى،(د. ط)، القدس: مطبعة بيت المقدس، ج1.
- عبد، نادية ياسين. (2014م).الاتحاديون، دراسة تأريخية في جذورهم الاجتماعية وطروحاتهم الفكرية (أواخر القرن التاسع عشر– 1908)، ط1، بغداد: دار ومكتبة عدنان للطباعة والنشر والتوزيع.
- العثيمين، عبد الله الصالح. (2009م).تاريخ المملكة العربية السعودية، ط9،الرياض: (د. ن)، ج2.
- العقرباوي، مؤيد توفيق عقل حيدر. (2010م).دور حملة نابليون على فلسطين في دعم آمال اليهود بالعودة إلى فلسطين،مجلة كلية التربية، الجامعة المستنصرية، 1 (4):167 – 194.
- العقرباوي، مؤيد توفيق عقل حيدر. (2016م). موقف جريدة المستقبل الباريسية من الثورة العربية الكبرى بين عامي (1916 – 1919م) بحث مقدم إلى مؤتمر(المؤتمر الدولي لمئوية الثورة العربية الكبرى 1916 – 2016م، جامعة آل البيت – كلية الآداب والعلوم الإنسانية 28 – 29 رجب 1437هـ الموافق 5 – 6 أيار،2016م). نشر في كتاب خاص بالمناسبة، الجالودي، عليان عبد الفتاح. (محرر). (2018م). الثورة العربية الكبرى، الطموح، الإنجاز، التطلعات المستقبلية، بمناسبة مائة عام على الثورة العربية الكبرى. ط1،عمان: مؤسسة الوراق للنشر والتوزيع.
- العقيلي، محمد بن أحمد. (1402هـ).تاريخ المخلاف السليماني، ط2،الرياض: دار اليمامة، ج2.
- الكيالي، عبد الوهاب. (1983م). موسوعة السياسة، ط1، بيروت: المؤسسة

العربية للدراسات والنشر، ج2، 3.

- الكيالي، عبد الوهاب. (1999م).تاريخ فلسطين الحديث، ط11،بيروت: المؤسسة العربية للدراسات والنشر.
- قاسمية، خيرية. (1974م).عوني عبد الهادي– أوراق خاصة، (د. ط)،بيروت: مركز الأبحاث، منظمة التحرير الفلسطينية.
- محاسنة، محمد حسين. (2010م).صفحات من تاريخ الأردن وحضارته، ، (د. ط)،عمان: وزارة الثقافة.
- محاسنة، محمد حسين والطراونة، محمد سالم والرويضي، محمود محمد والعمايرة، محمد نايف. (2002م).تاريخ مدينة القدس،(د. ط)، عمان: مكتبة الفلاح، ودار حنين.
- ملكون، جبران. (1947م).جلالة الملك عبدالله المعظم واستقلال المملكة الأردنية الهاشمية، جمع وترتيب وتبويب جبران ملكون صاحب جريدة الأخبار ومطبعة الشعب،(د. ط)،بغداد: مطبعة الشعب.
- المنشور الأول للثورة العربية الكبرى الصادر في 25 شعبان 1334هـ/ 26 حزيران 1916م.
- المنشور الثاني للثورة العربية الكبرى الصادر في 11 ذي العقدة 1334هـ/ 9 أيلول 1916م.
- منظمة التحرير الفلسطينية (1987م).وثائق فلسطين، مائتان وثمانون وثيقة مختارة 1839 – 1987.(د. ط)، بيروت: منظمة التحرير الفلسطينية، دائرة الثقافة.
- الموسى، سليمان. (2007م).من تاريخنا الحديث، (د. ط)،عمان: منشورات وزارة الثقافة.
- ابن هذلول، سعود. (1961م).تاريخ ملوك آل سعود، قدم له، وأشرف على طبعه الأستاذ محمد العبودي، ط1،الرياض: مطابع الرياض.
- وزارة الإرشاد القومي (1969م).ملف وثائق فلسطين (مجموعة وثائق وأوراق خاصة بالقضية الفلسطينية) من عام 637 إلى 1949. (د. ط)،القاهرة: إصدار وزارة الإرشاد القومي، الهيئة العامة للاستعلامات، (د. د)، ج1.
- وهيم، طالب محمد. (1982م).مملكة الحجاز 1916 – 1925، دراسة في الأوضاع السياسية، (د. ط)،البصرة: مركز دراسات الخليجالعربي، جامعة البصرة.
- يحيى، جلال. (1959م).الثورة العربية، ط1،القاهرة: دار المعرفة.

قائمة المراجع الأجنبية:

- طوران،مصطفى. (1985م).أسرار الانقلاب العثماني، ترجمه عن التركية كمال خوجة،(د. ط)، القاهرة:دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة.

List of sources and references

Arabic reference list:

- *Al-Ansari, Mohammed bin Abdullah bin Abdul Mohsen Al Abdul Qadir. (1960 AD). The masterpiece of the benefactor on the history of Al-Ahsa in the old and the new. He supervised its printing and commented on some of the footnotes, Hamad Al-Jasser, 1st ed., Block 1, Riyadh: (Dr. D.).*
- *Touma, Ameel. (1984 AD). The Roots of the Palestinian Cause, 3rd Edition, Damascus: Dar Al Jalil.*
- *Abu Jabal, Camellia and Muhammad, Najah. (2008-2009). History of the Modern Arab World (the Levant and Iraq). (D. I), Damascus: Publications of Damascus University, College of Arts and Human Sciences.*
- *Al Jareedah Al Rasmyah(Gazette), No. 17 865 June 1946, Amman.*
- *Palestine Newspaper, A, 512, 12 September 1922, Jaffa.*
- *Palestine Newspaper, A, 488 June 16, 1922, Jaffa.*
- *Al-Qiblah Newspaper, peace be upon him, 11-21, Dhu al-Qi'dah 1334 AH, 19 September 1916 AD, Makkah Al-Mukarramah.*
- *Al-Kawkab Newspaper, AR, 131 11 February 1919, Cairo.*
- *Al-Kawkab Newspaper, AR, 6/140, May 1919 AD, Cairo.*
- *Al-Mostaqbal Newspaper, AR, 115 30, September 1918, Paris.*
- *Al-Mostaqbal Newspaper, AR, 123 30 January 1919, Paris.*
- *Al-Mostaqbal Newspaper, AR, 10 124 February 1919, Paris.*
- *Al-Mustaqbal Newspaper, AR, 125 20 February 1919, Paris.*
- *Al-Mostaqbal Newspaper, AR, 126 28, February 1919 AD, Paris.*
- *Al-Mostaqbal Newspaper, AR, 128 20, March 1919, Paris.*
- *Al-Mustaqbal Newspaper, AR, 20 134, May 1919, Paris.*
- *Al-Mustaqbal Newspaper, AR, (137) 20 June 1919, Paris.*
- *Al Jameel,SyarahKawkab. (1991 AD). The Modern Arab Composition 1516-1916, 1st ed., Mosul: Dar Al Kutub for Printing and Publishing.*
- *Hajjar, Joseph. (1991 AD). Syria, Bilad al-Sham, the fragmentation of a homeland, on the Sykes-Picot Agreements, a study and a documentary file (in Arabic and French), 1st Edition, Damascus: Tlass House for Studies, Translation and Publishing.*
- *Al Horoob, Ahmed Mahmoud Ahmed. (2001 AD). The Role of Islamic Christian Societies in the Palestinian National Movement between 1918-1931 (Unpublished Master Thesis), College of Graduate Studies, An-Najah National University, Nablus.*
- *Dajani, Hassan Sidqi. (1936 AD). Detailing the Darkness of Palestine (Facts and Figures, Reports, Important Documents), Edition 1, (Dr. M): The Commercial Printing Press.*
- *Darwaza, Muhammad Izza. (1993 AD). Muhammad IzzaDarwaza's Memoirs: A rich record of the march of the Arab movement and the Palestinian cause during a century 1305 AH / 1404AH / 1878-1984AD, 1st Edition, Beirut: Dar Al-Gharb Al-Islami, Vol. 1, Part 2.*
- *Al-Douri, Zuhair Abdul-Jabbar. (2005 AD). Thought and politics among Arab associations, forums and parties until the end of the First World War, i 1, Damascus: the first for publication and distribution.*
- *Rafiq, Abdul Karim. (1982 AD). The Arab East in the Ottoman Era, (d. I), Damascus: The Unity Foundation.*
- *Al Rihani, Ameen. (1981 AD). The History of Najd and its Appendices, 5th Edition, Riyadh: Al-Fakheeriya Publications, Beirut, Dar Al-Kitaab Al-Arabi.*
- *Al-Zarkali, Khair al-Din. (1390 AH). The peninsula during the reign of King Abdul Aziz, (d. I), Beirut: (d. N), c 1.*
- *Zuaiter, Akram. (1984 AD). Documents of the Palestinian National Movement 1918-1939, from AkramZuaiter Papers, prepared for publication Bayan Nuwayhed Al-Hout, 2nd Edition, Beirut: Institute for Palestine Studies.*
- *Al-Sebaei, Ahmed. (1387 AH). History of Makkah, 3rd Edition, Makkah: (Dr. Dr.), Part 2.*
- *Al Saud, Modhibint Mansour. (1402 AH). King Abdul Aziz and the Kuwait Conference 1342-1343 AH / 1924 AD, (Dr. I), Jeddah: Tihama House.*
- *Saeed, Ameen. ((D.T)). The Great Arab Revolt, A Comprehensive detailed history of the Arab issue in a quarter*

(d. I), Cairo: issued by the Ministry of National Guidance, the State Information Service, (d. D), c1.

- *Waheem, Talib Muhammad. (1982 AD). The Kingdom of Hejaz 1916-1925, A Study of Political Conditions, (Dr. I), Basra: Center for Arab Gulf Studies, University of Basra.*
- *Yahya, Jalal. (1959 AD). The Arab Revolution, 1st Edition, Cairo: House of Knowledge.*

List of Foreign References:

- *Turan, Mustafa. (1985 AD). Secrets of the Ottoman Coup, translated from the Turkish Kamal Khoja, (Dr. T), Cairo: Dar Al-Salam for printing, publishing, distribution and translation.*
- *of a century, (d. I), Egypt: Issa al-Babi al-Halabi and Co. Press, Volume 1.*
- *Al Sakakini, Khalil. (1925 AD). Palestine after the Great War, (Dr. I), Jerusalem: Bayt Al-Maqdis Press, Part 1.*
- *Abdul, Nadia Yassin. (2014 AD). The Unionists, A Historical Study of Their Social Roots and Intellectual Theses (Late Nineteenth Century - 1908), 1st Edition, Baghdad: Adnan House and Library for Printing, Publishing and Distribution.–*
- *Al-Uthaimin, Abdullah Al-Saleh. (2009 AD). History of the Kingdom of Saudi Arabia, ed 9, Riyadh: (Dr. N), c 2.*
- *Al-Aqrabawi, MouaedTawfiqAqlHaider. (2010 AD). The Role of Napoleon's Campaign on Palestine in Supporting the Hopes of the Jews to Return to Palestine, Journal of the College of Education, Al-Mustansiriya University, 1 (4): 167-194.*
- *Al-Aqrabawi,MouaedTawfiqAqlHaider. (2016 AD). The position of the Parisian newspaper Al-Mustaqbal on the Great Arab Revolt between the years (1916-1919AD) a paper presented to a conference (The International Conference of the Centennial of the Great Arab Revolt 1916-2016 AD, Al al-Bayt University - College of Arts and Humanities 28-29 Rajab 1437 AH corresponding to May 5-6, 2016 CE). It was published in a special book by the way, Al-Jaloudi, Alyan Abdel-Fattah. (editor). (2018 AD). The Great Arab Revolt, ambition,achievement, future aspirations, on the occasion of the hundred years since the Great Arab Revolt. First Edition, Amman: Al-Warraq Corporation for Publishing and Distribution.*
- *Al-Aqili, Muhammad bin Ahmed. (1402 AH). The History of Al-Mikhlaf Al-Sulaimani, 2nd Edition, Riyadh: Dar Al-Yamamah, Part 2*
- *Al Kayali, Abdel Wahab. (1983 AD). Encyclopedia of Politics, 1st Edition, Beirut: The Arab Foundation for Studies and Publishing, Part 2, 3.*
- *Al Kayali, Abdel Wahab. (1999 AD). Modern History of Palestine, 11th Edition, Beirut: Arab Foundation for Studies and Publishing*
- *Qasimiah, Khayriah. (1974 AD). Awni Abdel-Hadi - Special Papers, (Dr. I), Beirut: Research Center, Palestine Liberation Organization.*
- *Mahasneh, Muhammad Hussain. (2010 AD). Pages from Jordan's History and Civilization, (Dr. I), Amman: Ministry of Culture.*
- *Mahasneh, Muhammad Hussain and Tarawneh, Muhammad Salem and al-Ruwaidi, Mahmoud Muhammad and Amayreh, Muhammad Nayef (2002 AD). History of the City of Jerusalem, (d. I), Amman: Al-Falah Library, and Hanin House.*
- *Melkon, Gibran. (1947 AD). His Majesty King Abdullah and the Independence of the Hashemite Kingdom of Jordan, Gibran Melkon, owner of Al-Akhbar Newspaper and Al-Shaab Press, compiled, arranged and classified, (Dr. I), Baghdad: Al-Shaab Press.*
- *The first publication of the Great Arab Revolt, issued on Shaban 25, 1334 AH / June 26, 1916 CE.–*
- *The second publication of the Great Arab Revolt, issued on Dhu al-Aqdah 11, 1334 AH / September 9, 1916 CE.–*
- *Palestine Liberation Organization (1987AD). Palestine Documents, Two hundred and eighty selected documents, 1839-1987. (D. I), Beirut: Palestine Liberation Organization, Department of Culture.–*
- *Al-Mousa, Suleiman. (2007 AD). From Our Modern History, (Dr. I), Oman: Publications of the Ministry of Culture.–*
- *Ibn Hathloul, Saud. (1961 AD). History of the Kings of Al Saud, presented to him, and his publication was supervised by Professor Muhammad Al-Aboudi, 1st Edition, Riyadh: Riyadh Press.*
- *Ministry of National Guidance (1969 AD). The Palestine Documents File (a collection of documents and papers related to the Palestinian cause) from the year 637 to 1949.*

التحولات التركيبية المصاحبة لـ (ما) الكافة المهيئة دراسة في الوظيفة التركيبية للأداة

The structural transformation accompanied with suspending and preparatory article (ma)

فؤاد رمضان محمد حمادة
أستاذ مشارك/ جامعة القدس المفتوحة/ فلسطين

Foud Rmadan Mohammed
Associate professor/
Al-Quds Open University/ Palestine
foadhamada@Gmil.com

تاريخ الاستلام: 12/ 11/ 2019م، **تاريخ القبول:** 9/3/ 2020م.
E-ISSN: 2616-9843
P-ISSN: 2616-9835

Received: 12/11/ 2019, **Accepted:** 9/ 3/ 2020.
DOI: 10.33977/0507-000-053-007
https: //journals.qou.edu/index.php/jrresstudy

الملخص:

التحولات التركيبية المصاحبة لـ (ما) الكافة المهيئة

تناولت الدراسة التحولات التركيبية المصاحبة لـ (ما) الكافة المهيئة، وما تحدثه من تغير في خصائص الألفاظ، وفي بنية التراكيب النحوية، حيث تكون زائدة، والغرض منها التحول الشكلي بإلغاء عمل ما قبلها فيما بعدها، وتوليد معان جديدة.

وتهدف الدراسة إلى تتبع مواطن ما الكافة المهيئة وتمييزها عن أخواتها، وموقف النحاة منها، وما تحدثه من تحولات في التراكيب، والدلالة.

واعتمدت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي، والمنهج المقارن، وتوصلت الدراسة إلى كثير من النتائج، من أهمها:

اتفاق النحاة على معاني الأساليب، وأدواتها، ومكوناتها، ولكنهم لم يعطوها استقلاليتها، وأحالوا جميع الأساليب النحوية إلى جمل اسمية أو فعلية. فأكثروا من التأويل والتقدير الواجب بما يشعر بتفكك أبنية الأساليب التركيبية وفوضى القواعد.

تقترن (ما) الكافة المهيئة ببعض الأسماء، والأفعال، والحروف، فتكف اللفظ السابق لها عن وظيفته النحوية، وتهيئه للدخول على الجمل بدلا من الألفاظ المفردة.

وتعد الحروف والأدوات المصدر الأكثر فاعلية في إحداث التغييرات التركيبية، وتوليد المعاني.

(ما) الكافة تبطل العمل، ولا تغير التركيب. أما المهيئة فتبطل العمل، ويليها تركيب مختلف.

لم يوفق النحاة في إحالة (ما) الكافة المهيئة إلى المصدرية لإعطائها مواقع إعرابية، فمعنى المصدر الصريح غير معنى المصدر المؤول، ومواقع المصادر الصريحة غير مواقع المصادر المؤولة.

الكلمات المفتاحية: التحولات التركيبية، ما الكافة، ما المهيئة، الوظيفة التركيبية، الأداة.

Abstract

The structural transformation

accompanied with suspending and preparatory article (ma).

Study in the structural function of the article.

The study explored the structural transformation accompanied with suspending and preparatory article (ma); the changes affected on words, characteristics on the construction of grammatical structures. (ma) is an extra form whose function is a formalistic change to stop the function of the pre-word in favor of the post-words and to generate new meanings.

The aim of this study was to follow the process of suspending and preparatory article (ma) and its distinguish from its sisters more than that the grammarians opinion about what arise in transformations in structures, and significance.

The study was adopted the analytical descriptive approach, and comparative approach, the study reached many results: the most important of which are: grammarians don›t differ about the meaning of syntactic methods, tools and structure, but they give it its grammar independence, they assign all grammatical techniques as: Nominal sentence, verbal sentence. They over of assessment and direction which weaked the structural techniques and produce a syntactic chaos.

The study was adopted the analytical descriptive approach, and comparative approach, the study reached many results: the most important of which are: grammarians don't differ about the meaning of syntactic methods, tools and structure, but they give it its grammar independence, they assign all grammatical techniques as: Nominal sentence, verbal sentence. They over of assessment and direction which weaked the structural techniques and produce a syntactic chaos.

Letters and tools are the most effective source to make structural changes and generate the meaning.

Suspending article (ma) stop the work and does not change the structure but preparatory article (ma) stops the work and different structure does follow it.

The grammarians have not succeeded to assign the suspending and preparatory article (ma) to the infinitive to give it syntactic sites. The meaning of clear infinitive is not the meaningof the interpreted infinitive and thesites of clear infinitive other than thesites of the interpreted infinitive.

***keywords**: The structural transformation-Suspending article (ma)-Preparatory article (ma)-*

The structural function-Article.

المقدمة:

تعتمد اللغات في توليد المعاني النحوية على التحولات التركيبية، فكل تغيير في مبنى السياق يؤدي إلى تغيير في مدلوله، ولولا هذه التحولات لضاقت اللغات على أهلها، وهي أشبه بتحولات الأبنية الصرفية، فكل تغير في مفردات التراكيب، أو في ترتيبها، أو الزيادة عليها، أو الانتقاص منها يؤدي إلى التغيير في معاني الأبنية النحوية.

وتعد الحروف والأدوات المصدر الأكثر فاعلية في إحداث التغييرات التركيبية، وتوليد المعاني المختلفة، حيث يؤدي اختلاف رتبة حروف المعاني، أو الأداة في الجملة، أو الصيغة التي تليها، أو حركة الصيغة إلى اختلاف التركيب ودلالته.

وإذا كان التركيب الجملي قد اقتصر على الجملتين: الاسمية

والفعلية، فإن الأساليب المعتمدة على الأدوات قد ولدت بقية معاني اللغة كـ: الاستفهام، والشرط، والتعجب، والنفي، والنهي، والأمر، والنداء، والندبة، والاستثناء، والقسم، والاستغاثة، والعرض، والتحضيض، والتعريف، وغيرها.

ولم يعط النحاة هذه الأساليب اللغوية استقلاليتها، وردوا جميع الأساليب اللغوية إلى جمل: اسمية أو فعلية. لأن الكلام عندهم لا ينعقد إلا بالإسناد، ولا ينعقد إسناد بحرف واسم، أو حرف وفعل. قال الزمخشري (1992، 23): «والكلام هو المركب من كلمتين أسندت إحداهما إلى الأخرى. وذاك لا يتأتى إلا في اسمين كقولك: زيد أخوك، وبشر صاحبك. أو في فعل واسم نحو قولك: ضرب زيد، وانطلق بكر. وتسمى الجملة.

وقد ألجأتهم هذه الأحكام المسبقة إلى البحث في الأصول الاسمية والفعلية للأساليب، وترك التركيب المُعَبَّر به عن المعنى الصريح المباشر، فلم يختلف النحاة في معاني الأساليب، وأدواتها، ومكوناتها، ولكنهم لم يعطوها استقلاليتها، وردوا جميع الأساليب اللغوية إلى مكونات الجملة الاسمية والجملة الفعلية، فأكثروا من التأويل والتقدير الواجب بالضرورة.

والحقيقة إنّ التركيب الاسمي والفعلي ليس إلا نمطا من أنماط الجمل الخبرية، وليس أصلا لجميع التراكيب، وأن كل تركيب له مكوناته الخاصة به.

أولا: (ما) بين الحرف والأداة

لم يعتَن النحاة بالحرف والأداة عنايتهم بالاسم والفعل. يظهر هذا من خلال تركهم الحرف والأداة من غير تعريف. فالاسم كل كلمة تدل على معنى في نَفسها، والفعل ما دل على اقتران حدث بزمان، والحرف ما دل عَلَى معنى في غيره. قال سيبويه (1988: 12): فالكَلِم: اسمٌ، وفِعْلٌ، وحَرْفٌ جاء لمعنى، ليس باسم، ولا فعل. والاسم يخبر به، ويخبر عنه، والفعل يخبر به، والحرف لا يخبر عنه، ولا يخبر به. قال الأنباري (1999: 36): هذه الأقسام الثلاثة، لها ثلاث مراتب؛ فمنها ما يخبر به، ويخبر عنه، وهو الاسم؛ نحو «زيد قائم»، ومنها ما يخبر به، ولا يخبر عنه، وهو الفعل؛ نحو «قام زيد»، ومنها ما لا يخبر به، ولا يخبر عنه، وهو الحرف؛ نحو «هل وبل» وما أشبه ذلك

ويعرف الاسم بعلامته، والفعل بعلامته، والحرف لا علامة له. قال ابن جني (ب، د، ت، 8): «والحرف: مَا لم تحسن فيه عَلامَة من عَلَامَات الْأَسْمَاء، وَلَا عَلَامَات الْأَفْعَال، وَإِنَّمَا جَاءَ لمَعْنًى في غَيره. نَحْو: هلْ، وبلْ، وَقد. لَا تَقول: من هلَ، وَلَا قَد هلَ، وَلَا تَأمر بِهِ

فقد اعترف النحاة بالحرف قسماً من أقسام الكلام، ثم تركوه بلا معنى، ولا علامة، ولا وظيفة، فما لازمته؟! وقد أدى تجاهل النحاة لمكانة الحرف والأداة إلى الإخلال بالأساليب والتراكيب النحوية المعتمدة على الحرف والأداة.

ثم إنّ الفصل بين مبحث الحرف، ومبحث الأداة لازمة من لوازم الدرس النحوي، لما بينهما من المفارقات، فالأصل في الحرف– كحروف الجر وحروف العطف– إنّ يكون بسيطا، وأن يدل على معنى واحدا يضيفه للسياق. أما تعدد معاني الحروف البسيطة، فهو من مظاهر التضمين، أو حذف الفعل المتعلق به الحرف. قال السيوطي (ب، د، ت، 2/463).: «عُلم مِمَّا حُكيَ عَن الْبَصرِيين فِي هَذه الأحرف «حروف الجر» من الاقْتصَار على مَعْنى وَاحد لكل حرف– إنّ مَذْهَبهم– إنّ أحرف الْجَرّ، لَا يَنُوب بَعْضهَا عَن بعض بِقيَاس، كَمَا إنّ أحرف الْجَزْم كَذَلك، وَمَا أوهم ذَلِك. فإمَّا مؤول تَأْوِيلا يقبله اللَّفْظ، أو على تضمين الْفِعْل معنى فعل يتعدى بذلك الْحَرْف، أَو على النِّيَابَة شذوذا، والأخير محمل الْبَاب كُله عِنْد غَيرهم بِلَا شذوذ، وَهُوَ أقل تعسفا.

أما الأداة نحو: (ما) و(مَنْ) فتأخذ معناها من السياق، فلابد من معرفة جميع مفردات السياق، وصيَغه، وحركة إعراب ما هو معرب منها، وترتيبها. لمعرفة معنى الأَداة، فهي التي تعطي السياق معناه؛ وتأخذ معناها منه؛ لأنها جزء من التراكيب.

وتعد (ما) بسيطة ومركبة مع غيرها من أكثر الأدوات التي تجري تحولات تركيبية ودلالية، حيث تأتي استفهامية، وتعجبية، وشرطية، وموصولة، ومصدرية، وظرفية، ونافية، وزائدة، وكافة، ومشبهة بالفعل.

وقد توزعت معاني (ما) بين الحروف والأسماء. فقيل: هي حرف حين تكون نافية، أو مصدرية، أو كافة أو زائدة، وهي اسم حين تكون موصولة، أو تعجبية، أو استفهامية، أو شرطية (المرادي، الجنى الداني، 1992، 337). وقيل هي مشبهة بالفعل حين تكون نافية بمعنى ليس (ابن يعيش،2001، 5/32).

وتغلب اسمية (ما) عند تصدرها كما في (ما) الاستفهامية، والشرطية، والتعجبية؛ وتغلب حرفيتها حين تتوسط التركيب، كـ الكافة، أو الزائدة، أو المصدرية (عباس، حسن، د، ت،1/ 573).

وفي ظل هذا التنوع في المعنى، تكون (ما) – عند النحاة– لفظا مشتركا بين الأسماء والحروف، ويكون مصطلح الأداة أولى بها، وهو المصطلح الذي اعتمده النحاة في الأبواب المختلطة التي جمعت بين قسمين من أقسام الكلام كالاستفهام، والشرط. وكان عبده الراجحي ردّ هذا المصطلح في قوله (1999، 15):«يخطئ بعض الدارسين حين يستعمل في دراسة النحو كلمة «أداة»، فيقول: أداة استفهام أو أداة نفي أو أداة شرط، وذلك كله خطأ؛ لأن الكلمة العربية –كما حددها النحاة– ليس فيها أداة، وإنما هي: اسم أو فعل أو حرف ليس غير.

والصحيح أنّ النحاة قد استخدموا هذا المصطلح بكثرة في مصنفاتهم، خاصة في الأبواب التي ذكرها؛ لأنها أبواب تختلط فيها الحروف بالأسماء (ابن السراج، ب، د، ت، 1/258)، (العكبري،1995، 1/326)، (المرادي،1992، 136)، (ابن يعيش،2001، 2/417، 4/321). وكان الأولى إنّ تُخْرَجَ (ما) من دائرة التصنيف الاسمي، والحرفي، والفعلي؛ وأن تنسب لنفسها، فهي أداة استفهام، وأداة نفي، وأداة شرط، وأداة كف، وأداة تحول وتهيئة.

أما التحولات التركيبية التي أحدثتها (ما) المهيّئة، فكان الغرض منه إلغاء اختصاص ما قبل (ما) فيما بعدها، والتوسعة في الاستعمال اللغوي بتهيئة ما قبلها للدخول على الجمل بدلا من المفردات. قال ابن هشام (ب، د، ت، 1/339):« وتتصل «ما» الزائدة بهذه الأحرف...، فتكفها عن العمل، وتهيئها للدخول على الجمل»، فتدخل على الجملة الاسمية والجملة الفعلية. نحو قوله تعالى: ﴿**إِنَّمَا اللَّهُ إِلَهٌ وَاحِدٌ**﴾ (النساء: 171)، و ﴿**إِنَّمَا يَأْتِيكُم بِهِ اللَّهُ**﴾ (هود: 33).

وألحق بالحكم النحوي حكم كتابي، فما الزائدة كافة

ومهيئة توصل بما قبلها؛ لأنها حرف. أما الاسمية، فتفصل في الرسم عن ما قبلها. قال العكبري: «وتكتبْ (أيْنَما) إذا كَانَت (مَا) فيه كَافَّة أو زَائدَة مَوْصُولة، كَقَوْله تَعَالَى:﴿فَأَيْنَما تُوَلُّوا فَثَمَّ وجهُ اللهِ﴾(البقرة:115). وَإن كَانَت مَا بمَعْنى الَّذي، كتبت مَقْطُوعَة، كَقَوْله تَعَالَى: ﴿إِنَّ مَا تُوعَدُون﴾(الأنعام:134) (العكبري،1995، 2/493).

والأَصْل إنّ تكتب مفصولة؛ لأنها كلمة تدل على معنى مستقل. قال السيوطي (ب، د، ت، 3/512): «فَكَمَا إنّ الْمَعْنيين متميزان، فَكَذَلك اللَّفْظ الْمعبر عَنْهُمَا يكون، وَكَذَلكَ الْخط النَّائب عَن اللَّفْظ. يكون متميزا بفصله عَن غَيره، وَخرج عَن ذَلك مَا كَانَا كشيء وَاحد، فَلَا تفصل الْكَلمَة من الْكَلمَة،... فتوصل (مَا) إذا كَانَت ملغاة. نَحْو: ﴿ممَّا خطيئاتهم﴾ (نوح: 25)، و ﴿أَيْنَمَا تَكُونُوا﴾(النِّسَاء: 78)، و ﴿فإمَّا ترين﴾(مَرْيَم: 26)، وإنَّمَا، وحَيْثُمَا، وكَيْفَمَا، وأما أَنْت مُنْطَلقًا انْطَلَقت، وَإذا كَانت كَافَّة. نَحْو: كَمَا، ورُبمَا، وإنَّمَا، وكَأَنَّمَا، وليتما، ولعلما.

وكانت عناية النحاة بـ (ما) في باب العامل النحوي والأثر الإعرابي. قال سيبويه ناقلا عن شيخه الخليل (1988: 3/130):. فأما (إنّما) فــلا تكون اسماً، وإنما هي فيما زعم الخليل بمنزلة فعل ملغى أي غير عامل. وقال المالقي (2002: 317): «هذه الحروف كلها أصلها العمل فيما بعدها... فإذا دخلت (ما) عليها، كفتها عن العمل من نصب، ورفع، وخفض»، وتصير بدخول «ما» عليها حروفَ ابتداء، تقع الجملةُ الابتدائية والفعلية بعدها، ويزول عنها الاختصاص بالأسماء... ويقع بعدها الجملة من المبتدأ والخبر، والفعل والفاعل. وهي مكفوفةُ العمل (ابن يعيش: 2001، 4/520).

ويفرق النحاة بين (ما) الكافة، و(ما) المهيئة، فالكف عندهم إلغاء العمل مع بقاء دخول الأداة التي تسبق (ما) على الجملة الاسمية. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ (الحجرات:10).

أما المهيئة، فهي التي تهيئ الأداة التي قبل (ما) للدخول على الأفعال، وتلغي اختصاصها بالأسماء. نحو قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾ (فاطر: 28). قال أبو حيان: «إنّ جاءت الجملة فعلية، كانت (ما) مهيئة، وإن كانت اسمية، كانت كافة (أبو حيان،1998، 4/1749).

وقد يطلقون على الكافة المغيّرة، وعلى المهيئة الموطِّئة. جاء في رصف المباني (2002: 383 – 384): «القسم الثالث: المغيرة بالكف عن العمل، وتسمى الكافة»... والقسم الرابع، وهو الموطِّئة: «وهي الداخلة على: إنّ، وأنّ، وكأنّ، ولكنّ، ولعلّ، وربّ». وقد يطلقون عليها المسلَّطة حين تأتي بعد حيثما، وإذما؛ لأنها لا تحذف في هذا الموضع (المرادي: 1992م، ص 336).

فالغرض من (ما) المهيئة – من وجهة نظر النحاة –إجراء تحول تركيبي، بحيث تدخل (ما)على الجملة الفعلية بعد إنّ كانت مختصة بالدخول على الجملة الاسمية. فالتحول حصل في شكل التركيب بإلغاء إعمال إنّ في الجملة الاسمية بعدها. قال سيبويه (1988: 3/116): الحروف التي يجوز إنّ يليها بعدها الأسماء، ويجوز إنّ يليها بعدها الأفعال، وهي: لكن، وإنما، وكأنما، وإذ، ونحو ذلك؛ لأنّها حروفٌ لا تعمل شيئاً، فتركت الأسماء بعدها على حالها، كأنّه لم يذكر قبلها شيءٌ، فلم يجاوز ذا بها، إذ كانت لا تغيِّر ما دخلت عليه، فيجعلوا الاسم أولى بها من الفعل».

فالكافة تبطل العمل، ولا تغير التركيب؛ لأن التركيب قبل دخولها عليه، كان اسميا، وبقي بعد دخولها عليه اسميا، ولكنها غيرت شكل الجملة بإبطال عمل إن، ولم تغير نوع التركيب.

أما الكافة المهيّئة فتحدث التحول في نوع التركيب، فتُدخل ما قبل ما على الجملة الفعلية. نحو قولك: إنما يقوم زيد. كفت (ما) (إنّ) عن العمل، وهيأتها لوقوع الفعل بعدها (السهيلي: 1992، 145). قال المرادي (1992م: 335): «تكون (ما) مهيّئة. وهي الكافة لإنّ وأخواتها، ولــربّ، إذا وليها الفعل. نحو ﴿ إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ﴾(فاطر: 28)، و ﴿رُبَمَا يَوَدُّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ كَانُوا مُسْلِمِينَ﴾(الحجر: 2)، فما في ذلك مهيئة؛ لأنّها هيأت هذه الألفاظ، لدخولها على الفعل. والتحقيق إنّ المهيئة نوع من أنواع الكافة. فكل مهيئة كافة، ولا ينعكس.

وَزعم ابْن درسْتوَيْه وَبَعض الْكُوفيّين إنّ (ما) «الكافة المهيئة» نكرَة مُبْهمَة بِمَنْزِلَة الضَّمير الْمَجْهُول لما فِيهَا من التفخيم، وَالْجُمْلَة الَّتِي بِعْدهَا فِي مَوضِع الْخَبَر، ومفسرة لَهَا، كَالَّتِي بعد ضمير الشَّأْن، وَرد بِأَنَّهَا لَو كَانت كَذَلك لاستعملت مَعَ جَمِيع النواسخ كضمير الشَّأْن (السيوطي، ب، د، ت، 1/521)، (ابن هشام، 1985،1/404).

ثانيا: مواضع (ما) الكافة المهيئة (الموطِّئة)

جاء مبحث (ما) الكافة المهيئة موزعا في باب الحروف المشبهة بالأفعال، وحروف الجر، والظروف، والأفعال المتصرفة، والأفعال الجامدة.

1. ما الكافة المهيئة لدخول إنّ وأخواتها على الجملة الفعلية

غلب على النحاة تناول ما الكافة المهيئة في باب الحروف الناصبة: إنّ وأنّ، وكأنّ، ولكنّ ولعلّ، وليت؛ لكثرة استعمال هذا الأسلوب في اللغة العربية، ولما يحدثه دخول (ما) من أثر شكلي في الجملة الاسمية، وإلغاء لاختصاصها بالدخول على الأسماء، وتهيئها للدخول على جملِ الأفعال. وتصير بدخول «ما» عليها حروفَ ابتداء، تقع الجملةُ الابتدائية والفعلية بعدها، ويزول عنها الاختصاص بالأسماء، ولذلك يبطل عملُها فيما بعدها. وذلك نحو قولك: إنَّما، وأنَّما، وكَأَنَّما، ولَيْتَما، وَلَعَلَّما (ابن يعيش، 2001، 4/520).

ولكل حرف من الحروف الناصبة المكفوفة بـــ(ما) استعمالاته وخصوصيته في لغات العرب، وقد قسمها النحاة إلى:

*حروف ضعيفة الشبه بالفعل، وهي: إن، وأنّ، ولكنّ، وإهمالها بعد دخول (ما) أقيس من إعمالها؛ لضعف شبهها بالأفعال. قال ابن السراج (ب، د، ت،–232/1 234): «تدخل «ما» زائدة على «إن» على ضربين: فمرة تكون ملغاة، دخولها كخروجها، لا تغير إعرابًا. تقول: إنما زيدًا منطلق».

وتدخل على «إن» كافة للعمل، فتبنى معها بناء، فيبطل شبهها بالفعل. فتقول: إنّما زيدٌ منطلقٌ، «فإنما»: ههنا بمنزلة «فعل» ملغى مثل: أشهدُ لزيد خير منك» وعللوا ذلك بأن هذه الأدوات قد أُعملت لاختصاصها بالأسماء، ودخول (ما) عليها يزيل هذا الاختصاص، ويهيئها للدخول على جمل الأفعال. إذا استوفت الجملة أركانها بعد (ما) نحو قوله تعالى: ﴿إنما يوحى إليَّ أنما إلهكم إله

واحد﴾(الأنبياء:108) وقوله سبحانه: ﴿كأنما يساقون إلى الموت﴾ (الأنفال: 6).

- وتأتي (ما) مع (لكن) فتفيد التهيئة للدخول على الجمل الفعلية، وتوسيع دائرة الاستدراك بـ (ما). نحو قولك: أنا لا أسعى إلى هذا، ولكنما أسعى إلى المجد، فالعناية هنا منصبة على الاستدراك. بخلاف ما لو قلت: ولكني أسعى. فإن العناية ستكون منصبة على المتكلم، لا على الأمر المستدرك. ويليها الاسم والفعل. تقول لكنما زيد قائم، ولكنما قام زيد... وأولاها المبتدأ والخبرَ حين كفّها عن العمل، وإن شئت؛ قلت: «لكنّما قال زيد» ، فيليها الفعلُ والفاعلُ. قال امروُ القيس:

ولكنّما أسْعَى لمَجْدٍ مُؤَثل... قد يدركُ المجدَ المؤثـلَ أمثالي

(البيت من الطويل، وهو في ديوان الشاعر، 39؛ و(الأنباري:1/ (84؛ وابن يعيش،1/ 79، 8/57)؛ المالقي،2002، 319؛ والسيوطي، 1/ 14).

فأولى «لكنما» الفعل (2001: 1/62، 4/524).

* حروف كثيرة الشبه بالفعل (ليت ولعلّ وكأنّ)، وإعمالها أقيس من إهمالها، لشدة شبهها بالفعل، ويليها الاسم والفعل، تقول: «لَعَلَّمَا زيدٌ قائمٌ»، وإن شئت: «لعلّما قائمٌ زيدٌ» (ابن يعيش، 2001، 4/ 524).

- فمن دخولها على الجملة الاسمية مع إلغاء عملها؛ لأنها جعلت مع «ما» من حروف الابتداء. قول سويد ابن كراع:

تَحَلَّل وَعالِج ذاتَ نَفسِكَ وَانظُرُن ... أَبا جُعَلٍ لَعَلَّما أَنتَ حالِمُ

(البيت من الطويل، وهو لسويد بن كراع العكلي؛ سيبويه: جـ1/ 283؛ ابن يعيش، 2001، 8/ 54؛ والخزانة 4/ 297).

أولى «لعلّما» المبتدأ والخبرَ، ولم يُعْمِلها فيهما لزوال الاختصاص (ابن يعيش، 2001، 4/525).

ومن شواهد دخولها على الفعل قول الفرزدق:

نظرًا يا عَبْدَ قيس لعَلما أضاءت لك النارُ الحمار المقيّدا

(البيت من الطويل، وهو في ديوان الشاعر، 213؛ وشرح التسهيل للمرادي، 1/ 445؛ والهمع، 1/ 143).

لمّا كفّ لعلّ عن العمل بـ «ما»؛ أولاها الفعلَ الذي لم يلها قبلُ (ابن يعيش، شرح المفصل، 2001، 4/524).

* وأما ليت فإن أكثر النحاة على إنّ (ما) لا تزيل اختصاصها بالجمل الاسمية، وأن إعمال ليت مع (ما)، أولى من إهمالها. قال ابن يعيش: «لَيْتَمَا» الإلغاءُ فيها حسنٌ، والإعمال أحسنُ لقوّة معنى الفعل فيها، وعدم تغيُّر معناها (ابن يعيش، 2001، 4/524). أعملوها لشبهها بَالأفعال، وللزومها نون الْوِقَايَة، بِخلَاف الْبَوَاقِي، وَأَنَّهَا بَاقِيَة الاخْتِصَاص بالأسماء، فَلَا تدخل على الْأَفْعَال، بِخلَاف الْبَوَاقِي، فَإِنَّهَا تدخل عَلَيْهَا مَعًا؛ فَلهَذَا تعين فِيهَا الإلغاء، وَجَاز فِي لَيْت الإعمال مُرَاعاة لقُوَّة اختصاصها؛ والإهمال إِلْحَاقًا بأخواتها (السيوطي، ب، د، ت، 1/519). فإن عملت فيما بعدها كانت زائدة غير كافة، وإن لم تعمل فيما بعدها كانت زائدة وكافة. وعلى هذا أنشدوا بيت النّابغة:

قالتْ ألا لَيْتَما هذا الحَمامُ لنا ... إلى حَمامَتِنا

أو نِصفُهُ فَقَد

(البيت من البسيط، وهو في ديوان النابغة ص45، والمغني ج1ص66؛ وابن يعيش 8/58؛ والخزانة 4/297).

ومذهب الجمهور أنها لا يليها فعل، ولا معمول فعل (المرادي، 2008، 2/614). والإهمال لغة تميم. قال الخليل: وَتَمِيم ترفع كل ما كَانَ بعد الاسْم الْمُبْهم والمكنى، يجعلونه مُبْتَدأ وخبرا (الخليل، 1995، 120، 189).

وصاحَبَ هذا التحول التركيبي تحول دلالي، فأفادت (إنّما، أنّما، لعلّما، كأنّما، ليتما، لكنّما) معاني جديدة، لم تكن موجودة قبل دخول (ما). قال عبد القاهر الجرجاني (1992: 334): و«ليس ببعيد إنّ يَظُنَّ الظَّانُّ أنَّه ليس في انضمام «ما» إلى «إنّ» فائدةٌ أكثرُ من أنّها تُبطِل عملَها، حتى تَرى النحويِّينَ لا يَزيدون في أكثر كلامهم على أنها «كافَّة»، ومكانُها ههنا يُزيل هذا الظنَّ، ويُبْطِلُه». وأهم ما أشار إليه النحاة في هذا التركيب تحول (ما) من الاختصاص بالعمل في المفردات، إلى الدخول على الجمل التامة، وإفادتها الحصر. «وذلك إنّ «إنَّما» زادت «إنَّ» تأكيدًا على تأكيدها، فصار فيها معنى الحَصر، وهو إثبات الحكم للشيءِ المذكور دون غيره، فإنّ معنى «إنَّما **الله** إلهٌ واحدٌ»، أي: ما **الله** إلّا إله واحد، نحو: «لا إله إلا الله»، وكذلك «إنَّمَا أَنْتَ مُنْذِرُ» (النازعات: 45)، أي: ما أنت إلّا منذرٌ (ابن يعيش، 2001، 4/521). فجمعت (إنما) بين معنى (إن) المؤكدة للحكم، ومعنى (ما) النافية للحكم عما سواه، وأصبحت «أداة حصر مركّبة من (إنّ)، و(ما) الكافَّة الزائدة، تثبت ما يُذكر بعدها، وتنفي عنه ما سواه، حيث ينحصر المعنى فيه دون غيره. قال العكبري: (2001، 1/15).: «تفيد (إنما) حصر الخبر فيما أسند إليه الخبر، كقوله تعالى:» إنما **الله** إله واحد) النساء: 171).

وذهب فاضل السامرائي (2000 م، 323 – 335). إلى إنّ الحصر غير متوقف على إنما، بل ممتد إلى جميع الحروف الناصبة المكفوفة، ولهذا الرأي وجاهته.

2. ما الكافة لحروف الجر المهيئة للدخول على الفعل

تزاد (ما) بعد بعض حروف الجر، فتكون مزيدة كافة، ومزيدة غير كافة متوسطة بين حرف الجر ومعموله، نحو قوله تعالى: ﴿**عَمَّا قَلِيلٍ لَّيُصْبِحُنَّ نَادِمِينَ**﴾ (المؤمنون: 40)، وقوله: ﴿**فَبِمَا نَقْضِهِم مِّيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ**﴾ (المائدة: 13)، وقوله: ﴿**مِّمَّا خَطِيئَاتِهِمْ أُغْرِقُوا فَأُدْخِلُوا نَارًا**﴾ (نوح: 25)، (السامرائي،2000، 3/100). أما الكافة المهيئة، فقد حصرها النحاة في مواضع بعينها. منها:

*** كفُّ رب بـ (ما)**

تكف (ما) ربّ، فتلغي اختصاصها، وتغيّر حكمها، وتهيئتها للدخول على الأفعال «أَلا ترى إنّ ربّ لَا تدخل إِلَّا على الاسْم، فَإِذا اتَّصَلت بهَا (مَا) غيّرت حكمهَا، وَأولَتهَا الْفِعْل (الحريري: 1998م، 77). قال المبرد (ب، د، ت، 2/55): تَقول رُبّ رجل، وَلَا تَقول: ربّ يقوم زيد، فَإِذا ألحقت (مَا)، هيأتها للأفعال، فَقلت: رُبّما يقوم زيد»، ولا يكون الفعل بعد ربّما إلا ظاهرا، ولا يكون إلا مقدما. فتقول: ربّما قام زيد، وربما ضربت عمرا، ولا تقول: ربّما عمرا ضربته؛ إلا إنّ يأتي في الشعر، فيقتصر على موضعه (ناظر الجيش،1428، 6/3042). وتدخل (رب) على الْفِعْل الْمَاضِي خاصَّة؛ لأنَّه تحقَّق. فلاّ يجوز: «ربَّ رجلٍ عالمٍ سَأَلْقَى، أَو لأَلْقَيَنَّ»؛ لأن السين تفيد الاستقبال،

والنون تفيد التأكيد، وتصرف ربّما الفعل إلى الاستقبال» (ابن يعيش،2001،4/486).

وقد اختلف النحاة في تفسير مجيء الفعل المضارع بعد ربّما في نحو قوْله تَعَالَى: ﴿**رُبَمَا يود الَّذين كفرُوا**﴾ (الحجر:2) فقيل: «وَقع الْمُسْتَقْبل هُنَا، لأنَّه مَقْطُوع بِوُقُوعه إذا أَخبر من الله تَعَالَى، فَجرى مجْرى الْمَاضِي في تحقُّقه، وَقيل هُوَ على حِكَايَة الْحَال... وقيل: إنّ (مَا) نكرَة مَوْصُوفَة أَي ربّ شَيْء يودّه (اللباب، 1995، 367)،

*** كفُّ الكاف بـــ(ما)**

تكف الكاف (ما)، وتلغي اختصاصها بالعمل في الألفاظ المفردة وتهيئها للدخول على الجمل؛ لتشبيه جملة بجملة. تقول: زيد قاعد كما عمرو قاعد، شبهت جملة بـ (جملة)، بكونهما حاصلين في الوجود. وتقول: زيد قاعد كما إنّ عمرًا قائم، والمعنى: قعود زيد لا محالة، وقيام عمرو لا محالة. فالأولى فيها تشبيه جملة بجملة، وهذه توجب حصول الأمرين في الوجود، فهذا فرق ما بينهما (أبو حيان، 1998، 4/1715).

والنحاة على إنّ (كما) بمنزلة حرف واحد متحول من اندماج الكاف بـــ (ما). قال سيبويه (1988، 3/116): «سألت الخليل عن قول العرب: انتظرني كما آتيك، وارقبني كما ألحقك، فزعم إنّ ما والكاف جعلتا بمنزلة حرف واحد، وصيِّرت للفعل، كما صيِّرت للفعل ربّما».

واختلفت آراء النحاة في موقع (ما) من (كما) إذا وليها الجملة الاسمية. نحو قوله تعالى: ﴿**اجْعَل لَّنَا إِلَهًا كَمَا لَهُمْ آلِهَةٌ**﴾(الأعراف: 138)، فقيل: كافة مهيئة، وما بعدها مستأنف، وقيل: مصدرية، ولهم متعلق بفعل. أي: كما ثبت لهم. وقيل موصولة، وَالتَّقْدير: كَالَّذي هُوَ آلِهَة لَهُم، أو مماثلًا للذي لهم (ابن هشام،1985، 1/408).

أما إذا ولي (ما) الفعل. نحو قوله تعالى:﴿**كما آمن الناس**﴾. فقيل: يجوز إنّ تكون كافة مثلها في: (رُبَما)، ويجوز إنّ تكون مصدرية (الزمخشري، 1407هـ، 1/64). ولم يجز أبو حيان إنّ تكون كافة؛ لاحتمال كونها مصدرية، وبهذا تكون الكاف عاملة، ولا زيادة في التركيب. قال: «وَمَا، من: ﴿**كَمَا آمَنَ النَّاسُ**﴾(البقرة:13) مَصْدَرِيَّةٌ. والتَّقْدِيرُ كَإِيمَانِ النَّاسِ، فَيَنْسَبِكُ مِنْ مَا وَالْفِعْلِ بَعْدَهَا مَصْدَرٌ مَجْرُورٌ بِكَافِ التَّشْبِيهِ...وَأَجَازَ الزَّمَخْشَرِيُّ، وَأَبُو الْبَقَاءِ في مَا مِنْ قَوْلِه: كَمَا آمَنَ، إنّ تَكُونَ كَافَّةً لِلْكَافِ عَنِ الْعَمَلِ مِثْلَهَا فِي: ربّمَا قَامَ زَيْدٌ، وَيَنْبَغِي إنّ لَا تُجْعَلَ كَافَّةً إلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَا تَقَدَّرُ فيه مَصْدَرِيَّةٌ؛ لأَنَّ إبْقَاءَهَا مَصْدَرِيَّةً مُبْقٍ لِلْكَافِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ فِيهَا مِنَ الْعَمَلِ، وَتَكُونُ الْكَافُ إذْ ذَاكَ مِثْلَ حُرُوفِ الْجَرِّ الدَّاخِلَةِ عَلَى مَا الْمَصْدَرِيَّةِ، وَقَدْ أَمْكَنَ ذَلِكَ فِي: كَمَا آمَنَ النَّاسُ، فَلَا يَنْبَغِي إنّ تُجْعَلَ كَافَّةً...التَّقْدِيرُ كَإِيمَانِ النَّاسِ، فَيَنْسَبِكُ مِنْ مَا، وَالْفِعْلِ بَعْدَهَا مَصْدَرٌ مَجْرُورٌ بِكَافِ التَّشْبِيهِ» (أبو حيان، 1420،1/110). وكونها كافة أولى من كونها مصدرية. والقول بأنها مصدرية، فيه حرص من النحاة على الإعراب، أكثر من مراعاة التركيب والمعنى، فالنحاة يتحاشون القول بأن (ما) كافة خشية القول بأنها زائدة. ولذلك حرص النحاة على التقليل من مواضع ما الكافة ومحاصرتها بمجموعة من القواعد الضابطة، وعلى رأسها عدم إمكانية تقدير ما مصدرية أو موصولة. مع العلم بأن الزيادة هنا ليست عبثية، ولها غرض تركيبي، وهو التوسع في استعمال اللغة بالانتقال من اختصاص بعض الألفاظ باللفظ المفرد إلى الدخول على الجمل.

وقيل: يجوز إنّ تكون ظرفية. نحو قولك: «ادخل كما إنّ يسلّم الإمام، أي: في ذلك الوقت، ونُسب للكوفيّين وللمبرّد النصب بـــ» كما» كما ينصبون بـ«كيما» على إنّ أصلها كيما، فحذفت الياء تخفيفًا (ابن الأثير، 1420، 1/615) وأنشدوا لرؤبة:

لا تظلمُوا الناس كما لا تُظلَمُوا (من الرجز، وهو في ملحقات ديوانه 183؛ البغدادي في الخزانة «3/ 519 و4/ 286؛ شرح الرضي على الكافية ج2 ص240، والإنصاف 2/ 587، 591).

*** كفُّ(مِن) بـــ (ما) المهيئة**

تكف (مِن) بـــ (ما) إذا كانت بمعنى ربّما. قال سيبويه: «وإن شئت قلت: إني مما أفعل، فتكون (ما) مع (مِنْ) بمنزلة كلمة واحدة. نحو: رُبّما (الكتاب، 1988، 3/156).:» والعرب تقول: «أنت مما تفعل كذا» أي ربّما تفعل (السيرافي،2008، 1/180). قال أبو حيّة النميّري:

وإنّا لَمِمَّا نَضربُ الكَبْشَ ضَربةً...على رأسه تُلقي اللسانَ من الفَم (البيت مِن الطويل وهو في (الكتاب لسيبويه،1988،3/156)، (المَقتضب، للمبرد، د، ت، 4/174)، المرادي، الجنى الداني، 1992، 215).

قال البغدادي (1414، 3/163): «ولا تكون «ما» ههنا إلا كافة». وذهب أبو علي الفارسي (1987، 200) إلى إنّ (ما) تحتمل إنّ تكون نكرة موصوفة، أو اسما موصولا، أو كافة. قال: «فأما قولهم: إني مما أفعل، فيجوز إنّ تكون (ما) فيه نكرة، وتكون (أَفْعَل) صفة له، أي: إني من شيء أفعله، ويجوز إنّ تكون «ما» معرفة، و «أَفْعَل» صِلَتُهُ، والمعنى على ما تقدم. ويجوز إنّ تكون (ما) كافة مثل: إني ربّما أفعل في الكف لا في المعنى. كل هذا الخلاف التركيب نفسه، وهو خلاف لإصلاح اللفظ وفقا للقاعدة. أما المعنى، فلا خلاف عليه.

*** كفُّ الباء بـــ (ما) المهيئة.**

تقترن (مَا) بِالْبَاء، فتكفها، وتفيد معنى ربّما. نحو قول الشاعر:

فلئن صرت لا تُحير جواباً... لبما قد تُرى وأنت خطيب (البيت من الخفيف، وهو في: شرح أبيات مغني اللبيب 5/258؛ والهمع، 2/ 38؛ والعيني، 3/ 3477). فَمَعْنَى (لبما) قد تري، وَأنت خطيب ربّما (ابن مالك، 1990، 2/172). ويليها الماضي فإن وليها المضارع فهو بمعنى الماضي. قال أبو حيان (1988، 4/1699): «تزاد (مَا) بعد رب، فالغالب الْكَفّ وإيلاؤها حِينَئِذ الْمَاضِي؛ لأَن التكثير والتقليل إنَّمَا يكون فِيمَا عرف حَده، والمستقبل مَجْهُول» أراد: ربّما أرى، و«قد» مع المضارع تفيد هذا المعنى، ولكن اجتمعتا توكيدا (أبو حيان ب، د، ت،11/270).

وقيل: «ما» في ذلك مصدرية، والباء للسببية المجازية، والمعنى على التكثير لا على التقليل... والفعل الذي تتعلق به الباء مقدر مما قبلها، والتقدير: لانتفاء إحارتك جوابا برؤيتك وأنت خطيب (أبو حيان، ب، د، ت،11/270). وهو تأويل بعيد (ابن هشام،1985، 1/408).

3. كف الظروف عن الإضافة وتهيئتها للجمل

تدخل (ما) على بعد وبين، فتكفها عن الإضافة، وتهيئها للدخول على الجمل، والجمل بعدها ابتدائية، وتدخل على (حيث وإذ)، فتكفهما عن الإضافة، وتسلط التركيب (حيثما وإذ ما) على الفعل بعدها فتجزمه لتضمنها معنى إن.

*** كف (بين وبعد)**

تكف (ما) بين وبعد عن الإضافة للأسماء وجرها، وتهيئها للدخول على الجمل، فتدخل على الجملة الاسمية، والجملة الفعلية. قال ابن يعيش (2001، 5/68).: «وتدخل (ما) على (بين وبعد) فتهيئهما للدخول على الجملة الاسمية والجملة الفعلية بعد إنّ كانتا مختصتين بالدخول على الأسماء... ألا ترى إنّ «بَعْدَ»، و«بَينَ» حقهما إنّ يضافا إلى ما بعدهما من الأسماء، ويجرّاه، وحين دخلت عليهما، «ما» كفتهما عن ذلك، ووقع بعدهما الجملةُ الابتدائيةُ». قال المرار الأسدي:

أَعَلاقَةً أُمَّ الوُلَيِّدِ بَعْدَمَا... أَفْنَانُ رأسِكَ كالثَّغَامِ المُخْلِسِ (البيت من الكامل، وهو في ديوان المرار،461؛ سيبويه، الكتاب،1988، 1/116؛ المقتضب، ب، د، ت،2/54؛ وشرح الرضي على الكافية،2/ 395؛ والمغني،1/ 344).

فليس ها هنا فعل، فيكون معها مصدراً (السهيلي،1992، 145 – 146)، (أبو حيان، ت، د، ت، 3/155).

وتهيئها للدخول على الجملة الفعلية نجو قولك: «بعدما جلس عمرو» فما هنا ليست مصدرية، ولكنها كافة لـــ(بعد) عن الخفض، مهيئة لوقوع الجمل بعدها (السهيلي، 1992، 145 – 146).

وذهب ابن هشام (1985، ص409). إلى إنّ ما مصدرية؛ لأَن فِيهِ إِبْقَاء (بعد) على أَصْلهَا من الْإِضَافَة؛ وَلِأَنَّهَا لَو لم تكن مُضَافَة لنونت»

وَقيل: (ما) زَائِدَة وَبَين مُضَافَة إِلَى زمن مَحْذُوف مُضَاف إِلَى الْجُمْلَة. أَي: بَين أَوْقَات نَحن بالأراك. وقيل (ما) زائدة، و(بين) مضافة إلى الجملة، وقيل زائدة، و(بين) مضافة إلى زمن محذوف مضاف إلى الجملة. أي: بين أوقات نحن بالأراك (ابن هشام، 1985، 409). كل هذه التقديرات للتركيب نفسه، المعنى نفسه، وهي بعيدة وفيها كثير من التكلف.

ويجري على (بَيْنَا) –بحَذْف الميم – ما جرى على بينما، وَأَصْلُهَا: (بَيْنَ)، لَكِنْ دَخَلَتْ عَلَيْهَا (مَا) الكَافَّةُ الَّتي تَكُفُّ (بَيْنَ) عَنِ الإِضَافَة؛ فتَقُول: (بَيْنَا زَيْدٌ يَسِيرُ إِذْ لَقِيَ عَمْرًا) بِرَفْعِ (زَيْدٍ) (خنفر: ب، د، ت، ص70). ونحو قول الشاعر:

فَبَيْنَا نَسُوسُ النَّاسَ وَالْأَمْرُ أَمْرُنَا... إِذَا نَحْنُ فِيهِمْ سُوقَةٌ نَتَنَصَّفُ (البيت من الطويل، وهو لحرقة بنت النعمان بن المنذر وهو في:(مغني اللبيب،1985، 409)؛ (الجنى الداني،1992، 376)؛ (السيوطي، د، ت، 2/205).

*** تحول بعض الظروف إلى أدوات شرط**

أطال النحاة التفصيل في باب الشرط، وأدواته، وذهبوا إلى إنّ جميع أدوات الشرط متضمنة معنى إنّ الشرطية. قال الأنباري (1999، 238): أمَّا ما عدا «إنْ» من الألفاظ التي يُجازى بها؛ نحو: «مَنْ، ومَا، وأيّ، ومهما، ومتى، وأين وأيان، وأنى، وأيُّ حين، وحيثما، وإذ ما «فإنما عملت؛ لأنَّها قامت مقام إنْ، فعملت عملها».

وجعلوا (ما) زائدة مع جميع أدوات الشرط. قال ابن السراج: «وكل الحروف والأسماء التي يجازى بها، لك إنّ تزيد عليها «ما» ملغاةً (ابن السراج، ب، د، ت، 2/ 160)، واستثنوا من ذلك حيثما، وإذ ما. فإن (ما) فيهما جزء من بنائهما، وليست زائدة؛ للزومها. قال سيبويه (1988، 3/57): لا يكون الجزاء في «حيث» ولا في «إذ» حتى يضمَّ إلى كل واحد منهما «ما» فتصير (إذ) مع (ما) بمنزلة: إنَّما، و كأنَّما، وليست «ما» فيهما بلغو، ولكن كلّ واحد منهما مع «ما» بمنزلة حرف واحد». فلو جُوزِيَ بحيثُ وإذْ، ولم يضُمَّ إليهما (ما) لم تجز المجازاةُ بهما؛ لأنّك إذا جازيت جزمْتَ، وهذا موضعٌ لا يكون فيه الفعلُ إلا مرتفعًا، لوقوعه موقع الاسم، فلمّا امْتَنَعَتْ المجازاةُ بهما لِمَا ذكرنا، ضُمَّ إليهما (ما) الكافَّةُ، فمَنَعتهما الإضافةَ، كما أنَّك ضَمَمْتَها إلى سائر الحروف، والأسماء الجارّة، فكَفَفْتَها عن الإضافة (الفارسي،1990، 2/ 171 – 172).

فـ (ما) في هذا الموضع كافة مهيئة. كفت (حيث، وإذ) عن الإضافة، وهيأتها للدخول على الفعل بعدها، وتحولت من الظرفية المحضة إلى الظرفية الشرطية، وتحول معنى فعلهما من المضي إلى الاستقبال؛ لأن الشرط لا يكون فيما مضى (ابن يعيش،2001، 3/136).

إذ ما اخْتلَفَ النحاة في (إذما) فقيل هي متحولة من الاسمية إلى الحرفية، وأنها كلمة واحدة، وهو رأي سيبويه. قال (1988، 3/116): «الحروف التي يجوز إنّ يليها بعدها الأسماء، ويجوز إنّ يليها بعدها الأفعال، وهي: لكن، وإنما، وكأنما، وإذ، ونحو ذلك؛ لأنَّها حروفٌ لا تعمل شيئاً».

وقد أكثر النحاة من التعليل لحرفيتها: فقيل: هي حرف لعلة التركيب، وقيل: لتضمنها معنى (إن)، وقيل هي حرف لانصراف معناها عن الماضي للمستقبل. قال السيرافي محتجا لرأي سيبويه (2008، 3/258): «(إذ) لما ضممت إليها (ما) وجوزي بها، خرجت عن معناها؛ لأنها كانت من قبل دخول (ما) عليها لما مضى من الزمان، وبعد دخولها للمستقبل كـ (إن)؛ وقد يركّب الشيئان، فيخرجان عن حكم كل واحد منهما إلى حكم مفرد. نحو: لولا، وهلا، وغيرهما، وجعلها سيبويه حرفا لوقوعها موقع (إن)، ولم يقم دليلا على اسميتها «وقال ابن مالك في إذ ما: «كانت قبل دخول (ما) عليها اسم زمان ماض خاليا من معنى الشرط، فلما دخلت عليها «ما» صارت أداة شرط بمعنى «إنْ» مختصة بالمستقبل، وزال ما كان فيها من معنى الاسم، ولم نعلم نقلها إلى معنى آخر غير الشرط، فحكمنا بحرفيتها؛ لأن دلالتها على معنى الحرف مُتَيَقَّنة، ودلالتها على معنى الاسم مشكوك فيها، والحكم بمقتضى ما تُيُقِّن أولى (شرح التسهيل،1990، 4/772).

وما احتُجَّ به لحرفيتها فيه نظر، فلو كان المعنى شرطا لتغير الألفاظ؛ لتحولت جميع أسماء الشرط إلى حروف؛ لأنها متضمنة معنى إن. قال ابن الوراق) (1999، 1/438)، «وَاعْلَم إنّ هَذه الْأَسْمَاء الَّتي اسْتعْملت في بَاب الْجَزَاء، إنَّمَا يجْزم مَا بعْدهَا بتَقْدير (إن)، وَلَكِن حذف لفظ (إن) اختصاراً واستدلالاً بالْمَعْنَى، لأن الْأَصْل إنَّ تعْمل الْأَفْعَال والحروف، فَأَما الْأَسْمَاء فَلَيْسَ أَصْلهَا إنّ تعْمل، وَلذَلك وَجب تَقْدِير (إن). وكذلك أسماء الاستفهام متضمنة معنى الهمزة. قال العكبري (1995، 2/134): «وجميعُ أسماء الاسْتِفْهَام

مبنيَّةٌ لتضمُّنها معنى الْهمزَة».

أما قولهم: إن التركيب قد أحال (إذ ما) إلى حرف، ففيه نظر؛ لأن التركيب ليس علة قاطعة للتحول من قسم إلى قسم من أقسام الكلام، والأصل في المركب من البسيط إنّ لا يقل في مدلوله عنه، وأن تدل الزيادة في المبنى على الزيادة في المعنى، وليس العكس، وهم حين يتحدثون عن تركيبها، يقولون: إنها أشبهت كأنّ، ولولا، ولوما، وهي حروف في الأصل، وليست أسماء، ولا علاقة لمعانيها بأصل معاني حروفها مفرقة (المرادي، 2008، 3/1308). أما (إذما) وحيثما، فمعنى الظرف لا يزال قائما فيهما.

وذهب المبرد، وابن السراج، والفارسي إلى أنها ظرف زمان. قال المبرد (ب، د، ت، 2/47): «وَلَا يكون الْجَزَاء في إِذْ، وَلَا في حَيْثُ بِغَيْر مَا؛ لِأَنَّهُمَا ظرفان يضافان إِلَى الْأَفْعَال، وَإِذا زِدْت على كل وَاحِد مِنْهُمَا (مَا) منعتا الْإِضَافَة فعملتا».

واحتج القائلون لاسمية إذ بثبات الأصل، وبأنها قبل دخول «ما» كانت اسمًا، وأن الشرط فيها متضمن، وأن التغيير في المعنى لا يغير الأصل كالمضارع، فإنه موضوع لأحد الزمانين: الحال أو الاستقبال، وإذا دخل عليه «لم»، انقلب زمانه إلى المضي مع بقاء ذاته على أصلها (الأزهري، 2000، 2/398). فكيف تكون اسما إنّ دلت على المضي، ولا تكون اسما إنّ دلت على المستقبل!

4. ما الكافة للفعل التام المتصرف

حصر النحاة الكف بـ (ما) المهيئة في ثَلاثَة أَفْعال: قَلَّ، وكثُرَ، وطالَ. يقالُ: قلَّما، وَكثرمَا، وطالَما (الزبيدي، د، ت، 40/500). قال الفارسي: «(1990،1/54).: (قَلَّ) حكمه إنّ يليه الاسم؛ لأنه فعل، فإذا أُدخلت عليه (ما) كَفَّتْهُ، وهَيَّأَتْهُ للدخول على الفعل كما تهيئ (رُبَّ) للدخول على الفعل».

فـ «قل» قبل دخول «ما» لا تليها الأفعال؛ لأنها فعل، ولا يلي الفعل فعل، فأدخلوا عليها «ما» ليوطئوا للفعل إنّ يليه؛ لأن الفعل لا يمتنع إنّ يلي «ما»، وكان الحكم إنّ يولوها ما دخلت «ما» من أجله، وهو الفعل (السيرافي، شرح كتاب سيبويه،2008، 1/247). قال الشاعر:

صَدَدْتِ فأَطولتِ الصُّدُودَ وقَلَّما... وِصَالٌ على طولِ الصُّدودِ يَدُومُ (البيت من الطويل وهو للمرار الفقعسي في ديونه ص 480، ومنسوب لعمر بن أبي ربيعة، والمقتضب 1/84؛ وابن يعيش 7/ 116؛ وشرح السيرافي، 4/ 13).

قيل: «(ما) كَافَّة، ووصال فاعل مرفوع بفعل مقدَّر يُفسره «يدوم». وتفسيرُه: قلمَا يبقى وصالٌ، ونحوُه ممّا يفسره «يدوم». ولا يرتفع بالابتداء؛ لأنه موضعُ فعل (ابن يعيش، 2001، 5/69).

وقيل: «(ما) اسم موصول في موضع رفع بـ (قَلّ)، و (وصال) مبتدأ، وما بعده خبره، والجملة صلة لـ (ما)، والتقدير: وقلما يدوم وصال، لأنه إنما أراد تقليل الدوام (المنتجب، 2006، 1/126).

وقيل: «ما» مصدرية، والمصدر المنسبك منها، ومن صلتها في محل رفع فاعل الفعل الماضي؛ فالتقدير: طال إيفاؤك بوعدك، وكثر حمدي لك الوفاء، وقل إخلاف النبيل وعده، وإنما كان هذا الرأي أفضل؛ لأنه يوافق الأصل العام الذي يقضي بأن يكون لكل فعل أصلي فاعل؛ فلا داعي لإخراج هذه الأفعال من نطاق ذلك الأصل (حسن، عباس، ب، د، ت، 2/72).

وقيل: (ما) صلة ملغاة، والاسم بعدها مرتفع بقلَّ، كأنه قال: وقل وصالٌ يدوم على طول الصدود.

وقيل: (ما) في قلما ظرف، بمعنى الحين والوقت، كأنه قال: وقَلَّ وقتٌ يدوم فيه وصال على طول الصدود؛ فقلّ لم تزل عن فعليتها غير إنّ الذي يرتفع بها: "ما» وهي اسم مبهم، يجعل في هذا الموضع للزمان، فكأنه قال: قلّ وقت يدومِ فيه وصال (السيرافي، 2008، 1/247)، والتقدير: طال زمان أقمنا فيه، وقعدنا فيه، والزمان مبهم (السهيلي، نتائج الفكر في النحو،1992، 145).

وكل هذا الخلاف لا طائل من ورائه إلا تشتيت الذهن؛ لأنه لا زيادة في التركيب إلا لمعنى، أو لتمايز التراكيب وتجنب اللبس. وسبب هذا الخلاف عدم استقلالية الأساليب النحوية وما تؤديه من معان، وردها إلى التراكيب الاسمية والفعلية.

5. دخول ما على الأفعال الجامدة

تدخل (ما) على فعلي المدح والذم (بِئْسَ ونِعْم)، فتكفها عن العمل، وتلغي اختصاصها بالدخول على الأسماء، وتهيئها للدخول على الجمل الفعلية. نحو قوله تعالى: «نعمّا يَعظُكم به» (النساء: 58). قال ابن عطية:» نعمَّا أصله نعم مَا، سكنت الأولى وأدغمت في الثانية وحركت العين لالتقاء الساكنين، وخصت بالكسر إتباعا للنون، و «ما» المردفة على «نعم» إنما هي مهيئة لاتصال الفعل بها كما هي في «ربما ومما» (ابن عطية، 1422، 2/70). ويأتي بعدها الفعل الماضي والمضارع. نحو قوله تعالى: ﴿**لَبِئْسَ مَا قَدَّمَتْ لَهُمْ أَنْفُسُهُمْ**﴾ (المائدة:80)، وقوله: ﴿**فَبِئْسَ مَا يَشْتَرُونَ**﴾ (آل عمران:187)، وقوله: ﴿**لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ**﴾ (المائدة: 62). وذهب غيره إلى أنها موصولة وما بعدها صلتها أو أنها تمييز وما بعدها صفة قال ابن هشام (1985، 1/391).: «إن الْمَعْنى نعم هُوَ شَيْئا يعظكم بِهِ فَمَا نكرَة تَامَّة تَمْيِيز وَالْجُمْلَة صفَة وَالْفَاعِل مستتر وَقيل مَا معرفَة مَوْصُولَة فَاعل وَالْجُمْلَة صلَة».

وقد كثر خلاف النحاة في تخريج مكانة (ما) وموقعها، فإذا وليها الاسم. نحو: نعمّا زيد، وبئسما تزويج ولا مهر، **ففيها ثلاثة مذاهب**:

- **أولها**: أن (ما) نكرة غير موصوفة في موضع نصب على التمييز، والفاعل مضمر.
- **وثانيها**: إنّ (ما) معرفة تامة، وهي الفاعل.
- **وثالثها**: إنّ (ما) ركبت مع الفعل، فلا موضع لها من الإعراب، والمرفوع بعدها هو الفاعل (المرادي، 1992، 338).

وإذا وليها الفعل. ففيها أوجه عدة مرجوحة لا يتسع المقام لتفصيلها (ينظر، ناظر الجيش، 1428هـ،5/2552). **وقد اختصرها المرادي في عشرة مذاهب**:

- **أولها**: إنّ (ما) نكرة منصوبة على التمييز، والفعل صفة لمخصوص محذوف.
- **وثانيها**: إنّ (ما) نكرة منصوبة على التمييز، والفعل صفتها، والمخصوص محذوف.
- **وثالثها**: إنّ (ما) اسم تام معرفة، وهي فاعل نعم،

والمخصوص محذوف، والفعل صفة له.

- **ورابعها**: إنّ (ما) موصولة، والفعل صلتها، والمخصوص محذوف.

- **وخامسها**: إنّ (ما) موصولة، وهي المخصوص، و(ما) أخرى تمييز محذوف، والأصل: نعم ما ما صنعت.

- **وسادسها**: إنّ (ما) تمييز، والمخصوص (ما) أخرى موصولة محذوف، والفعل صلة لها.

- **وسابعها**: إنّ (ما) مصدرية، ولا حذف في الكلام. وتأويلها: بئس صنعُك، وإن كان لا يحسن في الكلام: بئس صنعُك، كما تقول: أظن إنّ تقوم، ولا تقول: أظن قيامك.

- **وثامنها**: إنّ (ما) فاعل، وهي موصولة، يُكتفى بها وبصلتها عن المخصوص.

- **وتاسعها**: إنّ (ما) كافة لنعم، كما كفت قل فصارت تدخل على الجملة الفعلية.

- **وعاشرها**: إنّ (ما) نكرة موصوفة مرفوعة بنعم (المرادي، 1992، 339). والخلاف في هذه المسألة متشعب وطويل لا يتسع المقام لبسط الكلام فيه وتتبعه (ناظر الجيش، 1428هـ، 5/2552)، (المرادي، 2008، 2/ 917 – 927).

وكان أكثر توجيه النحاة لـ (ما) اعتمادا على موضع الاسم الظاهر، حيث تدخل على المعرفة، أو المضاف إلى معرفة، فترفع ما بعدها على الفاعلية. نحو قوله تعالى: وَبِئْسَ الْمَصِيرُ (البقرة: 126)، ﴿وَلَبِئْسَ الْمِهَادُ﴾ (البقرة: 106)، وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ (هود:98)، ﴿بِئْسَ مَثَلُ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ﴾ (الجمعة: 5).

وتدخل على الاسم النكرة، فينتصب على التمييز. نحو قوله تعالى: ﴿بِئْسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا﴾ (الكهف:50). واستَجَدَ كونها كافة مهيئة لا محل لها من الإعراب، وهو الأولى لما لحقها من تغير في التركيب، ولما لحقها من إبهام في المعنى.

فـ (نعم) عندهم فعل لا بد له من فاعل، ولذلك قدروا إنّ (ما) معرفة، وهي الفاعل، وقدروا إنّ (ما) نكرة، وهي تمييز، والفاعل مستتر، وقدروا (ما) زائدة، وما بعدها فاعل. وقدروها موصولا، وما بعدها صلتها، وقدروها مصدرية، وما بعدها منسبك معها في تأويل مصدر.

ولا يتوقف الخلاف في معنى (ما)، وموقعها على باب نعم وبئس، بل هو ممتد إلى باب (ما)، وما المهيئة خصوصا، ويغلب التباس ما الكافة المهيئة بـغيرها من المعاني المحتملة لها. فقد أجاز العكبري في قوله تعالى: ﴿إِنَّمَا اتَّخَذْتُم مِّن دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا مَّوَدَّةَ بَيْنِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا﴾ (العنكبوت:25) إنّ تكون ما موصولة، أو كافة ومصدرية. قال: في «مَا» ثَلَاثَةُ أَوْجُه:

أَحَدُهَا: هِيَ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ؛ أَيِ اتَّخَذْتُمُوهُ. وَ «أَوْثَانًا» مَفْعُولٌ ثَانٍ، أَوْ حَالٌ...

وَالثَّانِي: هِيَ كَافَّةٌ؛ وَأَوْثَانًا مَفْعُولٌ...

وَالْوَجْهُ الثَّالِثُ: إِنْ تَكُونَ «مَا» مَصْدَرِيَّةً، وَ «مَوَدَّةَ» بِالرَّفْعِ: الْخَبَرُ؛ وَلَا حَذْفَ فِي هَذَا الْوَجْهِ فِي الْخَبَرِ؛ بَلْ فِي اسْمِ «إِنَّ» وَالتَّقْدِيرُ: إِنَّ سَبَبَ اتِّخَاذِكُمْ مَوَدَّةٌ (العكبري، ب، د، ت، 2/131).

وأجاز الهمذاني في قوله تعالى: ﴿كَمَا هَدَاكُمْ﴾ (البقرة: 198): «إنّ تكون (ما) مصدرية، وأن تكون كافة" (المنتجب، 2006، 1/477).

وأجاز الزمخشري (1407هـ، 1/247) في قوله تعالى: ﴿وَاذْكُرُوهُ كَمَا هَدَاكُمْ وَإِن كُنتُم مِّن قَبْلِهِ لَمِنَ الضَّالِّينَ﴾(البقرة:198) أن تكون (ما) محتملة للكافة المهيئة، وللمصدرية، والمعنى: واذكروه ذكراً حسنا كما هداكم هداية حسنة، واذكروه كما علمكم كيف تذكرونه». ولم يُجز أبو حيان إنّ تكون كافة إذا تلاها الفعل؛ لإمكانية تأويلها مع الفعل بمصدر. قال (1420، 2/45): وَمَا: فِي كَمَا، مَصْدَرِيَّةٌ، وَأَبْعَدَ مَنْ زَعَمَ أَنَّهَا مَوْصُولَةٌ بِمَعْنَى الَّذِي، وَالْعَائِدُ مَحْذُوفٌ، وَرَسُولًا بَدَلٌ مِنْهُ، وَالتَّقْدِيرُ: كَالَّذِي أَرْسَلْنَاهُ رَسُولًا، إِذْ يَبْعُدُ تَقْرِيرُ هَذَا التَّقْدِيرِ مَعَ الْكَلَامِ الَّذِي قَبْلَهُ، وَمَعَ الْكَلَامِ الَّذِي بَعْدَهُ، وَفِيهِ وُقُوعُ مَا عَلَى آحَادِ مَنْ يَعْقِلُ. وَكَذَلِكَ جَعَلَ مَا كَافَّةً، لِأَنَّهُ لَا يذهب إِلَى ذلك إِلا حَيْثُ لَا يُمْكِنُ إِنْ يَنْسَبِكَ مِنْهَا مَعَ مَا بَعْدَهَا مَصْدَرٌ، لولَايَتِهَا الْجُمَلَ الاسْمِيَّةَ، وَالْأَوْلَى حَمْلُهَا عَلَى أَنَّ: مَا، مَصْدَرِيَّةٌ لِإِقْرَارِ الْكَافِ عَلَى مَا اسْتَقَرَّ لَهَا مِنْ عَمَلِ الْجَرِّ (البحر المحيط،1420، 2/299).

كل هذا الخلاف وهذه التقديرات ناتجة عن عدم الاعتراف باستقلالية الحروف، والأدوات، وتشكيلها لمعاني الأساليب اللغوية. فما الكافة من مبطلات النظرية النحوية القائمة على العامل؛ لأنها تبطل العمل، وتلغي الاختصاص، وهو شرط العمل في الحروف، وتهيئ ما قبلها للدخول على الجمل، والجملة بعد (ما) ابتدائية لا محل لها من الإعراب كما قدرها النحاة؛ لذلك اجتهد النحاة في وضع ضوابط لهذه الظاهرة في أقل عدد من الشواهد. وكأنها عندهم من باب الشذوذ، وإن لم يصرحوا بذلك، فالتركيب عندهم اسمي، أو فعلي، والأدوات زوائد، أو محمولة على الاسمية أو الفعلية، أو متعلقات بالفعل، وليس لها كيان. **ومن هذه الضوابط**:

1. إنّ لا تكون ما محتملة للمصدرية. قال أبو حيان في قوله تعالى:﴿كَمَا آمَنَ﴾ (البقرة: 13)، تَكُونَ (ما) كَافَّةً لِلْكَافِ عَنِ الْعَمَلِ مِثْلَهَا فِي: رُبَّمَا قَامَ زَيْدٌ، وَيَنْبَغِي إِنْ لَا تُجْعَلَ كَافَّةً إِلَّا فِي الْمَكَانِ الَّذِي لَا تَتَقَدَّرُ فِيهِ مَصْدَرِيَّةٌ (أبو حيان، 1/110،1420). وهذا الأمر يمكن تقديره مع الفعل، ولا يمكن تقديره مع الاسم؛ لأنه لا يؤول بفعل، وهو أمر فيه نظر، فالمصدر المؤول غير المصدر الصريح في المعنى، ولا يغني أحد المصدرين عن الآخر، فالتعبير بالمصدر الصريح يدل على الحدث مجردا. أما المصدر المؤول ففيه معنى الحدث، والزمن، والفاعل، ويراد منه معنى الجملة بخلاف المصدر الصريح، ولا يستقم التأويل بالمفرد في كل موضع جاء فيه المصدر المؤول، ولو حاولت إيقاع المصدر الصريح مكان المصدر المؤول، لاختلّ الكلام في بعض المواضع. نحو قولك: ظننت إنّ سعيدًا حاضر، وليت إنّ سعيدًا غني، وعسى إنّ يزورنا خالد، وعسى زيد إنّ يأتي، وحسبت إنّ خالدًا قادم؛ لأن المراد في الحقيقة معنى الجملة لا المفرد، ولا يشترط إنّ يؤدي المفرد معنى الجملة دائمًا... ففي مثل هذه المواطن لا يصح وضع المصدر الصريح مكان المؤول؛ لفساد المعنى واختلاله، إلا بتكلف وتقدير محذوف لا موجب له، والمعنى تام بدونه.

والنحاة يقدرون في نحو ذلك: ظننت حضور سعيد حاصلا، وليت غني سعيد ثابت، وهذا فاسد، ويظهر فساده عند إظهار المحذوف مع المصدر المؤول، فلو قلت: ظننت إنّ سعيدًا حاضر

حاصل، وليت إنّ سعيدًا غني ثابت؛ لكان واضح الفساد، ولم يقله أحد من العرب (السامرائي، 2000، 1/ 271 – 1/302).

ومواقع المصدر الصريح غير مواقع المصدر المؤول، فالمصدر الصريح يأتي ليؤكد فعله، ويبين نوعه، وعدده، (الصبان،1997، 2/160). ولا ينوب عنه المصدر المؤول في هذه المواضع (السامرائي، 2000، 3/147).

ويوصف المصدر الصريح، ولا يوصف المصدر المؤول. فلا يقال: يعجبني إنّ تضرب الشديد بخلاف المصدر الصريح (الصبان،1997، 1/256). (أبو حيان، 1998، 4/ 1921).

ويقع المصدر الصريح حالا في نحو:

فأَرْسَلَهَا العِراكَ، ولم يَذُدْهَا... ولم يُشْفِقْ على نَغَصِ الدِّخالِ

(البيت من الوافر، وهو في ديوان لبيد ص 86؛ والكتاب 1/ 372؛ ولسان العرب 7/ 99 (نغص)، 10/ 465 (عرك)، 11/ 243 (دخل)؛ والإنصاف 2/ 822؛ والمقتضب 3/ 237). ولا يقع المصدر المؤول حالًا (الأشموني،1989، 1/525) (الصبان،1997، 2/243).

وينوب المصدر الصريح عن فعله نحو: فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا، فَضَرْبَ الرِّقَابِ (محمد: 4) ولا يأتي المصدر المؤول في هذا المواضع.

ويسد المصدر المؤول مسد الاسم والخبر. نحو: «عسى إنّ تكرهوا شيئًا» بناء على نقصان عسى، ومسد المفعولين في نحو: «أَحَسِبَ النَّاسُ إنّ يُتْرَكُوا» (العنكبوت: 2)، (الصبان،1997، 1/257).

يقع المصدر المؤول خبرًا عن الجثة من غير تأويل في نحو: عليّ إما إنّ يقول الحق وإما إنّ يسكت؛ لاشتماله على الفعل والفاعل والنسبة بينهما بخلاف المصدر الصريح. (عباس حسن، ب، د، ت، 1/418)، (الصبان، 1997، 3/429)، فمعنى المصدر المؤول مختلف عن معنى المصدر الصريح؛ لأن المصدر المؤول يراد منه معنى الجملة بخلاف المصدر الصريح.

2. إنّ يكون الفعل بعدها لازما، أو متعديا مستوفيا لمفعوله. قال السهيلي (1992، 145).: «وأما قولهم: اجلس كما جلس زيد، وصلوا كما رأيتموني أصلي. فقد ظن أكثر الناس أنها بمعنى المصدر ها هنا. وقد تبين فساد هذا المذهب؛ لأن الفعل ههنا خاص غير عام، ولكنها كافة للخافض، ومهيئة لكاف التشبيه إنّ يقع بعدها الفعل».

3. إنّ يكون الفعل الذي بعد الأداة المكفوفة مبنيا للمفعول (للمجهول) نحو قوله تعالى: ﴿**كأنما يساقون إلى الموت**﴾ (الأنفال: 6) والفعل (يساق) مبني للمجهول فيتعين كون (ما) كافة أو مهيئة، وسقطت معه الاحتمالات الأخرى (الحريري، 1998م، 77).

نتائج الدراسة

توصلت الدراسة إلى مجموعة من النتائج، ومن أهمها:

- اعتمد النحاة على مبادئ أصولية مسبقة في تحليل أبنية التراكيب النحوية، فلا تركيب إلا بإسناد، ولا ينعقد إسناد بحرف واسم، أو حرف وفعل، وينعقد باسم وفعل، أو اسم واسم.
- ترك النحاة التراكيب المُعَبَّر بها عن معاني الأساليب، وأخذوا يبحثون عن أصولها الاسمية والفعلية، فأكثروا من التأويل والتقدير الواجب من غير ضرورة.
- التركيب الاسمي والتركيب الفعلي نمطان من أنماط الجمل الخبرية، وليسا أصلا لجميع التراكيب كما ذهب النحاة.
- ما الكافة من مبطلات النظرية النحوية القائمة على العامل؛ لأنها تبطل العمل، وتلغي الاختصاص.
- جمع النحاة بين الحروف والأدوات في باب واحد، والأصل الفصل، فالحرف يعطي معناه المعجمي للسياق. أما الأداة فليس لها معنى معجمي مستقل، فهي تأخذ معناها من السياق، وتعطي السياق معناه من وجودها فيه، فوجودها هو الذي ينتج الأساليب.
- تعد الحروف والأدوات المصدر الأكثر فاعلية في إحداث التغييرات التركيبية، وتوليد المعاني المختلفة، فإذا كان التركيب الجملي قد اقتصر على الجملتين: الاسمية والفعلية، فإن الأساليب المعتمدة على الأدوات قد ولدت بقية معاني اللغة كـ: الاستفهام، والشرط، والتعجب، والنفي، والنهي، والأمر، والنداء، والندبة، والاستثناء، والقسم، والاستغاثة، والعرض، والتحضيض، والتعريف، وغيرها.
- (ما) الكافة تبطل العمل، ولا تغير التركيب. أما المهيئة فتبطل العمل، ويليها تركيب مختلف، فالمهيئة نوع من أنواع الكافة. وكل مهيئة كافة، ولا ينعكس.
- يعد مبحث (ما) من المباحث المشكلة في الدراسات النحوية حيث تلتبس (ما) الكافة المهيئة بـ (ما) الموصولة و(ما) المصدرية، و(ما) الموصوفة.
- أدى اختلاف فهم النحاة لمعنى (ما) وموقعها إلى خلافات كثيرة تشعر بفوضى الدلالة وفوضى القواعد.
- لم يوفق النحاة في إحالة (ما) الكافة المهيئة إلى المصدرية لإعطائها مواقع إعرابية، فمعنى المصدر الصريح غير معنى المصدر المؤول، ومواقع المصادر الصريحة غير مواقع المصادر المؤولة.
- تكتب ما الكافة المهيئة موصولة بما قبلها؛ لأنها حرف، وتكتب (ما) مفصولة إذا كانت اسمًا.

قائمة المصادر والمراجع

- القرآن الكريم
- ابن الأثير، المبارك بن محمد. (1420 هـ– 1999م). البديع في علم العربية. تحقيق ودراسة: فتحي أحمد علي الدين، المملكة العربية السعودية: منشورات جامعة أم القرى.
- الأزهري، خالد بن عبد. (2000م). شرح التصريح على التوضيح. ط 1، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- الأُشْمُوني، علي بن محمد. (ب، د، ت). شرح الأشموني على ألفية ابن مالك. بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- الكندي، امرؤ القيس بن حجر. (1984 م). ديوان امرئ القيس. تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف.
- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. (1999م). أسرار العربية. ط 1، لبنان:

دار الأرقم بن أبي الأرقم.

- الأنباري، عبد الرحمن بن محمد. (2003م). الإنصاف في مسائل الخلاف. ط 1، المكتبة العصرية.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1997 م). خزانة الأدب ولب لباب لسان العرب. تحقيق وشرح: عبد السلام محمد هارون، ط 4، الناشر: القاهرة: مكتبة الخانجي.
- البغدادي، عبد القادر بن عمر. (1414هـ – 1993م). شرح أبيات مغني اللبيب. تحقيق: عبد العزيز رباح وأحمد يوسف دقاق، ط 2، بيروت: دار المأمون للتراث.
- البيضاوي، عبد الله بن عمر. (1418 هـ– 1997م). أنوار التنزيل وأسرار التأويل. تحقيق: محمد عبد الرحمن المرعشلي، ط 1، بيروت: دار إحياء التراث العربي.
- الجرجاني، عبد القاهر بن عبد الرحمن. (1992م). دلائل الإعجاز في علم المعاني. تحقيق: محمود محمد شاكر، ط 3، القاهرة: مطبعة المدني.
- ابن جني، عثمان بن جني. (ب، د، ت)، اللمع في العربية. تحقيق: فائز فارس، الكويت: دار الكتب الثقافية.
- الحريري، القاسم بن علي. (1998م). درة الغواص في أوهام الخواص. تحقيق: عرفات مطرجي، ط 1، بيروت: مؤسسة الكتب الثقافية.
- حسن، عباس. (ب، د، ت). النحو الوافي. ط 15، دار المعارف.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. (1418 هـ– 1997م). ارتشاف الضرب من لسان العرب. تحقيق: وشرح ودراسة: رجب عثمان محمد، مراجعة: رمضان عبد التواب، ط 1، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. (ب، د، ت). التذييل والتكميل في شرح كتاب التسهيل. تحقيق: حسن هنداوي، دمشق: دار القلم.
- أبو حيان، محمد بن يوسف. (1420 هـ– 1999م). البحر المحيط في التفسير. تحقيق: صدقي محمد جميل، بيروت: الناشر: دار الفكر.
- الدعاس، أحمد عبيد وآخرون. (1425هـ– 2004م). إعراب القرآن الكريم. ط 1، دمشق: دار المنير ودار الفارابي.
- ابن أبي ربيعة، عمر. (1996م). ديوان عمر بن أبي ربيعة. تحقيق: فايز محمد، دار الكتاب العربي.
- الراجحي، عبده. (1999م). التطبيق النحوي. ط 1، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع.
- الرضي، محمد بن الحسن. (1975م). شرح شافية ابن الحاجب. تحقيق: محمد نور الحسن، ومحمد الزفزاف ومحمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- الزبيدي، محمّد بن محمّد. (ب، د، ت). تاج العروس من جواهر القاموس. تحقيق: مجموعة من المحققين. دار الهداية.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (1407هـ – 1987م). الكشاف عن حقائق غوامض التنزيل. ط 3، بيروت: دار الكتاب العربي.
- الزمخشري، محمود بن عمرو. (1993م). المفصل في صنعة الإعراب. تحقيق: علي بو ملحم، ط 1، بيروت: مكتبة الهلال.
- السامرائي، فاضل صالح. (2000 م). معاني النحو. ط 1، الأردن: دار الفكر.
- ابن السراج، محمد بن السري. (ب، د، ت). الأصول في النحو. تحقيق: عبد الحسين الفتلي، لبنان – بيروت: مؤسسة الرسالة.
- السهيلي، عبد الرحمن بن عبد الله. (1992 م). نتائج الفكر في النَّحو. ط 1، بيروت: دار الكتب العلمية.
- سيبويه، عمرو بن عثمان. (1988م). الكتاب. تحقيق: عبد السلام محمد هارون، ط 3، القاهرة: مكتبة الخانجي.
- السيرافي، الحسن بن عبد الله. (2008م). شرح كتاب سيبويه. تحقيق: أحمد حسن مهدلي وعلي سيد علي، ط 1، بيروت–لبنان: دار الكتب العلمية.
- السيوطي، عبد الرحمن بن أبي بكر. (ب، د، ت). همع الهوامع. تحقيق: عبد الحميد هنداوي، مصر: المكتبة التوفيقية.
- الصبان، محمد بن علي. (1997م). حاشية الصبان على شرح الأشموني. ط 1، بيروت– لبنان: دار الكتب العلمية.
- العكبري، عبد الله بن الحسين. (1995م). اللباب في علل البناء والإعراب. تحقيق: عبد الإله النبهان، ط 1، دمشق: دار الفكر.
- العكبري، عبد الله بن الحسين. (ب، د، ت). التبيان في إعراب القرآن. تحقيق: علي محمد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد. (1987 م). المسائل الحلبيات. تحقيق: حسن هنداوي، ط 1، دمشق: دار القلم للطباعة والنشر والتوزيع– بيروت: دار المنارة للطباعة والنشر والتوزيع.
- أبو علي الفارسيّ، الحسن بن أحمد. (1990م). التعليقة على كتاب سيبويه. تحقيق: عوض بن حمد القوزي، الطبعة: الأولى، مكتبة لسان العرب
- العيني، محمود بن أحمد. (2010 م). المقاصد النحوية في شرح شواهد شروح الألفية المشهور بـ «شرح الشواهد الكبرى». تحقيق: علي محمد فاخر، وأحمد محمد توفيق السوداني، وعبد العزيز محمد فاخر، ط 1، القاهرة – جمهورية مصر العربية، دار السلام.
- الفاسي، أحمد بن محمد بن المهدي. (ب، د، ت). البحر المديد في تفسير القرآن المجيد. تحقيق: أحمد عبد الله القرشي رسلان، القاهرة: دار الكتب العلمية.
- الفراهيدي، الخليل بن أحمد. (1995م). الجمل في النحو. تحقيق: فخر الدين قباوة، ط 5، مؤسسة الرسالة.
- الفرزدق، همام بن غالب. (1987م). ديوان الفرزدق. تحقيق: علي فاعور، دار الكتب العلمية.
- المالقي، أحمد بن عبد النور. (2002 م). رصف المباني في شرح حروف المعاني. تحقيق أحمد محمد الخراط، ط 3، دمشق: دار القلم، بيروت: الدار الشامية.
- ابن مالك، محمد بن عبد الله. (1990 م). شرح تسهيل الفوائد. تحقيق: عبد الرحمن السيد، ومحمد بدوي المختون، ط 1، هجر للطباعة والنشر والتوزيع والإعلان.
- المبرد، محمد بن يزيد. (ب، د.ت). المقتضب. تحقيق: محمد عبد الخالق عظيمة، بيروت: عالم الكتب.
- المرادي، حسن بن قاسم. (1992 م). الجنى الداني في حروف المعاني. تحقيق: فخر الدين قباوة ومحمد نديم فاضل، ط 1، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.
- المرار الفقعسي. (2016م). ديوان المرار الفقعسي. شركة المستقبل الرقمي.

- النابغة، الذبياني. (1996م). ديوان النابغة الذبياني. تحقيق: عباس عبد الساتر، دار الكتب العلمية.
- ناظر الجيش، محمد بن يوسف. (1428 هـ- 2007م). شرح التسهيل المسمى= تمهيد القواعد بشرح تسهيل الفوائد. دراسة وتحقيق: علي محمد فاخر وآخرون، القاهرة: دار السلام.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (ب، د، ت). أوضح المسالك إلى ألفية ابن مالك. تحقيق: يوسف الشيخ محمد البقاعي، دار الفكر للطباعة والنشر والتوزيع.
- ابن هشام، عبد الله بن يوسف. (1985م). مغني اللبيب عن كتب الأعاريب. تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، ط 6، دمشق: دار الفكر.
- الهمذاني، المنتجب. (2006م). الكتاب الفريد في إعراب القرآن المجيد. تحقيق: محمد نظام الدين الفتيح، ط 1، المدينة المنورة- السعودية: دار الزمان للنشر والتوزيع.
- الواحدي، علي بن أحمد. (1430 هـ- 2009م). التَّفْسِيرُ البَسِيْط، ط 1، رسالة دكتوراه بجامعة الإمام محمد بن سعود.
- ابن الوراق، محمد بن عبد الله. (1999م). علل النحو. تحقيق: محمود جاسم محمد الدرويش، ط 1، الرياض- السعودية مكتبة الرشد.
- ابن يعيش، محمد بن علي. (2001م). شرح المفصل للزمخشري. تحقيق: إميل يعقوب، ط 1، بيروت – لبنان: دار الكتب العلمية.

References:

- *The Holy Quran*
- *Ibn Al-Atheer, Al-Mubarak bin Muhammad.(1420B. H1999=.). Al Budaiya in Arabic Science. Investigation and study: Fathi Ahmed Ali Al-Deen, Kingdom of Saudi Arabia: Publications of Umm Al-Qura University.*
- *Al-Azhari, Khalid bin Abed. (2000). Shareh Altasrih ealaa Altawdih. 1st ed., Scientific Books House, Beirut, Lebanon.*
- *Al-Ashmoni, Ali bin Muhammad. (n.d.). Shareh AlAshmoni ealaa ‹Alfiyat Ibn Malik, Scientific Books House- Beirut, Lebanon.*
- *Al-Kanadi, Imru Al-Qais bin Hajr. (1984). Diwan Imru Al-Qais, Investigation: Muhammad Abu Al-Fadel Ibrahim, Al-Maarif House.*
- *Al-Anbari, Abed Al-Rahman bin Muhammad. (1999). Asrar Alarabia. 1st ed., Al-Arkam Bin Abi-Al-Arkam›s house, Lebanon.*
- *Al-Anbari, Abed Al-Rahman bin Muhamma. (2003). Al›Iinsaf fi Masayil Alkhilaf. 1st ed., The Modern Library.*
- *Al-Baghdadi, Abd A-Qadir bin Omar. (1997). khzanet Al›adab wa Lub Lubab Lisan Alarab. Investigation and explanation: Abed Al-Salam Muhammad Harun, 4th ed., Publisher: Al-Khanji Library, Cairo.*
- *Al-Baghdadi, Abed Al- Qadir bin Omar. (1414 B.H. 1993=). Shareh ‹Abyat Mughni Al-Labib. Investigation: Abed Al- Aziz Rabah and Ahmed Youssef Daqqaq, 2nd ed., Al-Mamoun Heritage House, Beirut.*
- *Al-Baidawi, Abed Allah bin Omar. (1418 B.H.= 1997). Anwar Altanzil wa ‹Asrar Altaaweel. Investigation: Muhammad Abed Al-Rahman Al-Mara'shili, 1st ed., Arab Heritage Revival House, Beirut.*
- *Al-Jerjani, Abed Al-Qāhir bin Abed Al-Rahman. (1992). Dalayil Al›Iiejaz fi Eilm Almaeani. Investigation: Mahmoud Muhammad Shakir, 3rd ed., Al Madani Press, Cairo.*
- *Ibn Jenni, Othman bin Jenni. (n.d.). Allomae fi Alarabia. Investigation: Fayez Faris, Cultural Books House, Kuwait.*
- *Al-Hariri, Al-Qasim bin Ali. (1998). Durat Alghawas fi ‹Awham Alkhawas. Investigation: Arafat Matraji, 1st ed., The Cultural Books Foundation, Beirut.*
- *Hassan, Abbas. (n.d.). Alnahw Alwafi. 15th ed., knowledges House.*
- *Abu Hayyan, Muhammad bin Yosuf. (1418 B.H.=1997). Airtishaf Aldrb min Lisan Alarab. Investigation, Explanation and Study: Rajab Othman Muhammad, Review: Ramadan Abd Al -Tawab, 1st ed., Al-Khanji Library, Cairo.*
- *Abu Hayyan, Muhammad bin Yosuf. (n.d.). Altazyil wa Altakmil fi Shareh Kitab Altashil. Investigation: Hassan Hindawi, Al-Qalam House, Damascus.*
- *Abu Hayyan, Mohammed bin Yosuf. (1420 B.H 1999=.). Albahr Almuhit fi Altafsir. Investigation: Sedki Mohammed Jamil, Publisher: Al-Fikr House, Beirut.*
- *Al-Daas, Ahmad Obaid and others. (1425 B.H.= 2004). ‹Iiearab the Holy Quran. 1st ed., Al-Munir and Al-Farabi Houses, Damascus.*
- *Ibn Abi Rabiea, Omar. (1996). Diwan Omar bin Abi Rabiea. Investigation: Fayz Mohammed, Arab Book House.*
- *Al-Rajihi, Abdoh. (1999). Altatbiq Alnahwi. 1st ed., knowledges Library for Publishing and Distribution.*
- *Al-Radhi, Mohammed bin Al-Hasan. (1975). Shareh Shafieat Ibn Al-hajib. Investigation: Mohammed Nour Al-Hassan, Mohammed Al-Zafzaf and Mohammed Mohi Al-deen Abed Al -Hamid, Scientific Books House, Beirut, Lebanon.*
- *Al-Zubaidi, Mohammed bin Mohammed. (n.d.). Taj Alearus Min Jawahir Alqamws. Investigation: A Group of Investigators, Al-Hidaya House.*
- *Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amro.(1407 B.H=.1987). Alkshaf Ean Haqayiq Ghawamid Altanzil, 3rd ed., Arab Book House, Beirut.*
- *Al-Zamakhshari, Mahmoud bin Amro. (1993). Almufsil fi Soneat Al›iierab, Investigation: Ali Boummelhem, 1st ed., Crescent Library, Beirut.*
- *Al- Samurai, Fadel Saleh. (2000). Maeani Alnahw. 1st ed., House of Thought, Jordan.*
- *Ibn Al-Sarraj, Mohammed bin Al-Serri. (n.d.). Al›usool fi Alnahw, Investigation: Abed Al- Hussein Al-Fatli, Al-Resala Foundation, Beirut, Lebanon.*
- *Al-Suhaili, Abd Al-Rahman bin Abd Allah. (1992). Natayij Alfikr fi Alnahw. 1st ed., Scientific Books House, Beirut.*
- *Sibaway, Amro bin Othman. (1988). Alkitab, Investigation: Abed Al-Salam Mohamed Haroun, 3rd ed., Al-Khanji Library, Cairo.*
- *Al-Siravi, Al-Hassan bin Abd Allah. (2008). Shareh Kitab Sibaway, Investigation: Ahmed Hassan Mahdli and Ali Sayed Ali, 1st ed., Scientific Books House- Beirut, Lebanon.*
- *Al-Suyuti, Abd Al -Rahman bin Abi Baker. (n.d.). Hamea Alhawamea, Investigation: Abed Al-hamid Hindawi, Altawfiqia Library, Egypt.*
- *Al-Sabban, Mohammed bin Ali. (1997). Hashiat Al-Sabban ealaa Shareh Al-Ashmoni. 1st ed., Scientific Books House, Beirut-Lebanon.*
- *Al-Aqbri, Abed Allah bin Al-Hussein. (1995). Al-lubbab fi Ealal Albina› wa Al›iierab. Investigation: Abed Al- Ilah Al-Nabhan, 1st ed., House of Thought, Damascus.*
- *Al-Aqbri, Abed Allah bin Al-Hussein. (n.d.). Altibyan fi ‹Iierab Alquran. Investigation: Ali Mohammed Al-Bejawi, Issa Al-Babi Al-Halabi and his Partners.*
- *Abu Ali Al-Farisi, Al-Hassan bin Ahmed. (1987). Al-masayil Alhalabiaat. Investigation: Hassan Hindawi, 1st ed., Al-Qalam House of Printing, Publishing and Distribution, Damascus - Al-Manara House of Printing, Publishing and Distribution, Beirut.*
- *Abu Ali Al-Farisi, Al-Hassan bin Ahmed. (1990). Altaealiqa ealaa Kitab Sibaway. Investigation: Awad bin Hamd Al-Quzi, 1st ed., Lisan Alarab Library.*
- *Al Aini, Mahmoud bin Ahmed. (2010). Almaqasid Alnahwia*

fi Shareh Shawahid Shurooh Al›alfia almashhur bi «Shareh Alshawahid Alkubraa». Investigation: Ali Mohammed Fakher, Ahmed Mohamed Tawfiq Al-Sudani, and Abd Al- Aziz Mohammed Fakher, 1st ed., AL- Salaam House, Cairo, Egypt.

- *Al-Fassi, Ahmed bin Mohammed bin Al-Mahdi. (n.d.). El Baher Elmadid fi Tafsier Alquran Almajied. Investigation: Ahmed Abed Allah Al-Qurashi Raslan, Scientific Books House, Cairo.*
- *Al-Farahidi, Alkhalil bin Ahmed. (1995). Aljumal fi Alnahw. Investigation: Fakher Al-deen Kabbawa, 5th ed., Alresala Foundation.*
- *Al-Farazdaq, Hammam bin Ghaleb. (1987). Diwan Al-Farazdaq. Investigation: Ali Faour, Scientific Books House.*
- *Al-Maliqi, Ahmed bin Abed Al-Nou. (2002). Rasef Almabani fi Shareh Huroof Almaeani. Investigation: Ahmed Mohammed Al-Kharat, 3rd ed., Al-Qalam House, Damascus, Sham House. Beirut.*
- *Ibn Malik, Mohammed bin Abed Allah. (1990). Shareh Tashil Alfawayid. Investigation: Abed Al-Rahman Al-Sayed and Mohammed Badawi Al-Makhton, 1st ed., Hijr for Printing, Publishing, Distribution and Advertising.*
- *Al-Mubrid, Mohammed Bin Yazid. (n.d.). Almuqtadab. Investigation: Mohammed Abed Al-Khaleq Azima, Books World, Beirut.*
- *Al-Muradi, Hassan bin Qassim. (1992). Aljanaa Alddani fi huroof Almaeani. Investigation: Fakhr Al- edeen Kabbawa and Mohammed Nadim Fadhil, 1st ed., Scientific Books House, Beirut, Lebanon.*
- *Al-Marrar Al-Faqasi. (2016). Diwan Al-Marrar Al-Faqasi, Digital Future Company.*
- *Al-Nabeghah, Al-Zobyani. (1996). Diwan Al-Nabeghah Al-Zobyani. Investigation: Abbas Abed Al-Sater, Scientific Books House.*
- *Nazer Al-jysh, Mohammed bin Yusof. (1428 B.H2007=.). Shareh Al-tashil Named= Tamhid Al-qawaeid bi shareh Tashil Al-fawayid. Studying and Investigation: Ali Mohammed Fakher et al., AL- Salaam House, Cairo.*
- *Ibn Hisham, Abdullah bin Yusof. (n.d.). ‹Awdah Almasalek ‹iilaa ‹Alfiat Ibn Malik. Investigation: Yusof AlSheikh Mohammed Al-Bekaai, House of Thought for Printing, Publishing and Distribution.*
- *Ibn Hisham, Abed Allah bin Yusof. (1985). Moghani Al-labeb ean kutib Al-›aeareeb, Investigation: Mazen Al-Mubarak and Mohammed Ali Hamd Allah, 6th ed., House of Thought, Damascus.*
- *Al-Hamazani, Al-muntajib. (2006). Alkitab Alfaried fi ‹Iiearab Alquran Almajied. Investigation: Muhammad Nizam Al-Deen Al-Fatih, 1st ed., Al-Zaman House for Publishing and Distribution, Madina Al- Monawara, Saudi Arabia.*
- *Al-Wahidi, Ali bin Ahmad. (1430 B.H 2009=.). Altafsier Albasiet, 1st ed., Ph.D. Thesis at AL-Imam Muhammad bin Saud University.*
- *Ibn Al-Warraq, Mohammed bin Abed Allah. (1999). Ealala Alnahw, Investigation: Mahmoud Jassim Mohammed Al Darwish, 1st ed., Al-Roshed Library- Riyadh, Saudi Arabia.*
- *Ibn Yaish, Muhammad bin Ali. (2001). Shareh Almufsl Lilzamkhasharii. Investigation: Iimil Yaacoub, 1st ed., Scientific Books House, Beirut- Lebanon.*

Six- Scientific Research Ethics:

The researcher must:

1. Commit to high professional and academic standards during the whole process of conducting research papers, from submitting the research proposal, conducting the research, collecting data, analyzing and discussing the results, and to eventually publishing the paper. All must be conducted with integrity, neutralism and without distortion.
2. Acknowledge the efforts of all those who participated in conducting the research such as colleagues and students and list their names in the list of authors, as well as acknowledging the financial and morale support utilized in conducting the research.
3. Commit to state references soundly, to avoid plagiarism in the research.
4. Commit to avoid conducting research papers that harm humans or environment. The researcher must obtain in advance an approval from the University or the institutions he/she works at, or from a committee for scientific research ethics if there is any, when conducting any experiments on humans or the environment.
5. Obtain a written acknowledgement from the individual/individuals who are referred to in the research, and clarify to them the consequences of listing them in the research. The researcher has also to maintain confidentiality and commit to state the results of his/her research in the form of statistical data analysis to ensure the confidentiality of the participating individuals.

Seven- Intellectual Property Rights:

1. The editorial board confirms its commitment to the intellectual property rights.
2. Researchers also have to commit to the intellectual property rights.
3. The research copyrights and publication are owned by the Journal once the researcher is notified about the approval of the paper. The scientific materials published or approved for publishing in the Journal should not be republished unless a written acknowledgment is obtained by the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
4. Research papers should not be published or republished unless a written acknowledgement is obtained from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.
5. The researcher has the right to accredit the research to himself, and to place his name on all the copies, editions and volumes published.
6. The author has the right to request the accreditation of the published papers to himself.

3. In case the researcher decides to use APA style for documenting resources in the text, references must be placed immediately after the quote in the following order, surname of the author, year of publication, page number.
4. Opaque terms or expressions are to be explained in endnotes. List of endnotes should be placed before the list of references and resources.

Note: for more information about using APA style for documenting please check the following link:

https://journals.qou.edu/recources/pdf/apa.pdf

Five- Peer Review & Publication Process:

All research papers are forwarded to a group of experts in the field to review and assess the submitted papers according to the known scientific standards. The paper is accepted after the researcher carries out the modifications requested. Opinions expressed in the research paper solely belong to their authors not the journal. The submitted papers are subject to initial assessment by the editorial board to decide about the eligibility of the research and whether it meets the publication guidelines. The editorial board has the right to decide if the paper is ineligible without providing the researcher with any justification.

The peer review process is implemented as follows:

1. The editorial board reviews the eligibility of the submitted research papers and their compliance with the publication guidelines to decide their eligibility to the peer review process.
2. The eligible research papers are forwarded to two specialized Referees of a similar rank or higher than the researcher. Those Referees are chosen by the editorial board in a confidential approach, they are specialized instructors who work at universities and research centers in Palestine and abroad.
3. Each referee must submit a report indicating the eligibility of the research for publication.
4. In case the results of the two referees were different, the research is forwarded to a third referee to settle the result and consequently his decision is considered definite.
5. The researcher is notified by the result of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submission. Prior to that, the researcher has to carry out the modifications in case there are any.
6. The researcher will receive a copy of the journal in which his/her paper was published, as for researchers from abroad, a copy of the Journal volume will be sent to the liaison university office in Jordan and the researcher in this case will pay the shipping cost from Jordan to his/her place of residency.

8. The Journal preserves the right to request the researcher to omit, delete, or rephrase any part of his/her paper to suit the publication policy. The Journal has also the right to make any changes on the form/ design of the research.
9. In case the research is written in Arabic, the researcher should include a list of references translated into English, in addition to the original list of the references in Arabic.
10. The research must include two research abstracts, one in Arabic and another in English of (150-200) words. The abstract must underline the objectives of the paper, statement of the problem, methodology, and the main conclusions. The researcher is also to provide no more than six keywords at the end of the abstract which enable an easy access in the database.
11. The researcher has to indicate if his research is part of a master thesis or a doctoral dissertation as he/she should clarify this in the cover page, possibly inserted in the footnote.
12. The research papers submitted to the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research will not be returned to the researchers whether accepted or declined.
13. In case the research does not comply with the publication guidelines, the deanship will send a declining letter to the researcher.
14. Researchers must commit to pay the expenses of the arbitration process, in case of withdrawal during the final evaluation process and publication procedures.
15. The researchers will be notified of the results and final decision of the editorial board within a period ranging from three to six months starting from the date of submitting the research.

Four- Documentation:

1. Footnotes should be written at the end of the paper as follows; if the reference is a book, it is cited in the following order, name of the author, title of the book or paper, name of the translator if any or reviser, place of publication, publisher, edition, year of publishing, volume, and page number. If the reference is a journal, it should be cited as follows, author, paper title, journal title, journal volume, date of publication and page number. If the resource or reference is mentioned again then it should be written as follows: name of the author, title of the book/research, page number.
2. References and resources should be arranged at the end of the paper in accordance to the alphabetical order starting with the surname of author, followed by the name of the author, title of the book or paper, place of publishing, edition, year of publication, and volume. The list should not include any reference which is not mentioned in the body of the paper.

   - In case the resource is with no specified edition, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing company is in not available, the researcher writes (N.P).
   - In case there is no author, the researcher writes (N.A).
   - In case the publishing date is missing, the researcher writes (N.D).

Third- Publication Guidelines:

The editorial board of the journal stresses the importance of the full compliance with the publication guidelines, taking into note that research papers that do not meet the guidelines will not be considered, and they will be returned to the researchers for modification to comply with the publication guidelines.

1. Papers are accepted in Arabic and English only, and the language used should be well constructed and sound.
2. Application for publishing the research paper should be submitted through the website of the Journal, on the following link:

https://journals.qou.edu/index.php/jrresstudy in Microsoft Word format, taking into consideration the following:

- For papers written in Arabic: Font type should be Simplified Arabic, and the researcher should use bold font size 16 for head titles, bold font size 14 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- For papers written in English: Font type should be Times New Roman, and the researcher should use bold font size 14 for head titles, bold font size 13 for subtitles, font size 12 for the rest of the text, and font size 11 for tables and diagrams.
- the text should be single-spaced.
- Margins:

For papers written in Arabic and English margins should be set to: 2 cm top, 2.5 cm bottom, 1.5 cm left and right.

3. The paper should not exceed 25 (A4) pages or (7000) words including figures and graphics, tables, endnotes, and references, while annexes are inserted after the list of references, though annexes are not published but rather inserted only for the purpose of arbitration.
4. The research has to be characterized by originality, neutrality, and scientific value.
5. The research should not be published or submitted to be published in other journals, and the researcher has to submit a written acknowledgment that the research has never been published or sent for publication in other journals during the completion of the arbitration process. In addition, the main researcher must acknowledge that he/she had read the publication guidelines and he/she is fully abided by them.
6. The research should not be a chapter or part of an already published book.
7. Neither the research nor part of it should be published elsewhere, unless the researcher obtains a written acknowledgement from the Deanship of Graduate Studies & Scientific Research.

Publication & Documentation Guidelines

First- Requirements of preparing the research:

The research must include the following:

1. A cover page which should include the title of the research stated in English and Arabic, including the name of researcher/researchers, his/her title, and email.
2. Two abstracts (English and Arabic) around (150-200 word). The abstract should include no more than 6 key words.
3. Graphs and diagrams should be placed within the text, serially numbered, and their titles, comments or remarks should be placed underneath.
4. Tables should be placed within the text, serially numbered and titles should be written above the tables, whereas comments or any remarks should be written underneath the tables.

Second- Submission Guidelines:

1. The Researcher should submit a letter addressing the Head of Editorial Board in which he/she requests his paper to be published in the Journal, specifying the specialization of his/her paper.
2. The researcher should submit a written pledge that the paper has not been published nor submitted for publishing in any other periodical, and that it is not a chapter or a part of a published book.
3. The researcher should submit a short Curriculum Vitae (CV) in which she/he includes full name, workplace, academic rank, specific specialization and contact information (phone and mobile number, and e-mail address).
4. Complete copy of the data collection tools (questionnaire or other) if not included in the paper itself or the Annexes.
5. No indication shall be given regarding the name or the identity of the researcher in the research paper, in order to ensure the confidentiality of the arbitration process.

Vision

Achieving leadership, excellence and innovation in the field of open learning, community service, and scientific research, in addition to reinforcing the University leading role in establishing a Palestinian society built on knowledge and science.

Mission

To prepare qualified graduates equipped with competencies that enable them to address the needs of their community, and compete in both local and regional labor markets. Furthermore, The University seeks to promote students' innovative contributions in scientific research and human and technical capacity-building, through providing them with educational and training programs in accordance with the best practices of open and blended learning approach, as well as through fostering an educational environment that promotes scientific research in accordance with the latest standards of quality and excellence. The University strives to implement its mission within a framework of knowledge exchange and cooperation with the community institutions and experts.

Core Values

To achieve the University's vision, mission and goals, the University strives to practice and promote the following core values:

- Leadership and excellence.
- Patriotism and nationalism.
- Democracy in education and equal opportunities.
- Academic and intellectual freedom.
- Commitment to regulations and bylaws.
- Partnership with the community.
- Participative management.
- Enforcing the pioneer role of women.
- Integrity and Transparency.
- Competitiveness.

The Journal

Journal of Al-Quds Open University for Humanities & Social Research is a quarterly scientific refereed journal, issued every three months by the Deanship of Graduate Studies and Scientific Research. The first issue of the Journal was published in October 2002. The journal publishes original research papers and studies conducted by researchers and faculty staff at QOU and by their counterparts at local and overseas universities, in accordance with their academic specializations. The Journal also publishes reviews, scientific reports and translated research papers, provided that these papers have not been previously published in any conference book or in any other journal.

The Journal managed to obtain the Arab Impact Factor and the International Standard Serial Number (E- ISSN: 2616-9843), (P– ISSN: 2616-9835).

Journal of Al-Quds Open University

for Humanities & Social Research

GENERAL SUPERVISOR

Prof. Younes Morshed Amr

President of the University

The Advisory Board

CHAIRMAN OF THE ADVISORY BOARD

Prof. Samir Dawoud Al-Najdi

MEMBERS OF THE ADVISORY BOARD

Prof. Ismail Mohammed Shendi
Prof. Bushrah Ali Khier Biek
Prof. Hana Fayez Mubarak
Prof. Ibrahim Mohammad Al-Kofahi
Prof. Saeed Mohammad Al-Fayoumi
Prof. Salem Khader Sari
Dr. Rushdi Yousef Al-Qawasmeh
Prof. Noman Atef Abd Rabo
Prof. Hamdi Mohammed Mansour
Prof. Mohamed El-Sayed
Prof. Nader Joma Al-Qasim
Prof. Hassan "Abdul Rahman" Al-Silwadi
Prof. Muhannad Azmi Abu Mughali
Dr. Ahmed Moahammad Barak

Editorial Board

EDITOR IN CHIEF

Prof. Jamal Mohammed Ibrahim

SUPERVISING EDITOR

Prof. Husni Mohamad Awad

MEMBERS OF THE EDITORIAL BOARD

Prof. Mohammed Mohammed Musalma
Prof. Odeh Jamil El-Faleet
Prof. Mohammed Mohammed El-Taqi
Prof. Ibrahim "Abdul Qadir" Al-Qaowd
Dr. Hassan "Abdul Rahman" Al-Barmil
Dr. Abdul Rahim Al-Habeel
Dr. Mohammed Abu Al-Rub
Prof. Abdul Rahman Mohammed Maghribi
Prof. Abdel-Raouf Kharioush
Prof. Himli Khadir Sari
Dr. Iyad Fayez Abu Bakr
Dr. Moutasem Tawfeeq Khadr
Dr. Abdel Khaleq Abdullah Issa
Dr. Shadi Radwan Abu Ayyash

EDITOR FOR ARABIC LANGUAGE RESEARCHES

Dr. Ahmad Bsharat

EDITOR FOR ENGLISH LANGUAGE RESEARCHES

Adel Z'aiter Translation & Languages Center